

الكتاب  
الثاني

٢٠٢

# رحلات ماركو بولو

الجزء الثاني

مترجم إلى الإنجليزية: وليام مارسدن  
مترجم إلى العربية: عبد العزيز جاويد





رحلات مارکو پولو

## الألف كتاب الثاني

الإشراف العام  
و. سمير بهرجان  
رئيسة مجلس الإدارة

رئيس التحرير  
لمنى المطيعي

مدير التحرير  
أحمد صليحة

الإشراف الفني  
محمد قطب

الإخراج الفني  
لمياء محرم



# رحلات ماركو بولو

ترجمها إلى الإنجليزية  
وليم مارسدن

ترجمها إلى العربية  
عبد العزيز جاويد

الجزء الثاني

الهيئة العامة لكتبة الأسكندرية	
رقم التصنيف	910.41
رقم التسجيل	37492



GOAL

Alexandria Library (GOAL)

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٦



## الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول	١١
الفصل الثاني	١٨
الفصل الثالث	٢١
الفصل الرابع	٢٢
الفصل الخامس	٢٦
الفصل السادس	٢٧
الفصل السابع	٣٢
الفصل الثامن	٣٦
الفصل التاسع	٤٢
الفصل العاشر	٤٣
الفصل الحادى عشر	٤٧
الفصل الثانى عشر	٤٩
الفصل الثالث عشر	٥٢
الفصل الرابع عشر	٥٣
الفصل الخامس عشر	٥٤
الفصل السادس عشر	٥٦
الفصل السابع عشر	٦٢
الفصل الثامن عشر	٦٤
الفصل التاسع عشر	٦٧
الفصل العشرون	٦٩
الفصل الحادى والعشرون	٧٥
الفصل الثانى والعشرون	٧٧

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث والعشرون	٧٨
الفصل الرابع والعشرون	٨٠
الفصل الخامس والعشرون	٨٢
الفصل السادس والعشرون	٨٤
الفصل السابع والعشرون	٨٧
الفصل الثامن والعشرون	٨٩
الفصل التاسع والعشرون	٩١
الفصل الثلاثون	٩٢
الفصل الحادى والثلاثون	٩٣
الفصل الثانى والثلاثون	٩٥
الفصل الثالث والثلاثون	٩٦
الفصل الرابع والثلاثون	٩٧
الفصل الخامس والثلاثون	٩٩
الفصل السادس والثلاثون	١٠١
الفصل السابع والثلاثون	١٠٤
الفصل الثامن والثلاثون	١٠٩
الفصل التاسع والثلاثون	١١٣
الفصل الأربعون	١١٥
الفصل الحادى والأربعون	١١٩
الفصل الثانى والأربعون	١٢٤
الفصل الثالث والأربعون	١٢٠
الفصل الرابع والأربعون	١٣١
الفصل الخامس والأربعون	١٣٣
الفصل السادس والأربعون	١٣٤
الفصل السابع والأربعون	١٣٥
الفصل الثامن والأربعون	١٣٦
الفصل التاسع والأربعون	١٣٧
الفصل الخمسون	١٤٠

## الصفحة

## الموضوع

١٤١	• • • • •	الفصل الحادى والخمسون
١٤٢	• • • • •	الفصل الثانى والخمسون
١٤٤	• • • • •	الفصل الثالث والخمسون
١٤٦	• • • • •	الفصل الرابع والخمسون
١٤٨	• • • • •	الفصل الخامس والخمسون
١٥٢	• • • • •	الفصل السادس والخمسون
١٥٣	• • • • •	الفصل السابع والخمسون
١٥٤	• • • • •	الفصل الثامن والخمسون
١٥٥	• • • • •	الفصل التاسع والخمسون
١٥٦	• • • • •	الفصل الستون
١٥٧	• • • • •	الفصل الحادى والستون
١٥٨	• • • • •	الفصل الثانى والستون
١٦٠	• • • • •	الفصل الثالث والستون
١٦٢	• • • • •	الفصل الرابع والستون
١٦٣	• • • • •	الفصل الخامس والستون
١٦٤	• • • • •	الفصل السادس والستون
١٦٦	• • • • •	الفصل السابع والستون
١٦٨	• • • • •	الفصل الثامن والستون
١٨٨	• • • • •	الفصل التاسع والستون
١٩٠	• • • • •	الفصل السبعون
١٩١	• • • • •	الفصل الحادى والسبعون
١٩٢	• • • • •	الفصل الثانى والسبعون
١٩٣	• • • • •	الفصل الثالث والسبعون
١٩٥	• • • • •	الفصل الرابع والسبعون
١٩٦	• • • • •	الفصل الخامس والسبعون
١٩٧	• • • • •	الفصل السادس والسبعون
١٩٨	• • • • •	الفصل السابع والسبعون

الصفحة

الموضوع

٢٠٣	• • • • •	هوامش الجزء الثاني
٢٠٥	• • • • •	هوامش الفصل الأول
٢٠٨	• • • • •	هوامش الفصل الثاني
٢٠٩	• • • • •	هوامش الفصل الثالث
٢١١	• • • • •	هوامش الفصل الرابع
٢١٣	• • • • •	هوامش الفصل الخامس
٢١٤	• • • • •	هوامش الفصل السادس
٢١٧	• • • • •	هوامش الفصل السابع
٢٢٢	• • • • •	هوامش الفصل الثامن
٢٢٤	• • • • •	هوامش الفصل التاسع
٢٢٥	• • • • •	هوامش الفصل العاشر
٢٢٨	• • • • •	هوامش الفصل الحادى عشر
٢٣٠	• • • • •	هوامش الفصل الثانى عشر
٢٣٤	• • • • •	هوامش الفصل الثالث عشر
٢٣٥	• • • • •	هوامش الفصل الرابع عشر
٢٣٦	• • • • •	هوامش الفصل الخامس عشر
٢٣٧	• • • • •	هوامش الفصل السادس عشر
٢٤٠	• • • • •	هوامش الفصل السابع عشر
٢٤١	• • • • •	هوامش الفصل الثامن عشر
٢٤٤	• • • • •	هوامش الفصل التاسع عشر
٢٤٦	• • • • •	هوامش الفصل العشرين
٢٤٩	• • • • •	هوامش الفصل الحادى والعشرين
٢٥٠	• • • • •	هوامش الفصل الثانى والعشرين
٢٥١	• • • • •	هوامش الفصل الثالث والعشرين
٢٥٢	• • • • •	هوامش الفصل الرابع والعشرين
٢٥٣	• • • • •	هوامش الفصل الخامس والعشرين
٢٥٥	• • • • •	هوامش الفصل السادس والعشرين
٢٥٧	• • • • •	هوامش الفصل السابع والعشرين

الموضوع	الصفحة
هوامش الفصل الثامن والعشرين	٢٥٩
هوامش الفصل التاسع والعشرين	٢٦١
هوامش الفصل الثلاثين	٢٦٢
هوامش الفصل الحادى والثلاثين	٢٦٣
هوامش الفصل الثانى والثلاثين	٢٦٥
هوامش الفصل الثالث والثلاثين	٢٦٦
هوامش الفصل الرابع والثلاثين	٢٦٧
هوامش الفصل الخامس والثلاثين	٢٦٨
هوامش الفصل السادس والثلاثين	٢٦٩
هوامش الفصل السابع والثلاثين	٢٧١
هوامش الفصل الثامن والثلاثين	٢٧٤
هوامش الفصل التاسع والثلاثين	٢٧٦
هوامش الفصل الأربعين	٢٧٩
هوامش الفصل الحادى والأربعين	٢٨١
هوامش الفصل الثانى والأربعين	٢٨٣
هوامش الفصل الثالث والأربعين	٢٨٤
هوامش الفصل الرابع والأربعين	٢٨٦
هوامش الفصل الخامس والأربعين	٢٨٨
هوامش الفصل السادس والأربعين	٢٩٠
هوامش الفصل السابع والأربعين	٢٩١
هوامش الفصل الثامن والأربعين	٢٩٢
هوامش الفصل التاسع والأربعين	٢٩٣
هوامش الفصل الخمسين	٢٩٧
هوامش الفصل الحادى والخمسين	٢٩٨
هوامش الفصل الثانى والخمسين	٢٩٩
هوامش الفصل الثالث والخمسين	٣٠٠
هوامش الفصل الرابع والخمسين	٣٠٢
هوامش الفصل الخامس والخمسين	٣٠٣

الصفحة	الموضوع
٣٠٦	هوامش الفصل السادس والخمسين
٣٠٧	هوامش الفصل السابع والخمسين
٣٠٨	هوامش الفصل الثامن والخمسين
٣٠٩	هوامش الفصل التاسع والخمسين
٣١٠	هوامش الفصل الستين
٣١١	هوامش الفصل الحادي الستين
٣١٢	هوامش الفصل الثاني والستين
٣١٤	هوامش الفصل الثالث والستين
٣١٦	هوامش الفصل الرابع والستين
٣١٧	هوامش الفصل الخامس والستين
٣١٨	هوامش الفصل السادس والستين
٣١٩	هوامش الفصل السابع والستين
٣٢١	هوامش الفصل الثامن والستين
٣٣٣	هوامش الفصل التاسع والستين
٣٣٤	هوامش الفصل السبعين
٣٣٥	هوامش الفصل الحادي والسبعين
٣٣٦	هوامش الفصل الثاني والسبعين
٣٣٧	هوامش الفصل الثالث والسبعين
٣٣٨	هوامش الفصل الرابع والسبعين
٣٣٩	هوامش الفصل الخامس والسبعين
٣٤٠	هوامش الفصل السادس والسبعين
٣٤١	هوامش الفصل السابع والسبعين



## الفصل الأول

عن الأعمال العجيبة قبلاى  
خا آن ، الامبراطور المتربع الآن فى  
الحكم - وعن المعركة التى خاضها  
على نايان عامه ، وعن النصر الذى  
أحرزه .

خطتنا فى هذا الكتاب أن نعالج جميع المنجزات المظيمة  
الآن فى دست الأحكام ، والذى يدعى قبلاى كآآن ،  
وتنطوى الكلمة الأخيرة فى لغتنا ضمنا على معنى أمير  
الجديرة بالاعجاب التى أنجزها الخان الأعظم الذى يتربع  
الأمراء (١) ، وهو لقب يضاف الى اسمه مع مزيد الجدارة  
وذلك لأنه من حيث عدد الرعايا ، واتساع الممتلكات ،  
ومقدار الدخل ، يفوق كل ملك ظهر حتى الآن أو يعيش  
اليوم فى هذه الدنيا ، وكذلك لم يخدم أى واحد آخر خلافه  
يمثل الطاعة التامة التى يكنها له من يحكمهم وسيوضح ذلك  
وضوحا بالغنا فى سياق عملنا هذا ، بحيث يقنع كل انسان  
بصدق ما نقرره .

وينبغى أن يكون مفهوما أن قبلاى كآآن ، هو السليل  
الشرعى المنحدر من صلب جنجيزخان الامبراطور الأول ، كما  
أنه عاقل التتار الشرعى . وهو الخان السادس فى  
الترتيب (٢) ، وبدأ حكمه فى عام ١٢٥٦ (٣) فحصل على  
العاولية بما أبداه من شجاعة لاحد لها وما تحلى به من فضائل  
وحكمة ، فى معارضته لخطط اخوته ، بتأييد كثير من كبار

الضباط وأعضاء أسرته • ولكن توليه العرش كان حقا شرعيا له (٤) • وانقضت اثنتان واربعون سنة منذ ان بدأ حكمه الى عامنا هذا ، ١٢٨٨ ، وسنة الآن خمس وثمانون سنة كاملة • وقد عمل متطوعا في الجيش قبل توليه العرش ، وحاول أن يكون له نصيب من كل مغامرة • ذلك أنه لم يكن فحسب شجاعا مقداما في القتال ، ولكنه كان يعد في شئون الحكمة والعدالة والمهارة العسكرية ، أكفاً وأنجح قائد القتار - الدهر كله - في معركة • ومع هذا ، فإنه كف منذ تلك المدة عن خوض غمار القتال بنفسه (٥) ووكل قيادة حملاته الى أبنائه وقواده ، الا في حالة واحدة ، جاءت مناسبة على النحو التالي : فان أميرا معيننا اسمه نايان ، كان من أقرباء قبلاي (٦) وورث وان لم يتجاوز الثلاثين من عمره السيادة على مدن وولايات كثيرة وهو أمر مكنه من أن يبرز الى ميدان القتال جيشا عدته أربعمئة ألف فارس • ومع هذا فان أسلافه كانوا أسباعا اقطاعيين للخان الأعظم (٧) ودفعه غرور الشباب منذ وجد نفسه على رأس هذه القوة الجبارة ، فأخذ يدبر في نفسه في عام ١٢٨٦ خطة نبذ ولائه للملك واغتصاب الملك • وتمشيا مع هذه الخطة أرسل رسله سرا الى قايدو ، وهو أمير قوى آخر ، كانت ممتلكاته تقع بجوار تركيا الكبرى (٨) - ومع أنه ابن أخ للخان الأعظم الا أنه كان في تمرد عليه ويحمل له في نفسه ضغنا مقيما ، يرجع الى خوفه من عقوبته على جرائم سابقة اقترفها • ومن ثم فان مقترحات نايان كانت مرضية الى أقصى حد لقايدو ، ووفقا لذلك وعد أن يقدم مساعدة له ، جيشا مؤلفا من مائة ألف فارس • وعلى الفور شرع الأميران كلاهما يجمعان قواتهما ، ولكن ذلك أمر لم يكن في الامكان تنفيذه سرا بحيث لا يصل الى علم قبلاي الذي لم يضع وقتا عند سماعه بتجهيزاتهما وسارع الى احتلال جميع الممرات المؤدية الى اقليم نايان وقايدو ، لكي يمنعهما من الحصول على أية معلومات تتعلق بالاجراءات التي كان يتخذها هو نفسه • ثم أصدر الأوامر

يأن تحشد بأقصى سرعة ، جميع القوات الموجودة على مسيرة عشرة أيام من مدينة كامبالو . وبلغت عدة هذه القوة ثلاث مائة وستين ألف فارس ، أضيف إليها جيش من المشاة عدته مائة ألف راجل ، يتألف ممن كانوا في العادة يحيطون بشخصه ، وبخاصة متصقريه وخدمه (٩) ولم تنقض عشرون يوما حتى كان الجميع في استعداد تام . ولو أنه حشد الجيوش المعدة للحماية الدائمة لمختلف ولايات كاثاي ، لاقتضاء ذلك بالضرورة ثلاثين أو أربعين يوما ، وهي مدة كانت كافية يتسرب انباء استعداداته الى العدو ، وتمكين الأميرين من اجراء الاتصال بين قواتهما ، واحتلال المواقع الحصينة التي تلائم خططهما . وكان هدفه ، أن يتمكن بسرعة المبادرة ، التي هي على الدوام قرين النصر المبين ، من أن يحبط مقدما تجهيزات نايان ، حتى اذا تم له الانقضاض عليه وهو بمفرده ، دمر قوته بيقين وتأثير أشد مما كان يحدث بعد انضمام قايده اليه .

وربما كان من الصواب هنا أن نلاحظ ، ونحن نتحدث في موضوع جيوش الخان الأعظم ، أنه كان يوجد هناك في كل ولاية من ولايات كاثاي ومانجي (١٠) ، فضلا أن أجزاء أخرى في مملكته ، أشخاص كثيرون عرفوا بالخيانة والتحريض على الفتنة ، ممن كانوا على استعداد في جميع الأحوال للانشقاق عن مولاهم الملك (١١) ووفقا لذلك أصبح من الضروري الاحتفاظ بالجيوش بكل ولاية تحتوى مدنا كبيرة وعددا ضخما من السكان ، تعسكر على مسعدة أربعة أو خمسة أميال من تلك المدن وتستطيع دخولها متى تشاء . وقد جرت عادة الخان الأعظم بأن يغير هذه الجيوش سنة بعد أخرى ، وكذلك كان يفعل بالضباط الذين يقودونها . وبفضل هذه الاحتياطات ، الوقائية ، يرغب الناس على التزام الخضوع والهدوء ، ولا يمكن محاولة أي تحريك أو تعديد مهما كان نوعه ولا ينفق على الجيوش

فحسب من الأعطيات التى يتلقونها من الإيرادات الاميرطورية للولاية ، وانما ايضا من الماشية ولبنها ، وهى أنعام يملكونها شخصيا ، ويرسلونها الى المدن لتباع ، ليتزودوا فى مقابل ذلك بما يحتاجون اليه من سلع (١٢) . وبهذه الطريقة يوزعون فى البلاد ، بأماكن مختلفة ، على مسافة مسيرة ثلاثين يوما أو أربعين بل حتى ستين يوما . فلو أنه تيسر حشد ، حتى نصف هذه الفياق بمكان واحد ، فان بيان عددها سيبدو مثيرا للدهشة لا يمكن تصديقه .

قسم ٢ - حتى اذا شكل الخان الاعظم جيشه على الشاحلة الموصوفة آنفا ، تقدم نحو ممتلكات نايان ، وتمنح بالزحف الشاق المتواصل ليلا ونهارا ، من بلوغها بعد انقضاء خمسة وعشرين يوما . وبلغ من احكام تدبير الحملة ، فى الحين نفسه ، ببالحصافة ، أن لم يتنبه اليها ذلك الأمير ولا اى واحد من أتباعه ، حيث جرت حراسة الطرقات جميعا بطريفة جعلت كل شخص يحاول المرور لا يفلت من الاسر . وعند الوصول الى سلسلة تلال معينة ، يقع فى الجانب الآخر منها السهل الذى يعسكر فيه جيش نايان ، أوقف قبلاى جيوشه ومنحها يومين للراحة . وفى أثناء تلك المدة دعا منجميه ليتأكد له بواسطة فنهم ، وليعلنوا بحضرة الجيش كله ، أى الفريقين سيكون النصر حليفه . فأعلنوا أن النصر سيكون من نصيب قبلاى وكان من دأب الخانات العظام على الدوام ، الاستعانة بالنبوءات بقصد بث روح عالية فى رجالهم والآن وقد أيقنوا بالنجاح ، فانهم صعدوا التل بسرعة فى اليوم التالى ووقفوا وجها لوجه أمام جيش نايان ، الذى وجدوه متخذاً موقفا يتجلى فيه الاهمال ، مجردا من قوات متقدمة أو استطلاعية ، بينما كان الأمير نفسه نائما فى خيمته تصعبه احدى زوجاته . فلما استيقظ ، سارع الى تشكيل جنوده على أحسن وجه أمكن أن تسمح به الظروف ، وهو يتفجع من أن اتصاله بقايدو لم يتم قبل ذلك . واتخذ قبلاى موقعه فى

قلعة خشبية ، محمولة فوق ظهور أربعة أفيال (١٣) ، تحمى أجسامها أغطية من الجلد الغليظ الذى أكسب الصلابة بالنار ، والذى أسبلت عليه أستار من قماش الذهب . وكانت القلعة تضم كثيرا من حملة القوس والنشاب ورماة السهام ، وقد رفع على قممها العلم الامبراطورى ، المحلى بصور الشمس والقمر . فأما جيشه الذى يتألف من ثلاثين كتيبة من الفرسان ، تحوى كل كتيبة عشرة آلاف رجل ، مسلحة بالقسى ، فانه نظمه فى ثلاث فرق لجبة ( ضخمة ) ، فأما الفرقتان اللتان شكلتا الجناحين الأيمن والأيسر ، فانه بسطهما بطريقه تمدهما من الالتفاف حول جيش نايان . وجعل امام كل كتيبة من الفرسان ، خمسامة من جند المتتاة ، مسيحين بالمزاريق المصار والسيوف ، وهم قوم دربوا على الرجوب وراء الخيالة ومرافقتهم كلما شرعوا فى القتال ، تم يترجلون ثانية حيث يعودون الى الهجوم ويقتلون بمزاريقهم خيل الأعداء . وما أن تمت ترتيبات المعركة حتى تفتح حتى عند لا يحصى من آلات النفع من كافة الأنواع ، وأعقبها انشاد الأناشيد ، وفق عادة التتار قبل خوض القتال الذى يبدأ عند صدور الاشارة من الصنوج والطبول ، وكان من دق الصنوج والطبول ، ومن الغناء ما يدهش المرء لسماعه . وبأسر الخان الاعظم ، اعطيت تلك الاشارة اولا للجناحين الأيمن والأيسر ، وعندئذ بدأ قتال عنيف ودموى . فامتلا الجو على الفور بغمامة من السهام تساقطت منهمرة فى كل ناحية ، وشوهدت أعداد هولة من الرجال والخيول تسقط صرعى الى الأرض . وبلغ من شدة ارتفاع صيحات الرجال وصرخاتهم ، ومعها جلبة الخيل واصطكاك الأسلحة ، أن بثت الرعب فى قلوب من سمعوها فلما أن أطلقت جميع سهامهم ، اشتبك الجمعان المتعاديان فى قتال متلاحم بمزاريقهم وسيوفهم ودبابيسهم ، ( وهى القضبان ذات الرءوس الحديدية ) وبلغ من هول المذبحة ، ومن ضخامة أكوام جثث الرجال ، وجثث الخيول بوجه أخضر ، فى الميدان ، أن صار من المحال أن

تزحف أية وحدة من الطائفتين على الأخرى • وهكذا ظل مصير اليوم غير معلوم الى زمن طويل ، وترجع النصر بين الفريقين المتقاتلين منذ الصباح حتى الظهيرة ، اذ بلغ من حمية شعب نايان واخلاصهم لقضية مولاهم ، الذى كان مفرط الكرم والتسامح معهم ، ان كانوا جميعا يفضلون لقاء الموت ، على ادارة ظهورهم للأعداء • واذ أدرك نايان فى النهاية مع ذلك ، أنه أصبح محاصرا تقريبا ، فانه حاول النجاة بنفسه بالفرار ، ولكنه أخذ على الفور أسيرا ، واقتيد الى حضرة قبلاى ، فأمر باعدامه (١٤) • وتم تنفيذ ذلك بوضعه بين بساطين ، لم يزالوا ينفضونهما حتى فارقت روحه بدنه ، وكان الدافع الى هذا الحكم العجيب ، هو انه لم يكن يجوز الشمس ولا الهوام فى عرف التتار أن يشهدا سفك دم فرد ينتمى الى الأمرة الامبراطورية (١٥) فأما من تبقى من جنده على قيد الحياة بعد المعركة ، فقد حضروا لتقديم خضوعهم وحلف يمين الولاء لقبلاى • وكانوا من سكان الولايات الفاخرة الأربع ، تشورزا وكارلى وبارسكول وسيتنجوى (١٦) •

ورأى نايان ، الذى تم له سرا مرسوم التعميد ، وان لم يحلن تنصره على الملأ أبدا ، أن من الصواب فى هذه المناسبة ، أن يرفع علامة الصليب على راياته ، وكان بين جنده عدد جم من مسيحيين ، الذين سقط منهم كثيرون قتلى • وعندما شهد اليهود (١٧) والمسلمون أن راية الصليب قد غلبت ، عيروا السكان المسيحيين بذلك قائلين : « انظروا الى الحالة التى تنحدر اليها راياتكم ( التى بها تفخرون ) ، والرجال الذين يتبعونها ! » وبناء على هذه السخرية ، اضطر المسيحيون الى تقديم شكواهم الى الخان الأعظم ، فأمرهم بمثول المسلمين واليهود بين يديه وعنفهم تعنيفا حادا • قال :

« لئن لم يعد صليب المسيح بالفائدة على حزب نايان ،  
فان هذه العاقبة توافقت والعقل والعدالة ، من حيث انه كان  
ثائرا متمردا وخائنا لمولاه ، ولم يكن الصليب ليتمكنه أن  
يشمل بحمايته مثل هؤلاء الحقراء الأخساء • وبناء على هذا  
لا يجوز لأى فرد أن يجراً أن يتهم رب المسيحيين بالظلم  
الذى هو فى حد ذاته غاية كمال الصلاح والعدل » •

## الفصل الثانى

عن عودة الخان الأعظم الى مدينة.  
كانبالو بعد نصره - وعن التشريف  
الذى جبا به النصرانى واليهود  
والمسلمين والوثنيين ، كل فى عياله -  
وعن السبب الذى قدمه تبريرا لعدم  
اعتناقه المسيحية \*

بعد ان أحرز الخان الأعظم هذا النصر المبين ، عاد الى  
مدينة كانبالو العظيمة بموكب نصر فخم \* وحدث هذا فى  
شهر نوفمبر ، وظل مقيما بها شهرى فبراير ومارس ، الذى  
جرت فيه اعياد الفصح ( القيامة ) عندنا \* ولما كان على بينة  
من أن هذا العيد من اهم أحداثنا المهيبة ، أمر جميع المسيحيين  
بالمثول بين يديه وأن يحملوا معهم « كتابهم » الذى يحتوى  
على الأناجيل الأربعة للرسول الانجيليين \* فأمر بتعطيره  
تعطيرا مكررا بالبخور بأبهة رسمية ، ثم قبله بخشوع ، وأشار  
بأن يحتذى حذوه جميع نبلائه الحاضرين \* وكانت هذه  
هى عادته التى جرى عليها فى كل عيد من الأعياد المسيحية  
الكبيرة ، كميد الفصح ( القيامة ) وعيد الميلاد كما انه كان  
يفعل نفس ذلك الشئ فى أعياد المسلمين واليهود  
والوثنيين (١) \* ولما أن سئل عما دفعه الى هذا السلوك قال :  
« هناك أنبياء أربعة عظام ، توقروهم وتعبدتهم مختلف طبقات  
الجنس البشرى \* فالمسيحيون يعدون يسوع المسيح ربا لهم ،  
والمسلمون محمدا ( . . كذا ١٩٠٠! ) واليهود موسى (٢) ،  
والوثنيون سوجو ممبراركان (٣) ، الذى هو أسمى  
أصنامهم \* وانى لأقدم التكريم وأظهر الاحترام للأربعة



جميعا ، وأدعو لنجدتى أيهم كان فى السماء هو الأعلى حقا .  
ولدن يتجلى من الطريفة التى كان جلالته يتصرف بها معهم ،  
أنه كان يعد عقيدة المسيحيين أصدقهن واحسنهن ، وفد  
لاحظ : انه ما من شىء يفرض على معتنقيها الا كان مترعا  
بالفضيلة والقداسة . ومع هذا فانه لم يقبل بأية حال  
السماح لهم بحمل الصليب أمامهم فى مواكبهم ، اذ عليه ،  
عذبت شخصية سامية كاليسوع وأذيق كاس الموت ( بطريفة  
غير كريمة ) . وربما دار بخلد بعض الناس أن يتساءل :  
لماذا - اذا كان أبدى مثل هذا التفضيل لديانة المسيح - لم  
يتبها ويصبح مسيحيا ؟ وكان السبب فى عدم فعله ذلك ،  
ما أوضحه ليقولا ومافيو بولو ، عندما تجاسرا ، حين  
أرسلهما سفراء له الى البابا ، على توجيه بضع كلمات اليه  
فى موضوع المسيحية . قال : « هل ينبغى لى أن أصبح  
مسيحيا ؟ انكم لا بد أن تدركوا بأنفسكم أن مسيحيا هذه  
الأقطار قوم جهلاء عديمو الكفاءة ، لا يملكون القدرة على  
أداء أى شىء (معجزى) ، بينما ترون أنتم أنفسكم أن الوثنيين  
يستطيعون أن يفعلوا أى شىء يريدونه . فعندما أجلس الى  
المائدة تأتىنى الكؤوس الموضوعة فى وسط القاعة ممتلئة  
بالخمر وغيره من المشروبات ، تلقائيا وبدون أن تلمسها يد  
بشرية ، فأشرب منها . ولديهم القدرة على التحكم فى الجو  
الردىء واجباره على الرجوع الى أى جزء من أجزاء السماء ،  
مع هبات عجيبة أخرى كثيرة من ذلك النوع . وقد شهدتم  
كيف أن لأوثانهم ملكة الكلام ، وانها تنبأ لهم بكل ما يلزم .  
ولو انى اعتنقت دين المسيح وأعلنت نفسى مسيحيا ، لسألنى  
نبلاء بلاطى وغيرهم من الأشخاص ، الذين لا يميلون الى ذلك  
الدين أن أورد لهم الدوافع الكافية التى حملتنى على تلقى  
المعمودية واعتناق المسيحية . وسيقولون : « ما هى تلك  
القدرات الخارقة وما هى تلك المعجزات التى أظهرها  
قساوستها ؟ وذلك بينما يعلن الوثنيون أن ما يظهره يتم  
عن طريق قداستهم وبتأثير أوثانهم » . ولن أستطيع أن أحير

جوابا على هذا ، وسيرون انى أعمل تحت خطأ جسيم ، ذلك  
بينما الوثنيون الدين يمكنهم بواسطة فنهم العميق اتيان  
تلك العجائب ، يستطيعون بغير صعوبة الاجهاز على حياتى \*  
ولكن عليكم بالعودة الى خبركم الاعظم ، وان تسالوه باسمى ،  
ان يرسل الى هنا مائة شخص ، ممن حذقوا شريعتكم \* حتى  
اذا واجههم الوثنيون كانت لديهم القدرة على اكرامهم وردهم  
مبهوتين ، واذا يظهرون انهم هم انفسهم قد وهبوا دنونا  
مماثلة لفتونهم ، وان امتنعوا عن ممارستها ، لأنها تستمد  
من طريق استخدام الأرواح الشريرة ، فسيجبرونهم على  
الامتناع عن اتيان ممارسات من ذلك القبيل بحضرتهم \* فان  
أنا شهدت ذلك ، وضمتهم وديانتهم تحت الخطر ، وسمحت  
لنفسى بأن أعمد \* واحتذاء بى سيقبل كل نبلاى بالمثل على  
تلقى التعميد ، ثم يأتى الوقت الذى يقلدهم فيه رعاياى  
بوجه عام ، بحيث يزيد عدد المسيحيين بهذه الأصقاع ، على  
عدد من يسكنون بلادكم » \* وينبغى أن يتضح من هذا  
الحديث ، أنه لو أن البابا أرسل أشخاصا ذوى قدرة وافية  
على التبشير بالانجيل ، لاعتنق الخان الأعظم المسيحية ، التى  
من المعروف بالتاكيد أنه يميل اليها ميلا قويا \* على أننا ،  
لكى نعود الى موضوعنا ، سنتحدث الآن عن الجوائز وآيات  
التشريف التى يحبو بها كل من يبرز مميزا نفسه بالشجاعة  
والاقدام فى معترك القتال \*

## الفصل الثالث

عن نوع المكائآت التى تمنح لمن  
يبلون البلاء الحسن فى القتل وعن  
اللوحات الذهبية التى يتلقونها •

ويعين الخان الأعظم اثنى عشر من أذكى نبلائه ،  
يتولون التعرف على سلوك ضباط جيشه وجنده ، وبخاصة  
أثناء الحملات وفى المعارك ، وتقديم تقاريرهم اليه (١) ، حتى  
إذا أبلغ عن جدارة كل منهم ، رقاهم فى خدمته ، رافعا من  
يقود مائة رجل ( يوزباشى ) ، الى قيادة ألف ( بكباشى ) ،  
ويهدى الى الكثيرين منهم أوعية من فضة ، فضلا عن مألوف  
اللوحات أو التفويضات الخاصة بالقيادة والحكم (٢) ،  
واللوحات ( أو البراءات ) التى تعطى لقادة المائة رجل  
مصنوعة من الفضة ، والتى تعطى لقواد الألف تصنع من  
الذهب أو من الفضة المذهبة ، كما أن من يقودون عشرة  
آلاف يتلقون لوحات من الذهب ، تحمل رأس أسد (٣) ،  
ووزن الأوليين مائة وعشرون « ساجى saggi » (٤) ، والتى  
تحمل رأس الأسد مائتان وعشرون • وتقع فى أعلى نقوش  
البراءة جملة مفادها التالى : « بحول الله العظيم وقوته ،  
وبفضل النعمة التى يسوغها لامبراطوريتنا ، ليتبارك اسم  
الكاآن ، وليتجرع كل من يعصى ( كل ما هو موضح هنا )  
كأس الموت وليدمر تدميرا » • وللضباط الذين يحملون هاته  
البراءات امتيازات ترتبط بها ، كما ان النقوش تجدد  
الواجبات وسلطات قياداتهم • فمن كان على رأس مائة ألف  
رجل ، أو من هو قائد عام لجيش أعظم ، فله لوحة ذهبية

زنتها ثلاثمائة ساجى ، وعليها النص سالف الذكر ، وقد  
نقش فى أسفلها شكل اسد ، مع صور تمثل الشمس والقمر \*  
وهو يمارس أيضا امتيازات قيادته العليا ، كما هو موضح  
فى هذه اللوحة الفاخرة \* وحيثما ركب أمام الملاء ، رفعت  
فوق رأسه مظلة ، تدل على الرتبة والسلطة التى يتولاها (٥)  
واذا هو جلس كان جلوسه دوما على كرسى من الفضة \* وينعم  
الخان الأعظم ، كذلك أيضا ، على بعض نبلائه ببراءة  
(لوحات) ، رسمت عليها أشكال السنقر (٦) ، يخول لهم أيضا  
بفضلها ، أن يصطحبوا معهم ، كحرس شرف ، الجيش الكامل  
لأى أمير كبير \* وفى امكانهم كذلك استخدام خيول الاسطبل  
الامبراطورى حسبما يهوون ، كما يستطيعون وضع أيديهم  
على خيول أى ضابط يقل عنهم فى الرتبة \*

## الفصل الرابع

عن شخص الخان الأعظم وقامته  
- وعن زوجاته الرئيسيات الأربع -  
وعن اختيار الفتيات في كل عام من  
أجله بولاية أنجوت .

ان قبلاى الذى يلقب بالخان الأعظم أو أمير الامراء ،  
ذوقامة متوسطة ، فهو ليس بالطويل ولا بالقصير ، وأطرافه  
حسنة التكوين ، كما ان شخصه بأكمله متناسب تناسباً  
مضبوطاً وبشرته شقراء ، مشربة بين فينة وأخرى بحمرة  
تشابه الحمرة الزاهية للورد ، وهو أمر يزيد طلعته بهاء  
وجمالاً . وعيناه سوداوان وجميلتان ، وأنفه جميل الشكل  
أشبه " وله أربع زوجات يمتزج بالمكانة الأولى (١) ويعتبرن  
شرعيات ويتولى العرش أكبر أبناء أية واحدة فيهن ، بعد  
وفاة الخان الأعظم (٢) . وكلهن تحمل بالتعادل لقب  
الامبراطورة ، ولكل واحدة منهن بلاطها الخاص . وليس لدى  
كل واحدة منهن أقل من ثلاثمائة شابة أنثى ذات جمال باهر ،  
بالإضافة الى عدد جم من الفلمان الذين يتولون الخدمة ،  
وغيرهم من الخصيان ، فضلاً عن وصيفات غرفة النوم ، بحيث  
يبلغ عدد الأفراد الملحقين ببلاط كل واحدة منهن عشرة  
آلاف (٣) .

وعندما يرغب جلالته فى صحبة احدى امبراطوراته ،  
فانه اما أن يرسل فى طلبها ، أو يذهب بنفسه الى قصرها .  
وفضلاً عن أولئك فان لديه سرارى كثيرات ، قد أعددن  
لاستعماله الخاص ، وأحضرن من ولاية بلاد التتار اسمها

انجوت \* وهى ولاية فيها مدينة بذلك الاسم ، يمتاز سكانها  
بوسامة الملامح وشقرة البشرة «(٤)» \* والى ذلك الاقليم يرسل  
الخان الأعظم موظفيه سنة بعد أخرى ، أو أدنى من ذلك ،  
حسبما تهوى مشيئته ، فيجمعون له ما تبلغ عدته أربعمائة  
أو خمسمائة من أملح الشواب فتنة وفق تقدير الجمال المبلغ  
اليهم فيما لديهم من تعليمات \* واليكم طريقة تقويمهم للفتاة  
من هؤلاء : فعند وصول هؤلاء المبعوثين يصدرون الأوامر  
بتجميع جميع قتيات الولاية ، ويعينون قوما ذوى اهلية  
لفحصهن ، فيقومون بتفقدن تفقدا دقيقا كلا على حدة ،  
بمعنى أنهم يتفقدون الشعر واللامح والمحاجب والنم  
والشفاه وغير ذلك من القسما وكذا سيمتريه هذه كلها  
بعضها مع بعض ، ويقدرن قيمتهن بسطة عشر  
قيراطا أو سبعة عشر أو ثمانية عشر أو عشرين قيراطا ،  
حسب ما يتحلين به من درجة أكبر أو أصغر من الجمال (٥) \*  
وعندئذ يجرى اختيار العدد الذى يحتاج اليه  
الخان الأعظم ، ربما على معدلات عشرين أو واحد  
وعشرين قيراطا ، التى حددت عليها مهمتهم ، ثم يحملن بعد  
ذلك الى بلاطه \* وعند وصولهن الى حضرته ، يامر باجراء  
فحص جديد لهن على يد مجموعة أخرى من المفتشين ، فيجرون  
اختيارا آخر بينهن ، حيث يحتفظ لمخدعه الخاص بثلاثين أو  
أربعين أو ستين تقديرا أعلى \* ويعهد هؤلاء « ابتداء » وكلا  
على حدة ، الى عناية زوجات بعض النبلاء ، اللواتى يتعين  
عليهن مراقبتهن بغاية الانتباه ، أثناء الليل ، للتحقق من انه  
ليس بهن أية نقائص مستورة ، وأنهن ينمن نوما هادئا  
ولا يحدثن شخيرا أثناء النوم ، وأن أنفاسهن عطرة وأنهن  
خاليات من الروائح الكريهة فى أى جزء من أجزاء الجسم \*  
حتى اذا مر بهن هذا الفحص القاسى ، قسمن الى جماعات من  
خمس ، تتولى كل جماعة منهن أثناء ثلاث ليال وثلاثة أيام  
الخدمة فى جناح جلالته الداخلى ، حيث عليهن أن يقمن بكل  
خدمة تطلب منهن ، ثم انه يفعل بهن ما يشاء \* فاذا تمت

هذه الدورة ، حلت محلهن جماعة أخرى ، ولا يزال الأمر على ذلك بالتعاقب حتى يأخذ العدد كله دوره ، حيث تعاود الخمس الأولى عملها فى الخدمة • ولكن بينما تقوم جماعة بعملها فى المخدع الجوانى ، تكون جماعة أخرى متخذة مكانها فى الجناح الخارجى المجاور ، حتى اذا احتاج جلالته الى شىء ، كالشراب أو الطعام ، أشارت الجماعة الأولى بأوامره الى الجماعة الثانية ، فتتولى على الفور الحصول على المادة المطلوبة : وهكذا تتم خدمة شخص جلالته على نحو قاطع على يد هؤلاء الانثيات الشابات دون غيرهن (٦) فأما بقية البنات اللواتى حصلن على تقدير منخفض ، فانهن يوكلن الى مختلف نبلاء القصر ، فيعطونهن التعليم والارشاد فى شئون الطبخ ، وصنع الثياب ، وغير ذلك من الأعمال المناسبة ، كما يخصصن لائى شخص يمت الى البلاط ويعبر عن رغبته فى اتخاذ زوجة ، فينعم عليه الخان الأعظم بواحدة من هؤلاء الأوانس ، ومعها بائنة سنية • وبهذه الطريقة يتكفل بهن جميعا بين أفراد نبلائه • وربما دار بخلدنا أن نسأل : ألم يكن أهل تلك الولاية يشعرون بمضض لأخذ الملك بناتهم منهم غصبا هكذا ؟ — كلا بكل تأكيد ، اذ أنهم ، على العكس ، كانوا يعدون ذلك فضلا وتشريفا لهم ، ومن كانوا آباء لأطفال حسان ، كانوا يشعرون بالرضا التام لتنازله باختيار بناتهم : فهم يقولون : « ان ولدت ابنتى تحت نجم سعيد الطالع وفى يمن من الحظ ، فان جلالته خير من يستطيع تنفيذ قسمتها على خير وجه بتزويجها من نبيل ، وهو أمر ليس فى مكنتى أن أفعله » • فان حدث أن أساءت البنت السلوك ، أو وقع لها أى أذى ( تفقد به أهليتها ) ، نسب الوالد ما أصابها من خيبة أمل الى سوء طالعها •

## الفصل الخامس

عن أولاد الخان الأعظم من زوجاته  
الأربع ، الذين يجعلهم ملوكا على  
مختلف الولايات - وعن تشينجيز  
ولده البكر - وكذلك عن أبنائه من  
سراريه ، الذين يجعلهم نبلاء .

رزق الخان الأعظم اثنين وعشرين ابنا من زوجاته  
الأربع الشرعيات ، وتقرر أن يكون أكبرهم ، واسمه  
تشينجيز (١) ، وريثا لمرتبة الخان الأعظم ، مع تولى الحكم  
فى الامبراطورية ، وتأكد له هذا التعيين أثناء حياة والده  
على أنه لم يقدر له أن يعيش بعده ، ولكنه اذ خلف ابنا اسمه  
ثيمور ، فانه كممثل لأبيه سيتولى السلطان (٢) . وميول  
هذا الأمير كريمة ، كما أنه وهب الحكمة والشجاعة ، وقدم  
الآيات الدالة على شجاعته بمعاركه المظفرة العديدة . وفضلا  
عن هؤلاء فان جلالته رزق خمسة وعشرين ابنا من سراريه  
المحظيات ، وكلهم جنود شجعان ، وذلك لاشتغالهم على الدوام  
بالمهام العسكرية . وقد منحهم جميعا رتب النبلاء . ويتولى  
سبعة من أبنائه الشرعيين رئاسة ولايات وممالك مترامية  
الأطراف (٣) يحكمونها بحكمة وحسن تدبير ، كما هو المنتظر  
من أبناء من لم يبرز صفاته العظيمة ، حسب التقدير العام  
للناس جميعا ، أحد من أبناء الجنس التترى .



## الفصل السادس

### عن القصر العظيم الأخاذ للخان الأعظم ، قرب مدينة كانباو \*

جرت عادة الخان الأعظم ان يقضى ثلاثة أشهر من السنة ، هي ديسمبر ويناير وفبراير ، بمدينة كاباو العظيمة ، الواقعة قرب الطرف الشمالى الشرقى لولاية كاثاي (١) وهنا ، فى الجانب الجنوبى للمدينة الجديدة ، يوجد موقع قصره الهائل ، واليكم وصفا لشكله وأبعاده :  
قأولا يوجد هناك مربع محوط بسور وخندق عظيم ، وطول كل ضلع فى المربع ثمانية أميال (٢) ، وله على مسافة متساوية من كل طرف بوابة دخول ، ليحتشد هنا الناس اللاجئون من كل صوب وحذب ، وفى داخل هذا التسوير من الجوانب الأربعة ، يوجد فضاء براح عرضه ميل تمسك فيه الأجناد (٣) ، وهذا يحدده سور آخر يحوط مربعا ذا ستة أميال (٤) له ثلاث بوابات فى الجانب الجنوبى وثلاث فى الشمالى ، البوابة الوسطى منها أكبر من الأخريات ، ولا تبرح مغلقة على الدوام الا فى مناسبات دخول الامبراطور أو خروجه \*

فأما البابان الجانبيان فيظلان مفتوحين دائما يستخدمهما السابلة العاديون (٥) ويقف فى وسط كل قسم من هذه الأسوار بناء جميل ورحيب ، ونتيجة لهذا فانه يوجد فى داخل التسوير أو التحويطة ثمانية من مثل هذا البناء ، تودع فيها المخزونات العسكرية الملكية ، حيث يخصص مبنى واحد لاستقبال كل صنف من أصناف المخزونات \*

وهكذا يحدث مثلاً أن اللجم والسروج والركايات وغيرها من لوازم تجهيز الخيالة ، تشغل مخزناً واحداً ، بينما تشغل القسي ، والأوتار والكنانات والسهام وجميع الأدوات الأخرى التى تخص النشابة ( الرماة ) ، مخزناً آخر ، هذا إلى أن الدروع والزرود وغيرها من أنواع المجنات المصنعة من الجلد ، تشغل مخزناً ثالثاً ، وهكذا دواليك .

وتوجد أيضاً داخل هذه التحويطة المسورة أخرى ذات سماكة عظيمة يبلغ ارتفاعها خمسة وعشرين قدماً كاملة .

فأما المزاغل أو حواجز الشرفات المسننة ( وهى الفتحات الموجودة بأعلى الأسوار ) فكلها بيضاء . وهذا بدوره يشكل مربعا امتداده أربعة أميال ، كل جانب فيه ميل واحد ، كما أن له ست بوابات ، تستخدم بنفس شاكلة التحويطة السابقة (٦) . وهو يضم بالمثل ثمانية مبان ضخمة ، نظمت بنفس الطريقة ، وخصصت لخزائن ملابس الامبراطور (٧) .

وتزدان القضاات الممتدة بين أحد الأسوار والذى يليه بأشجار كثيرة باسقة ، كما تحتوى على مروج تحفظ فيها أنواع مختلفة من البهائم ، كالوعول ، والحيوانات التى تفرز المسك ، والأياثل ، والأياثل السمرء وأصناف أخرى من نفس الفصيلة . وكل فراغ بين الأسوار ، لا تشغله مبان ، يملأ بالحيوان على هذا النحو ، فالمرعى تحوى الكلاً الوفير . والطرق التى تمر فيها تجعل جسراً يرتفع ثلاثة أقدام عن مستوى المرعى ، كما أنها مرصوفة فلا يتجمع عليها وحل ، ولا تستقر عليها مياه مطر ، وإنما هى على العكس تسيل وتساعد على تحسين حال النبات . وفى أحضان هذه الأسوار ، التى تؤلف حداً طوله أربعة أميال ، تقف سراى الخان الأعظم ، وهى تعد أرحب قصر عرف حتى اليوم . وهو يمتد من السور الشمالى إلى السور الجنوبى ، غير تارك إلا فضاء خالياً ( أو فناء ) ، يمر فيه ذهاباً وعودة أشخاص ذوو مكانة والحرس العسكرى .

وليس له طابق علوى ، وان كان سقفه مرتفعاً جداً (٨) والأساس المرصوف ( أو الطوار ) الذى تقف عليه السراى ، يرتفع عشرة أشبار انجليزية - أى سبعة أقدام ونصف فوق مستوى الأرض ، وقد بنى حوله من جميع الجهات حائط من الرخام ، عرضه خطوتان ، الى مستوى هذا الطوار ، الذى شيدت السراى داخل حدوده ، بحيث ان الحائط الممتد وراء التصميم الأرضى ، والمحيط بالمبنى كله ، تكون شرفة ، كل من مشى عليها يبدو للعيان من الخارج ، وأقيم على امتداد الحافة الخارجية للحائط « درايزين » جميل ، له أعمدة ، يسمح للناس بالاقتراب منه (٩) وقد زينت جوانب القاعات الكبيرة والأجنحة أشكال الأفعوانات المحفورة والمموهة بالذهب ، مع أشكال المحاربين والطيور والبهايم ، وكذا الصور المثلثة للمعارك .

وقد تفنن مصممو السقف بحيث جعلوه لا يبدو منه للمعين من الداخل الا كل ما هو مموه بالذهب أو مطلى بالألوان (١٠) وتوجد عند كل جانب من جوانب القصر الأربعة مجموعة فخمة من السلالم الرخامية ، تصعد بها من مستوى الأرض الى الحائط الرخامى الذى يحيط بالمبنى ، والذى يشكل الطريق المؤدى الى القصر عينه والقاعة الكبرى مفرطة الطول والعرض وتسمح باقامة الولايم بها لأعداد غفيرة من الناس . ويحتوى القصر على عدد من الغرف المنفصلة ، وكلها بالغة الجمال نفدت بطريقة مثيرة للاعجاب حتى ، ل يبدو من المستحيل اقتراح ادخال أى تحسين على نسق تنظيمها .

وقد زين السقف من الخارج بألوان شتى ، ما بين أحمر وأخضر ولازوردى وبنفسجى كما أن نوع عجينة الطلاء هو من القوة بحيث يدوم عدة سنوات (١١) والزجاج المركب بالتواقد من جودة الصنع والرقعة بحيث يحوى شفافية البلور (١٢) وتقوم فى مؤخرة جسم السراى نفسها مبان

ضخمة تحتوى على عدة أجنحة ، تودع فيها أشياء الملك  
الخصوصية أو ما يكتنزه من سبائك الذهب والفضة والاحجار  
الحريمة واللآلئ ، وكذلك أوعيته المكونة من صحاف الذهب  
والفضة (١٣) .

وهنا توجد أيضا أجنحة زوجاته ومحظياته الأثيرات ،  
وأنه فى هذا الموقع الهادئ المنعزل ليتصرف فى الشئون  
على راحته ، اذ يخلو تماما من كل نوع من أنواع الازعاج  
وعلى الجانب المقابل للقصر الكبير ، وفى مواجهة القصر الذى  
يقيم فيه الامبراطور ، يوجد قصر آخر ، يماثله من جميع  
الاجهه وقد خصص لاقامة تشنجيز (Chingis) ابنه البكر ،  
وتراعى فى بلاطه جميع المراسم المرعية فى بلاط أبيه ، وذلك  
بوصفه الأمير الذى سيخلف أباه فى حكم الامبراطورية (١٤)  
وهناك ، غير بعيد من القصر فى الجانب الشمالى ، وعلى  
مرمى السهم تقريبا من السور المحاوط ، جيبيل تراى  
مصطنع ، ارتفاعه مائة خطوة أو تزيد ، ومحيطه عند  
القاعدة يقارب الميل .

وهو مغطى بأجمل ما ترى الأعين من الأشجار دائمة  
الخضرة ، وذلك أن جلالته كلما تلقى معلومات عن شجرة  
جميلة تنمو بأى مكان ، أمر بها فاقتلعت بكل جذورها والتربة  
المحيطة بها ، ومهما بلغت ضخامتها وثقل وزنها ، أمر بها  
فنقلت بواسطة الفيلة الى هذا الجيبيل وأضافها الى المجموعة  
الخضراء . ومن هذه الخضرة الدائمة اكتسب اسم « الجيبيل  
الأخضر » ( أو . . الجبلية الخضراء ) .

وأقيم على قمته جوسق زخرفى ، أخضر اللون كذلك من  
أوله لآخره . ويشكل المنظر العام مجموعة : الجيبيل نفسه ،  
والأشجار والمبنى ، مشهدا بهيجا وعجيبا فى الوقت نفسه .  
وتوجد فى القسم الشمالى كذلك ، وأيضا داخل حدود  
المدينة ، حفرة ضخمة وعميقة ، كونت بحكمة ، حيث اتخذت

التربة المأخوذة منها المادة اللازمة لاقامة الجبلية (١٥) •  
وتزود الحفرة بالماء من نهر صغير يجرى إليها ، ولها مظهر  
بركة السمك ، وان قصر استعمالها على سقى الماشية •

ومن ذلك المكان يمر ماء النهر على امتداد سقاية مياه  
( أى مجرى عيون ) عند سفح « الجبل الأخضر » منطلقة  
ليمتد حفرة أخرى كبيرة وشديدة العمق ، احتفرت بين القصر  
الخصوصى للامبراطور وبين قصر ابنة تشنجيز وبالمثل ساعدت  
التربة التى احتفرت من هنا على زيادة ارتفاع الجبل •

وفى هذا الحوض الأخير مقدار ضخيم ومتنوع الأصناف  
من السمك ، تزود منه مائدة جلالة بأية كمية قد يحتاج  
الأمر إليها • ويصب النهر مياهه فى النهاية المقابلة للمستطع  
المائى . وتتخذ الاحتياطات للحيلولة دون هرب السمك بوضع  
شبيكات النحاس أو الحديد عند مدخلها ومخرجها • وهو  
زاحر أيضا بالبجيج وغيره من الطيور المائية • ويتم الاتصال  
بين هذا القصر وذاك بواسطة معبر ملقى عبر المياه • تلك  
هى حفة هذا القصر العظيم • وسنتحدث الآن عن موقع مدينة  
تاي دو وظروفها •

## الفصل السابع

عن مدينة تاي دو الجديدة ،  
المشيعة قرب مدينة كانبالو - وعن  
قاعدة مرعية تتعلق بتسليحة السفراء -  
وعن الشرطة الليلية بالمدينة \*

تقع مدينة كانبالو قرب نهر كبير ، فى ولاية كاثنى ،  
وكانت فى الزمان الخالى باذخة الفخامة ملكية \* وينطوى  
الاسم نفسه ضمنا على معنى مدينة الملك (١) ، على أن جلالتة  
وقد استقى رأيا من المنجمين مفاده أنها مقدور عليها أن  
تتمرد على سلطانها ، عول على ابتناء عاصمة أخرى ، على  
الضفة المقابلة من النهر ، التى تقوم فيها القصور السابق  
وصفها : بحيث تنفصل المدينتان ، الجديدة والقديمة ،  
أحدهما عن الأخرى بواسطة النهر الذى يفيض بينهما ليس  
غير (٢) \* وأطلق على المدينة الحديثة البناء اسم تاي دو (٣) ،  
وإضطر جميع الكاثانيين ، أى جميع السكان الذين هم من  
أهل كاثنى ، الى الجلاء عن المدينة القديمة ، والسكن  
بالجديدة \* ومع هذا فان بعض السكان ، الذين لم يخامره  
شك فى ولائهم ، سمح لهم بالمكث ، وذلك بوجه خاص ، لأن  
المدينة الثانية ، وان بنيت على أبعاد ، سنوضحها من فورنا ،  
لم تكن قادرة على استيعاب نفس العدد الذى تتسع له الأولى ،  
وهى مدينة ذات سمعة مترامية (٤) \*

وشكل هذه المدينة الجديدة مربع تماما ، وامتدادها  
أربعة وعشرين ميلا ، حيث لا يزيد ولا يقل كل ضلع من

أضلاعها عن ستة أميال (٥) وهى محوطة بأسوار من الثرى (٦) ،  
سمعتها عند القاعدة يهارب عنى خطوات ، ولحنه يسافص  
تدريجيا كلما اقترب من القمة بحيث لا تزيد التخانة عن  
ثلاث خطوات والمزاغل (٧) . (Battlements) (أى الفتحات المقرجة)  
بالسور بجميع الاجزاء بيضاء اللون . وقد جرى تخطيط  
الخريطة الكاملة للمدينة برسمها بطريقة منتظمة ، فصارت  
الشوارع على وجه الجملة ، تبعا لذلك ، من بالغ الاستقامة ،  
بحيث انه متى صعد انسان الى السور فوق احدى البوابات ،  
ونظروا امامه رأسا ، لا يمكنه أن يرى البوابة المقابلة له من  
الجانب الآخر من المدينة (٨) ، وتقوم على كلا الجانبين فى  
الشوارع العامة الأكشاك والدكاكين من جميع الأصناف  
والأوصاف (٩) .

وكانت جميع قطع الأرض التى شيدت عليها المساكن بكل  
أرجاء المدينة ، مربعة ومحاذية بعضها البعض على استقامة  
خط واحد بالضبط ، وكانت كل قطعة رحبة بالقدر السكافى  
لاقامة المبانى الجميلة ، مع كل ما يتعلق بها من أفنية  
وحدائق . وكانت تخصص قطعة لكل رأس عائلة بمعنى أن  
شخصا ما من قبيلة ما كان يختص بمربع من الأرض ، وكذلك  
شأن الباقيين جميعا . ثم ما لبثت الملكية بعد ذلك أن انتقلت  
من يد الى يد . وبهذه الطريقة صار داخل المدينة بأجمعه  
مقسما الى مربعات ، تماثل لوحة الشطرنج ، ومخططا بدرجة  
من الدقة والجمال لا سبيل الى وصفها . ولسور المدينة اثنتا  
عشرة بوابة ، لكل ضلع من أضلاع المربع منها ثلاث ، ويقوم  
فوق كل بوابة ومقصورة فى السور بناء جميل ، بحيث أنه  
توجد فى كل ضلع من أضلاع المربع خمسة من تلك الأبنية ،  
يحتوى كل على غرف واسعة تودع بها أسلحة الرجال الذين  
يشكلون حامية المدينة (١٠) ، حيث يحرس كل بوابة ألف  
رجل (١١) . وينبغى ألا يفهم من هذا أن هذه القوة تعسكر  
هناك نتيجة الخوف من خطر أية قوة معادية ، ولكن بوصفها

حرسا مناسباً لهيبة العاهل وشرفه \* ومع هذا ينبغي ان ندخل فى حسابنا ان اعلان المنجمين قد اتار سى عمه درجه ما من التسبهاات المتعلقة بالكاتائين \* ويوجد بوسط المدينة جرس كبير ، معلق فى بناء مرتفع ، يدفونه كل ليلة ، ولا يجرو انسان بعد الدقة الثالثة أن يتواجد فى الشوارع (١٢) الا ان يتون مضطرا تحت دافع ملح ، كطلب النجدة لامرأة فى المخاض ، أو رجل فاجأ المرض ، بل انه حتى فى هذه الأحوال نفسها يلزم الشخص بحمل نور فى يده (١٣) \*

وتوجد فى الجانب الخارجى من كل بوابة ضاحية ، هى من الاتساع بحيث تمتد الى الضاحيتين الواقفتين عند أقرب بوابتين منها على كل من الجانبين وتتحد بها ، كما انها تمتد فى الطول الى مسافة ثلاثة أميال أو أربعة ، بحيث ان عدد السكان فى هذه الضواحي يفوق عدد سكان المدينة ذاتها \* وتوجد داخل كل ضاحية ، وعلى مسافات متفرقة ، ربما بلغت الواحدة منها ميلا فى البعد عن المدينة ، كثير من الفنادق أو المسافر خانات - (Caravanserais) ، التى ينزل بها (١٤) التجار الوافدون من مختلف الأرجاء ويخصص لكل صنف من أصناف الناس بناء منفصل ، أو كما قد تقول ، واحد للمبارديين ، وآخر للجerman ، وثالث للفرنسيين \*

ويبلغ عدد العاهرات اللائى يتجرن بأعراضهن مقابل المال ، مع احتساب من يقمن بالمدينة الجديدة ، فصلا عنهن بضواحي القديمة ، خمسة وعشرين ألف بنى (١٥) \* وقد جعل على كل مائة وكل ألف من هؤلاء البنغايا ضباط مشرفون يأمرون بأوامر قائد عام ، ومرد وضعهم تحت مثل هذه القيادة هو التالى : عندما يصل سفراء مكلفون بأى عمل ، يتصل بمصالح الخان الأعظم ، فقد جرت العادة بالنفقة عليهم على حساب جلالته ، ولكى يعاملوا بأبلغ تكريم يؤمر القائد بتزويد كل فرد من أفراد السفارة كل ليلة بأحدى هؤلاء العاهرات \* التى يجرى تغييرها بالمثل كل ليلة ، وهى خدمة



لا يتفاضين عليها اى اجر نظرا لانها تعد شبه اتاوة عديهن  
(داوها للعاهل \* )

ويواصل حراس يؤلفون مجموعات من ثلاثين او اربعين  
رجلا السير فى دوريه بشوارع المدينة طواى الليل منه ،  
ويمومون بالبحث جديا عن افراد قد يكونون خارج بيوتهم  
فى ساعة غير مناسبة ، اى بعد الدقة الثالثة للجرس ،  
فادا التقوا باى واحد منهم فى تلك الظروف ، القوا القبض  
عليه فورا وحبسوه ، وأخذوه فى الصباح لاستجوابه ، أمام  
ضباط معينين لهذا الغرض (١٦) ، يحكمون عليه طبقا  
لطبيعة المخالفة التى ارتكبها ، متى ثبتت عليه أية جريمة ،  
بعقوبة الضرب على القدمين ضربا شديدا أو خفيفا ، وهو  
أمر قد يترتب عليه مع ذلك موته أحيانا . وبهذه الطريقة  
يجرى عادة انزال العقوبة على الجريمة بين هؤلاء الناس ،  
نتيجة العزوف عن سفك الدم ، الذى هو شئ علمهم  
منجموهم العلماء (Baksis) تجنبه (١٧) .

والآن وقد وصفنا داخل مدينة تاي دو ، فاننا سنتحدث  
الآن عن جنوح سكانها من أهل كاثاى الى العصيان .

## الفصل الثامن

عن الأعمال الغادرة التي تستخدم  
لدفع مدينة كانباليو الى العصيان ،  
وعن اعتقال من لهم شأن بذلك  
وعقابهم .

سنشير فيما بعد اشارة خاصة الى تأليف مجلس من اثني  
عشر شخصا ، لهم سلطات التصرف كما يشتهون ، في الأراضي  
والحكومات وكل شيء يتبع الدولة .

وكان من بين هؤلاء عربي اسمه اتشمك ( ١ ) ، وهو رجل  
ماكر وجريء ، فاق نفوذه عند الخان الأعظم نفوذ الأعضاء  
الآخرين . وبلغ من اقتتان مولاه به أن سمح له بالانغماس  
في كل تخط للقواعد والأصول . حقا انه تم بعد وفاته ،  
اكتشاف ، أنه تمكن بواسطة الرقي ، من أن يفتن لب جلالته ،  
حتى اضطره الى منحه اذنه وثقته في أي شيء خيله له ،  
وتمكن بهذه الوسيلة من التصرف في جميع الأمور طبقا  
لارادته التعسفية الخاصة .

وكان يهب لمن يشاء الحكومات والوظائف العامة ،  
ويصدر الأحكام على جميع المدنيين ، وعندما يحس ميلا الى  
التضحية بأي رجل يحمل له في نفسه ضغنا ، لم يكن عليه  
الا أن يتوجه الى الامبراطور ويقول له : « ان هذا الشخص  
ارتكب ذنبا في حق جلالتكم يستحق عليه الموت » . وهو أمر  
اعتاد الامبراطور أن يجيب عنه بقوله : « افعل ما يحلو لك » ،  
فيأمر به على الفور فيعدم . وكانت الأدلة على السلطة التي

يملكها ، وعلى ايمان جلالته المطلق بما يعرضه عليه من  
الوضوح بحيث ان أحدا من الناس لم يكن لديه الجرأة على  
مناقضته فى أى شىء ، كما أن شخصا ، مهما علت رتبته أو  
منصبه لم يكن الا أن يعيش فى رهبة منه . فان هو اتهم أى  
إنسان بارتكاب جريمة قتل فانه مهما بلغ من اهتمامه بتبرئة  
نفسه ، لم يكن ليمك الوسيلة لتفنيد التهمة الموجهة اليه .  
لأنه ما كان يستطيع الحصول على معام . اذ لا يجرو أحد  
على معارضة ارادة اتشمك ، وبهذه الوسائل تمكن من انزال  
الموت ظلما بكثير من الناس .

وفوق هذا ، فان أية أنثى حسناء تصبح غرضا لشهوانيته  
لم يكن مفر من أن يتخايل على اقتناصها ، اما باتخاذها زوجة  
ان كانت غير متزوجة ، والا فانه يجبرها على الخضوع  
لرغباته .

وكان اذا بلغه أن لأى رجل ابنة جميلة ، أرسل رسله  
الى والد الفتاة وزودهم بالتعليمات بأن يقولوا له : « ماذا  
تنوى أن تفعل بابنتك الجميلة هذه ؟ لن تجد سيلا أحسن من  
تزويجها من نائب الملك أو وكيله » (٢) أى من أتشمك ،  
وذلك لأنهم هكذا كانوا يسمونه ، للدلالة على أنه ( ممثل  
جلالته ) . « سنتوسط لديه حتى نقنعه بأن يعينك حاكما  
على كذا أو فى وظيفة كذا مدة ثلاث سنوات » . فاذا سال  
لعابه وتم اغراؤه على هذا النحو رضى أن يفارق طفله ،  
فاذا بلغ تدبير الأمر الى هذا المدى ، انقلب أتشمك الى  
الامبراطور وأبلغ جلالته أن هناك وظيفة حاكم معينة  
شاغرة ، أو أن المدة التى يشغلها فيها شاغلها ستنتهى فى  
يوم كيت ويرشح والد الفتاة مزكيا اياه بأنه شخص له  
كل المؤهلات اللازمة لتولى ذلك المنصب فيوافق جلالته على  
ذلك وينفذ على الفور . وبمثل هذه الوسائل تمكن ، اما عن  
طريق التلميع فى الحصول على الوظائف الكبيرة . أو الخوف

من سلطانه وبطشه ، من الوصول الى التضحية له بأجمل  
الشابات ، اما باسم الزوجية واما بوصفهن رقيق شهواته •

وكان له أولاد بلغ عددهم خمسة وعشرين ، كانوا  
يشغلون أعلى المناصب فى الدولة واستغل بعضهم ، سلطان  
ابيهم ، فأنشأوا علاقات زنا أثيمة وارتكبوا أعمالا كثيرة أخرى  
فخلىعة ومحرمة • وجمع أتشمك كذلك ثروة عظيمة ، وذلك  
لأن كل من شاء تعيينا فى وظيفة وجد من الضرورى له أن  
يقدم اليه هدية فاخرة •

وظل أثناء مدة اثنين وعشرين عاما يمارس هذا السلطان  
المطلق (٣) • وأخيرا لم يعد سكان البلاد ، أى الكاثائيون ،  
قادرين على تحمل أعماله الظالمة المتضاعفة ولا الشرور  
الصارخة التى كانت ترتكب ضد عائلاتهم ، فعقدوا  
الاجتماعات لتدبير الوسائل لقتله ورفع لواء العصيان على  
الحكومة •

وكان بين الأفراد المشتغلين بوجه رئيسى فى هذه  
المؤامرة كاثائى يدعى تشن كو ، وهو كبير على ستة آلاف  
رجل ، كان يتحرق حنقا على ما أصابه من اغتصاب لأمه  
وزوجته وابنته ، فرسم الخطة لأحد مواطنيه ، وهو يدعى  
فان كو ، وكان على رأس عشرة آلاف رجل (٤) ، وأوصى بان  
يكون التنفيذ فى اللحظة التى يرحل فيها الخان الأعظم ، بعد  
اتمامه مدة الشهور الثلاثة التى يقيمها بكانبالو ، الى قصره  
بشان دو (٥) ، وبعد أن ينسحب ابنه تشنجيز أيضا للاستجمام  
فى المكان الذى اعتاد أن يرتاده فى ذلك الفصل حيث يعهد  
بالمدينة الى أتشمك ، فيبلغ الى مولاه كل ما يجد من أمور  
أثناء غيابيه ، ويحصل مقابل ذلك على آيات مرضاته • فلما  
أن أتم فان كو وتشن كو عقد هذا التشاور معا ، أبلغوا  
خطتهما الى بعض الشخصيات القائدة بين الكاثائيين ، فأبلغوها  
بدورهم الى أصدقائهم بكثير من المدن الأخرى •

ومن ثم تم الاتفاق بينهم على أنه ، فى يوم محدد ، فور رؤيتهم اشارة بشكل نار ، ينبغى لهم أن يهبوا ويقتلوا كل ذى لحية ، مع مد الاشارة الى أماكن اخرى ، حتى يتم تنفيذ نفس الشيء بكل أرجاء البلاد •

وكان معنى التمييز فيما يتعلق باللحى هو التالى ، انه بينما الكاثائيون انفسهم عديمو اللحى بالطبيعة ، فان التتار والمسلمين والمسيحيين يرخون لحاهم (٦) ، وينبغى ان يفهم ان الخان الأعظم نظرا لأنه لم يحصل على السيادة فى كائى بأى حق قانونى ، ولكن بحد السيف وحده ، كان عديم الثقة بالسكان ، ومن ثم فانه أسلم جميع وظائف الحكم بالولايات وجميع الرياسات للتتار والمسلمين والمسيحيين وغيرهم من الأجانب ، ممن يدينون بالولاء والانتماء لأسرته وقصره ، وهم من يمكنه أن يثق فيهم •

ونتيجة لهذا امتلأت قلوب السكان كافة بالكراهية لحكومته ، خاصة وقد وجدوا انفسهم يعاملون معاملة الرقيق من هؤلاء التتار ويلقون من المسلمين معاملة أسوأ وأسوأ (٧)!

حتى اذا تم لهما ترتيب خططهما على هذا النحو ، تحايل فان كو وتشن كو على الدخول الى القصر ليلا ، وامر الاول وقد اتخذ مجلسه على أحد المقاعد الملكية ، باضاءة انوار الجناح جميعا ، وأرسل الى أتشمك رسولا ، وكان يسكن فى المدينة القديمة ، يطلب حضوره فورا لمقابلة تشنجنيز ، ابن الامبراطور ، الذى ( يجب على الرسول أن يقول ) وصل على غير انتظار فى تلك الليلة • ودهش أتشمك كثيرا لهذا الخبر ، ولكن نظرا لشدة خوفه من الأمير ، لم يسمعه الا أن يطيع على الفور (٨) •

وعند مروره من بوابة المدينة ( الجديدة ) ، التقى بضابط تترى يسمى كوغاتاى ، وهو قائد حرس عدتهم اثنا عشر ألفا ، فسأله الى أين هو ذاهب فى تلك الساعة المتأخرة •

فأجابه بأنه ذاهب ليكون فى حضرة تشنجز وخدمته  
الذى سمع بمقدمه من فوره .

فقال الضابط : « كيف يمكن ان يكون وصل بمثل هذه  
السرية الشديدة ، بحيث لم اعلم بوصوله فى وقته لدى امر  
كوكبة من حرسه بمرافقته ؟ (٩) » وفى الحين نفسه تأكد  
الكاثائيان أنهما لو نجحا فقط فى قتل اتشمك ، فلن يخافا  
شيئا بعد ذلك \* وعند دخوله القصر ورؤيته الأنوار الكثيرة  
المضاءة ، خر ساجدا على الأرض أمام فان كو ، ظاننا انه  
الامير ، وهنا فصل تشن كو ، وقد وقف هناك شاهرا سيفه .  
رأسه عن جسده .

وكان كوغاتاي توقف عند الباب ، ولكنه عندما شاهد  
ما جرى ، صاح بأن هناك خيانة ، ثم أرسل على الفور سهما  
الى فان كو وهو جالس على العرش فارداه فتيلًا \* وعندئذ  
دعا رجاله ، فألقوا القبض على تشن كو ، وأصدر أمرا الى  
المدينة باعدام كل من وجد خارج البيوت فورا \* على أن  
الكاثائيين ، وقد أدركوا أن التتار اكتشفوا المؤامرة ، وقد  
حرموا أيضا من زعيمهم ، اللذين قتل أحدهما وأودع الآخر  
السجن ، لزموا بيوتهم ، ولم يتمكنوا من عمل الاشارات الى  
المدن الأخرى ، على ما جرى عليه الاتفاق \*

وعلى الفور أرسل كوغاتاي رسلا الى الخان الأعظم ، مع  
سرد مفصل لكل ما حدث ، فجاءه الرد توجيهها بأن يقوم  
بتحقيق دقيق فى الخيانة وأن يعاقب كل من وجده مشتركا  
فى الجريمة على قدر اشتراكه فيها \*

وفى اليوم التالى استجوب كوغاتاي جميع الكاثائيين ،  
وأنزل على المتآمرين الرئيسيين عقوبة الاعدام \* وتم مثل  
ذلك بالنسبة للمدن الأخرى التى عرف انها اشتركت فى  
الجريمة \*

ولما أن عاد الخان الأعظم الى كانبالو ، أبدى رغبة فى معرفة اسباب ما حدث ، وعندئذ علم أن أتشمك - سبى السير هو وسبعة من أولاده ( ان لم يكونوا جميعا مذنبين بالمثل ) اقتفوا تلك الكبائر الشنيعة التى سبق وصفها - فأصدر أوامره بنقل الثروة التى جمعها المتوفى اكداسا لا يصدقها عقل ، من مقر اقامته فى المدينة القديمة الى الجديدة حيث أودعت خزائنه الخاصة - ثم وجه كذلك أمرا بأن تنبش جثته من قبره ، وتلقى فى الشارع لكى تنهشها الكلاب وتمزقها اربا ( ١٠ ) .

فأما الأبناء الذين حذوا حذو أبيهم فيما اقتترف من آثام ، فأمر بهم فسلخوا أحياء \* واذا أنعم التفكير أيضا فى مبادئ طائفة المسلمين الملعونة ( كذا !! ٩٩ ) ، التى تتسامح واياهم فى ارتكاب كل جريمة وتسمح لهم بقتل كل من اختلف عنهم فى العقيدة ( كذا !! ٩٩ ) ، بحيث انه حتى أتشمك البغيض ، نفسه هو وأبناؤه لربما ظنوا أنفسهم أبرياء مطهرى الأيدي من كل اثم ، فانه وضعهم موضع الاحتقار والمقت الشديد \* وتبعاً لذلك ، فانه استدعى هؤلاء القوم للمثول بين يديه ، وحرم عليهم مواصلة أداء كثير من الأعمال التى تفرضها عليهم شريعتهم ( ١١ ) ، وأصدر أمره اليهم بأن يكون زواجهم مستقبلاً وفق نظم التتار وعرفهم ، وأنه بدلا من طريقة قتل الحيوانات لتؤكل بذبحها من حلوقها ، ينبغى عليهم أن يبقروا بطونها \* وفى الوقت الذى حدثت فيه هذه الأحداث كان ماركو بولو موجودا عن قرب .

والآن سننتقل الى كل ما يتصل بتأسيس البلاط الذى يقيمه الخان الأعظم .

## الفصل التاسع

### عن الحرس الخاص للخان الأعظم •

يتألف الحرس الخاص للخان الأعظم ، كما هو معلوم للجميع ، من اثني عشر ألف فارس ، يطلق عليه اسم كاسيتان « Kasitan » ومعناها « الجند المخلصون لسيدهم » (١) ومع هذا ، فليس مرد احاطته بحرسه أن هناك أى مخاوف تساوره ، ولكن ذلك يعد مسألة أبهة رسمية • وهؤلاء الجند الاثنا عشر ألفا يقودهم أربعة ضباط عظام ، كل واحد منهم على رأس ثلاثة آلاف ، وكل ثلاثة آلاف منهم تقوم بأعمال مستديمة فى القصر ، لمدة ثلاثة أيام متعاقبة بلياليها ، فاذا انتهت المدة حل محلهم فريق آخر • فاذا أتمت الفرق الأربع أداء واجبها ، عاد الدور على الأولى مرة ثانية • وفى أثناء النهار ، لا يغادر القصر التسعة آلاف الذين ليست عليهم نوبة الحراسة ، مع ذلك الا متى كانوا يعملون فى خدمة جلالته ، أو كان أفرادها يستدعون لبعض شئونهم المنزلية • وفى تلك الحالة ينبغى لهم الحصول على اذن بالتغيب عن العمل من ضابطهم المتولى الامرة ، واذا حدث ، نتيجة لأى حادث خطير ، كان يكون والده أو أخ أو أى قريب دانى القربى مشرفا على الموت ، مما يعرض عودتهم للتأخر ، وجب أن يتقدموا بالتماس الى جلالته لمد اجازتهم • ولكن فى أثناء الليل يأوى هؤلاء الاثنا عشر ألفا الى ثكناتهم •



## الفصل العاشر

عن الطريقة التي يعقد بها الخان  
الأعظم مجالسه العامة ، ويجلس على  
المائدة مع جميع نسلاته - وعن  
الطريقة التي يجرى بها في القاعة  
استخدام أوعية الشراب المصنوعة من  
الذهب والفضة ، والمملوءة بلبن  
الأفراس والشوك - وعن المراسم التي  
تحدث عندما يشرب .

عندما يعقد جلالته مجلس بلاط فخيم وعلمي ، يجلس من  
يحضرونه على الترتيب التالي : توضع مائدة الملك أمام عرشه  
المرتفع ، ويتخذ مجلسه في الجانب الشمالى ووجهه متجه  
نحو الجنوب ، وتليه عن يساره الامبراطورة ، وعن يمينه  
على مقاعد أخفض قليلا أبنائه وأحفاده وأشخاص آخرون  
يتمتون اليه بأصرة الدم ، أى أنهم ممن ينحدرون من نفس  
الأرومة الامبراطورية ومع ذلك فإن مقعد تشنجيز ، ابنه  
الأكبر ، يرتفع قليلا عن مقاعد أبنائه الآخرين ، الذين  
تكون رؤوسهم تقريبا عند مستوى قدمى الخان الأعظم .  
فأما الأمراء الآخرون والنبلاء فأماكنهم الى مناضد أخفض  
أكثر ، وتجرى مراعاة نفس القواعد فيما يتعلق بالاناث (١) ،  
حيث تجلس زوجات أبناء الخان الأعظم وأحفاده وأقربائه  
الآخرين ، الى اليسار على موائد أخفض بالمثل تدريجيا ، ثم  
تجىء زوجات النبلاء والضباط العسكريين : حيث ان كلا  
منهم يجلس طبقا لرتبته ومنزلته فى المكان المخصص له ،  
والذى هو أهل له . وترتب المناضد بطريقة تتيح للخان

الأعظم وقد جلس على عرشه المرتفع الاطلاع على الجمع كله .  
على انه لا يجوز ان يفهم ان جميع من يجتمعون في هذه  
المناسبات ، يمكن اجلاسهم الى موائد \* اذ على عكس ذلك ،  
تتناول الغالبية الكبرى من الضباط (أو الموظفين) ، بل حتى  
من النبلاء ، طعامها جلوسا على بسط مدت في القاعة ، كما  
يقف في خارجها ، جمع غفير من الأشخاص الذين يفدون  
من أقطار مختلفة ، ويجلبون معهم كثيرا من الأشياء النادرة  
والعجيبة \* وبعض هؤلاء مقطعون : ( أصحاب اقطاعيات )  
يرغبون في اعادتهم الى ممتلكات سحبت منهم ، ويظهرون  
دائما في الأيام المخصصة للاحتفالات العامة ، أو مناسبات  
الزيجات الملكية (٢) .

وتوجد وسط القاعة التي يجلس فيها الامبراطور الى  
مائدته ، قطعة فاخرة من الأثاث ، جعلت في شكل خزانة  
مربعة ، طول كل جانب فيها ثلاث خطوات \* وقد حفرت  
عليها حفرا أنيتا أشكال الحيوانات ، وموهت بالذهب \*  
وهي مجوفة من الداخل ، ليودع بها زهرية ضخمة قد صورت  
بشكل جرة ، وصنعت من مواد نفيسة ، وحسب لها أن تتسع  
لما يقارب برميلا كاملا ، وقد ملئت بالخمر (٣) \* ويقف على  
كل جانب من جوانبها الأربعة وعاء أصفر ، تقارب سعته  
البرميل الكبير ، وأحدها مملوء بلبن الأفراس وآخر بلبن  
النياق وهكذا دواليك بالنسبة للآخرين حسب أنواع الشراب  
المستعمل (٤) .

وتوضع في هذا الصوان ( البوفيه ) أيضا الأقداح أو  
القناني الخاصة بجلالته ، والتي يقدم فيها الشراب \* ومنها  
ما هو مصنوع من الصفائح المذهبة الجميلة (٥) \* وحجمها  
من الكبير بحيث انها حين تملأ بالنبيذ أو غيره من الأشربة ،  
يصبح ما فيها كافيا لثمانية رجال أو عشرة .

وتوضع واحدة من هذه القناني (٦) أمام كل شخصين  
ممن لهم مقاعد على الموائد ، مع ضرب من المفرقة صنع بشكل

فنجان له يد ، وهو أيضا مصنوع من صفائح المعدن النفيس ،  
لكى تستخدم لا فى اخراج التبيد من القنينة فقط \* ولكن فى  
رفعه الى الرأس \* ويراعى هذا فيما يتعلق بالنساء متلما  
يراعى بالنسبة للرجال أيضا \* وما يملكه جلالة من أدوات  
المائدة المصنوعة من نفيس المعدن شئ لا يصدق عقل من  
حيث المقدار والنفاسة (٧) \* ويعين أيضا مسئولين لهم  
مكانتهم ، يتعين عليهم التحقق من ان جميع الغرباء الذين  
يتصادف وصولهم ساعه الحفل ، والذين يجهلون آداب اللياقة  
( الايتيكيت ) المتبعة فى البلاط ، قد حصلوا على أماكن  
مناسبة ، كما أن هؤلاء المشرفين على الموائد يواصلون على  
الدوام المرور بكل جزء من أجزاء القاعة ، ليسألوا الضيوف  
عما اذا كانوا لم يقدم اليهم شئ ما ، أو عما اذا كان أى  
واحد فيهم يرغب فى شئ من الخمر أو اللبن أو اللحم أو  
غيرها من الأشياء ، وفى تلك الحالة يقدم اليهم الخدم الشئ  
المطلوب فورا (٨) \*

ويقف عند كل باب من أبواب القاعة الكبرى ، أو أى  
جزء آخر يتصادف وجود الخان الأعظم بداخله ضابطان  
ضخما الجثة ، واحد على كل جانب من جانبى الباب ، وقد  
أشهرها هراوتيهما ، بقصد منع أى شخص من أن يمس بقدمه  
عتبة الباب وارغامه على الابتعاد عنها \* فان حدث بمحض  
الصدفة أن وقع انسان فى هذا الجرم ، جرده هذان الحاجبان  
من ثوبه ، وتحتم عليه أن يسترده بالمال ، واذا هما لم يأخذا  
الرداء ، أنزلا به عددا من الضربات بقدر ما لهما الحق فى  
انزاله \* ولكن ، لما كان من الممكن ألا يعرف الغرباء نبأ هذا  
الخطر ، فقد عين بعض الضباط لادخالهم ، ومنهم يتلقون  
التحذير من فعل ذلك ، ويتخذ هذا الاحتياط لأن مس العتبة  
يعتبر هناك فال سوء (٩) \* على أنه قد يحدث أثناء مغادرة  
الحضور القاعة العامة أن يكون بعضهم متأثرا بالشراب  
فيستحيل عندئذ التعرز من تلك الحسادثة وعندئذ لا يتم

تنفيذ الأمر بدقة (١٠) • ويتحتم على الأفراد الكثيرين الذين يتولون الخدمة عن خوان جلالته ، والذين يقدمون إليه الطعام والشراب ، أن يغطوا أنوفهم وأفواههم بأقنعة جميلة أو غلالات من الحرير المشغول ، مخافة أن تتأثر أطعمته أو نبيذه بأنفاسهم • فإذا طلب جلالته الشراب وقدمه إليه الوصيف المنوط ، تأخر ثلاث خطوات ثم ركع ، وعند ذلك ينطرح على الأرض منبطحين مثله رجال البلاط والحاضرون جميعا وفي نفس اللحظة ، تشرع في العزف جميع الآلات الموسيقية التي تحملها فرقة كثيرة العدد ، ولا تبرح تعزف حتى يذف جلالته عن الشراب ، وهنا يعود الجمع كله الى الوضع السوى ، وتكرر هذه التحية المترعة بالتبجيل كلما شرب جلالته قدحا (١١) ولا حاجة بنا أن نتحدث عن الأظعمة ، لأنه من الممكن تماما أن نتصور أن وفرتها مفرطة جدا • فإذا انتهت الوليمة ، ورفعت الموائد ، دخل القاعة أشخاص مختلفو الأوصاف ، بينهم فرقة من الكوميديين واللاعبين على آلات مختلفة ، كما يدخلها كذلك البهلوانات والحواة الذين يعرضون مهارتهم بحضرة الخان الأعظم ، ويحظون يسرور المشاهدين العظيم ومرضاتهم (١٢) • فإذا انتهت تلك الألعاب ، تفرق الناس ، وعاد كل الى بيته •

## الفصل الحادى عشر

عن العيد الذى يقام بجميع ممتلكات  
الخان الأعظم فى اليوم الثامن والعشرين  
من سبتمبر ، وهو يوم عيد ميلاده .

يحتفل جميع رعايا الخان الأعظم من تبار وغيرهم  
بيوم ميلاد جلالته عيداً ، وهو اليوم الثامن والعشرون من  
سبتمبر ( ١ ) ، وهذا هو أعظم أعيادهم ، بعد استثناء العيد  
الذى يقام فى رأس السنة ، وسيجىء وصفه فيما بعد .  
وفى يوم هذا العيد السنوى يبرز الخان الأعظم أمام الناس  
فى ثوب فاخر من قماش الذهب ، وفى نفس المناسبة يكسو  
عشرين ألفاً كاملة من النبلاء وضباط الجيش بأكسية تماثل  
كسائه من حيث اللون والشكل ، وإن لم تكن المواد المصنوعة  
منها الأكسية تعادل ما للملك فى الفخامة . ومع هذا فهى من  
خالص الحرير المصبغ بلون الذهب الابريز ( ٢ ) ، ثم انهم  
يتلقون مع الأردنية ، أيضاً نطاقاً من جلد الأروى ( الشموه )  
مشغولاً شغلاً عجيباً بخيوط الذهب والفضة ، وكذلك زوجاً  
من الأحذية ( ٣ ) . وبعض الأكسية مزينة بقدر من الأحجار  
الكريمة والدرر ( اللآلىء ) ، تصل قيمته الى ألف بيزنط من  
الذهب ، كما انها ينعم بها على قرب النبلاء الى شخص  
الامبراطور ، حسب درجة الثقة بهم فى المهام التى توكل اليهم  
ويسمى ن كوستارى ( ٤ ) ، ويتعين أن ترتدى هذه الأكسية فى  
الاحتفالات المهمة الثلاثة عشر التى تقام فى الشهور القمرية  
الثلاثة عشر فى السنة ( ٥ ) ، حين يظهر من يرتدونها بمظهر  
ملكى حقاً . وعندما يتخذ جلالته أى رداء بعينه ، يرتدى

نبلاء بأطله اردية مقابلة لرداء الامبراطور ، وان تكن اقل نقطة ، وهى جاهزة على الدوام (٦) والثياب لا تجدد كل عام . ولكنها بعكس ذلك تصنع بحيث تدوم عشر سنوات . ومن هذا الاستعراض يمكنكم أن تكونوا فكرة عن أبهة الخان الأعظم وفخامته ، التى لا تضارعها فخامة أى عاهل فى العالم كله .

وفى مناسبة هذا الاحتفال بعيد ميلاد الخان الأعظم ، يرسل اليه جميع رعاياه من التتار ، وكذا شعب كل مملكة وولاية فى طول ممتلكاته وعرضها ، هدايا نفيسة ، طبقا لعادة مرعية مقررة . وكذلك أيضا يقدم الهدايا كثير من الأفراد الذين يتوافدون الى البلاط ، التماسا لامارات يدعون فيها بعض الحقوق ، وتبعا لذلك يعطى جلالته التوجيهات الى محكمة الاثنى عشر ، الذين أوتوا الدراية بملك الأمور ، بأن يمهّد اليهم بما تراه مناسبا من ولاية الأقاليم والحكومات (٧) ، وفى هذا اليوم أيضا ، يرفع جميع النصارى والوثنيين والمسلمين ، ومعهم بقية الناس من جميع الأصناف والأوصاف ، الصلوات الحارة الصادقة كل الى ربه أو وثنه ، أن يبارك المليك ويهبه طول العمر والعافية والرفاهية . وما أبلغ الابتهاجات والتفاريح بعودة عيد ميلاد جلالته !! . . . وسنحدثك الآن عن عيد آخر ، يسمى بالعيد الأبيض ، الذى يقام عند بداية السنة .

## الفصل الثانى عشر

عن العيد الأبيض ، الذى يقام فى  
أول أيام شهر فبراير ، لأنه رأس  
السنة عندهم - وعن عدد الهدايا  
التي تقدم عندئذ - وعن المراسم التي  
تحدث عند مائدة نقش عليها اسم  
الخان الأعظم .

من المؤكد تماما أن التتار يؤرخون بداية سنتهم بأول  
فبراير (١) ، ولهذه المناسبة جرت عادة الخان ، وكذا كل  
رعاياءه ، بمختلف بلادهم ، أن يرتدوا البياض ، الذى هو  
حسب معتقداتهم علامة الحظ السعيد (٢) ، كما أنهم  
يرتدون هذا اللون عند بداية السنة ، على أمل أنه على طول  
مدى تلك السنة ، لا يحدث لهم الاكل ما هو سعيد وأن  
يحفظوا بالمسرة والراحة .

وفى هذا اليوم يبادر سكان جميع الولايات والممالك  
الذين يملكون الأراضي أو حقوق الاختصاص الادارية أو  
القضائية تحت ولاية الخان الأعظم ، بإرسال الهدايا الثمينة  
من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، ومعها قطع كثيرة من  
القماش الأبيض ، التي يضيفونها الى الهدايا ، بنية أن يحظى  
جلالته على طول السنة بأكملها بسعادة لا تنقطع ، وأن يملك  
من الكنوز ما يكفي لنفقاته كلها . وبنفس هذه النظرة  
يتبادل النبلاء والأمراء وجميع مراتب المجتمع هدايا مماثلة  
من مواد بيضاء بمنازلكهم ، حيث يتعاقبون بين مظاهر الفرح  
والابتهاج والتعبيد وقولهم ( كما جرت عادتنا نحن أنفسنا

فعل ذلك ) ، « نرجو أن يلازمك الحظ السعيد طوال السنة المقبلة ، وأن ينجح كل ما تقوم به من أعمال حسبما تتمنى » (٣) \* وفى هذه المناسبة تهذى الى الخنان الأعظم أعداد كبيرة من الخيول البيضاء ، فان لم تكن تامة البياض فانه يكون على الأقل هو اللون السائد فيها والخيول البيضاء ليست شيئا غير شائع بهذه البلاد .

وفوق هذه فقد جرت العادة فى تقديم الهدايا الى الخان الأعظم ، لمن فى طوقهم تقديمها ان يقدموا تسعاً مضروبة فى تسع من المادة التى تتألف منها الهدية \* وهذا ، لو فرض مثلاً ، ان ولاية أرسلت هدية ، فان الرعيل - يحوى تسعاً فى تسع ، أى واحداً وثمانين رأساً ، وهكذا أيضاً شأن الذهب ، أو القماش ، حيث يقدمون قطعاً عدتها تسعاً فى تسع (٤) ، وبهذه الوسيلة يتلقى جلالته فى هذا الانتقال مالا يقل عن مائة ألف حصان \* وفى هذا اليوم تعرض فيلته التى تبلغ الخمسة آلاف عدا فى موكب طويل وعليها أغطية من القماش ، مشغولة شغلا بديعاً وثقيلاً بالذهب والحريز ، يمثل صور الطير والوحش (٥) \* ويحمل كل فيل منها على كتفيه خزانتيين مملوءتين بآنية الذهب والفضة وغيرها من الأجهزة اللازمة لاستخدام البلاط ، ثم يجىء قطار من الابل ، محمل بالمثل بمختلف قطع الأثاث اللازمة (٦) \* فاذا تم تنظيمها نظاماً حسناً ، مرت فى موكب استعراض أمام جلالته وشكلت منظراً ساراً للناظرين .

وفى صباح الاحتفال ، وقبل مد المناضد ، يدخل الى القاعة الكبرى أمام الامبراطور ، جميع الأمراء والنبلاء على اختلاف مراتبهم (٧) ، والفرسان والمنجمون ، والأطباء ، ومدربو الصقور مع كثيرين غيرهم ممن يتولون الوظائف العامة ، والنظار الذين يتولون شئون الناس وشئون الأرض (٨) ، فضلاً عن ضباط الجيش \* فمن لم يستطع الحصول على مكان فى الداخل ، وقف خارج المبنى ، فى موقع



يكون فيه تحت بصر المليك ، وينظم الحشد بالطريقة  
التالية : فتخصص الأماكن الأولى لأبناء جلالته واحترامه  
وجميع أفراد الأسرة الامبراطورية . ويلى هؤلاء ملوك  
الاقاليم (٩) ونبل الامبراطورية ، حسب درجاتهم العديدة  
فى تعاقب منتظم . فاذا حل كل امرئ فى المكان المخصص  
له ، ينهض شخص ذو مكانة عالية ، أو كما قد نقول ، مطران  
عظيم. (١٠) ويقول بصوت عال : « انحنوا وقدموا التبرجيل » ،  
لينحنى الجميع توا حتى تلمس جباههم الأرض . وللمرة  
التانية يصيح المطران : « لينبارك الله مولانا وليحفظه طويلا  
مستمتعا بالسعادة ! » فيجيبه الناس قائلين : « اللهم استجب ! »  
ويعود المطران فيقول مرة أخرى : « فليزد الله امبراطوريته  
غظمة ورفاهية ، وليحفظ كل من هم له رعايا زافلين فى  
بركات السلام والرضا ، وليعم الخير الوفير كل اراضيهم ! »  
فيجيب الناس ثانية : « اللهم استجب ! » . وعندئذ ينطرحون  
على الأرض سجدوا أربع مرات (١١) . فاذا تم هذا تقدم  
المطران الى مذبح ، مزين أجمل زينة ، قد وضعت عليه  
لوحة حمراء خط عليها اسم الخان الأعظم . وتقوم الى جوار  
هذا المذبح مبخرة يحرق فيها البخور ، ويعطر بها المطران  
بالأصالة عن كل الحاضرين ، اللوحة والمذبح بطريقة ملؤها  
الاجلال ، وعندئذ ينخر كل الموجودين ساجدين بخضوع أمام  
اللوحة (١٢) . فاذا تم هذا المرسوم ، عادوا الى أماكنهم ، ثم  
قدم كل هديته ، على الوجه الذى سلف ذكره . وبعد أن يعمل  
عرض لهذه الهدايا ، ويلقى الخان الأعظم نظرة عليها ، تعد  
الموائد للوليمة ، ويرتب الحضور ، رجالا ونساء ، أنفسهم  
هناك على الوجه الذى ورد وصفه بفصل سابق . وعند رفع  
الأطعمة ، يتقدم الموسيقيون والممثلون المسرحيون بعروضهم  
لتسلية البلاط ، على الصورة التى رويت آنفا .

ولكن فى هذه المناسبة يقاد أسد الى حضرة جلالته ، هو  
من بالغ الاستئناس بحيث يصبح مدريا على أن يرقد عند  
قدميه (١٣) ومتى تمت هذه الألعاب انصرف كل الى وطنه .

## الفصل الثالث عشر

عن مقدار الصيد الذى يصاد  
ويرسل الى البلاط اثناء شهور  
الشتاء \*

يصدر الخان الأعظم ، أثناء الموسم الذى يسكن فيه  
يعاصمة كاثى ، أى أثناء شهور ديسمبر ويناير وفبراير ،  
وهو الوقت الذى يشتد فيه زمهرير البرد ، وأوامره بخروج  
جماعات القنص بصفة عامة للصيد بجميع الأقاليم الواقعة  
على أربعين مرحلة من البلاط ، ويطالب حكام النواحي أن  
يرسلوا الى المقر الامبراطورى جميع أنواع الصيد فى أكبر  
أحجامها ، مثل الخنازير البرية والظباء والأياكل السمراء ،  
والوعول والديبة ، التى تصاد بالطريقة التالية : يعكف كل  
الأشخاص الذين يمتلكون أرضا بالولاية ، على الأماكن التى  
توجد بها هذه الحيوانات ، فيطوقونها داخل دائرة ، ثم  
يقتلونهم ، بعضها بواسطة الكلاب ولكن فى الأغلب برميها  
بالنبال (١) \* فما استقروا على ارساله الى جلالته تنزع  
أحشاؤه أولا لهذا الغرض ، ثم يرسله على عربات بكميات  
كبيرة من يقيمون فى حدود ثلاثين مرحلة من العاصمة \* فأما  
من يعدون أربعين مرحلة فإنهم فى الواقع لا يرسلون جثث  
الصيد ، بسبب بعد الشقة ، ولكن يرسلون جلوده فقط ،  
بعد تجهيز بعضه ديفا وترك البعض الآخر ادماخا (جلدا) ،  
لكى يستخدم فى أغراض الجيش حسبما يقرره جلالته  
ويراه صالحا \*

## الفصل الرابع عشر

عن الفهود والأوشاق المستخدمة في  
صيد الغزلان - وعن الأسود المعودة  
على مطاردة مختلف الحيوانات - وعن  
النسود التي تدرب على امسك  
الذئب .

يوجد لدى الخان الأعظم كثير من الفهود التي يحتفظ بها  
بقصد مطاردة الغزلان فضلا عن كثير من الأسود التي تكبر  
في حجمها الأسود البابلية ، ولها غلاف حسن كما أنها تمتاز  
بلونها الجميل لأنها مخططة طوليا بخطوط بيضاء وسوداء  
وحمرات . وهي بالغة النشاط في صيد الخنازير البرية ،  
وثيران وحمر الوحش ، والدببة والايائل والوعول ، وغيرها  
من البهائم التي تتخذ صيدا . وانه لمنظر رائع ، ذلك الذي  
يتجلى - عندما يطلق الأسد ليمتقب الحيوان ، وحين يشاهد  
التهلف الوحشي والسرعة الخاطفة التي يدركه بها .

ويأمر جلالتة بنقلها لهذا الغرض في أقفاص توضع  
فوق عربات (١) قد حبس فيها معها كلب صغير ، تكونت  
بينه وبين الأسد ألفة . ويرجع حبسها على هذا النحو الى أنها  
إذا لم تحبس تصبح متوثبة وهائجة لدى رؤيتها القنائص  
بحيث يستحيل السيطرة عليها بالكبح الضروري والأصوب .  
أن تحمل في اتجاه مضاد للريح ، حتى لا تشمها القنائص ،  
فتفر هاربة على الفور ولا تتيح فرصة للصيد . ويملك  
جلالتة أيضا نسورا دربت على الانقضاض على الذئب ،  
وهي من الضخامة والقوة بحيث لا يستطيع ذئب مهما بلغت  
ضخامته الفرار من براثنها .

## الفصل الخامس عشر

عن أخوين هما الموظفان الرئيسيان  
المسؤولان عن الصيد عند الخان الأعظم \*

يوجد في خدمة جلالتهم شخصان ، هما اخوان شقيفان  
لاب وام ، ويسمى أحدهما بيان (١) والآخر منجان ، ويعملان  
في وظيفة تسمى بلفة التتار تشيفتشى (٢) (Chivichi) أى  
« معاون الصيد » ، وهما المنوطان بكلاب الصيد السريع  
منها والبطيء ، وبالدرواس : ( التى هى كلاب حراسه  
ضخمة الجثة ) \*

وكان تحت امر كل من هذين الرجلين جماعة من  
الصيادين مؤلفة من عشرة آلاف رجل ، وكان من هم تحت  
امرة أحد الأخوين يرتدون بدلة رسمية حمراء ، ومن هم  
تحت امرة الآخر ، بدلة زرقاء سماوية ، كلما كانوا فى  
الخدمة - ولا يقل عدد الكلاب ، على اختلاف أوصافها التى  
تصحبهم الى الميدان ، عن خمسة آلاف كلب (٣) - وكان أحد  
الأخوين مع فريقه ينزل الى الساحة عن يمين الامبراطور ،  
وينزل الآخر مع فريقه عن يساره ، ويتقدم كل منهما  
بترتيب منتظم حتى يحيطا قطعة من الأرض ذرعها مسيرة  
يوم كامل - وبهذه الوسيلة لا تفلت منهم بهيمة - وانه لمنظر  
جميل بهيج أن تشهد جهود الصائدين وذكاء الكلاب ، بينما  
الامبراطور داخل الدائرة ، منشغل بالصيد ، وعندما  
يشاهدون وهم يتمقبون ( مع الكلاب ) الأيائل والدبب  
وغیرها من حيوان ، فى كل اتجاه \*

والأخوان ملزمان بتزويد البلاط يوميا منذ بداية  
أكتوبر حتى نهاية مارس بألف قطعة من الصيد ، لا تدخل  
فيها السماني ، وكذلك تزويده بالأسماك التي لا بد من تقديم  
أكبر قدر ممكن منها ، مع تقدير السمكة التي يمكن ثلاثة  
رجال تناولها بقيمة قطعة واحدة من الصيد \*

## الفصل السادس عشر

عن شخصي الخان الأعظم الى  
حلبة الصيد مع سناقيه وصقوره  
- وعن مدرسي صقوره - وعن خيامه -

عندما يقيم جلالته الفترة المعتادة في العاصمة ، ثم يغادرها في شهر مارس يتقدم في اتجاه شمالي شرقي ، حتى يصبح على مسيرة يومين من المحيط (١) ، وبصحبه عشرة آلاف بالتمام من مدربي الصقور ، الذين يحملون معهم عددا هائلا من السناقر ، والبزاة الجواله والصقور ، فضلا عن كثير من النسور ، وذلك بقصد ملاحقة الصيد على امتداد ضفاف النهر (٢) .

وينبغي أن يكون مفهوما أنه لا يحتفظ بهذا الحشد من الرجال ، في مكان واحد ، ولكنه يقسمهم الى مجاميع كثيرة تتكون كل منها من مائة أو مائتين أو أكثر ، يتولون مطاردة القناص في اتجاهات مختلفة فيجلبون الشطر الأعظم مما يصيدون الى جلالته .

وهو يصحب معه أيضا عشرة آلاف رجل من يسمون تاسكاؤل (٣) ، وهي كلمة تدل على أن يقوموا بالحراسة والمراقبة ، وهم ، من أجل ذلك ، مقسمون الى جماعات صغيرة مؤلفة من رجلين أو ثلاثة بمواقف لا يبعد الواحد منها عن الآخر كثيرا بطريقة يحيطون بها بقعة ضخمة من الأرض . وقد زود كل منهم بأداة لمحاكاة صوت الطريدة وطرطور ،

يتمذنون بهما عند الضرورة من محاكاة اصوات الطيور  
وامساكها \*

ومتى صدرت الاوامر فتطير الصقور ، لم يكن من  
يطيرونها ملزمين بمتابعتها ، لأن الآخرين المكلفين بالمتابعة ،  
يترقبون ببالغ الانتباه حتى لا تتجه الطيور في طيرانها الى  
آية جهة لا يمكن الحصول عليها فيها ، أو المبادرة لمساعدتها  
فورا متى دعت الظروف الى ذلك \* ولكل طائر تابع بجلالته  
أو لآى فرد من نبلائه ، بطاقة فضية مثبتة فى ساقه ، قد نقش  
عليها اسم صاحبه وكذلك اسم حارسه \*

ونتيجة لهذا الاحتياط فان الصقر بمجرد أن يعود ،  
يعرف على الفور اسم صاحبه ويعاد اليه تبعا لذلك \* واذا  
حدث أن ظهر الاسم ولم يكن صاحبه معروفا شخصيا لأول  
وهلة لدى من عثر على الصقر ، حمل فى تلك الحالة الى موظف  
يسمونه « البولانجازى » (٤) ، وهو موظف يدل لقيه على  
أنه : « الحارس على الممتلكات التى لا يطالب بها أربابها » \*  
وبناء على هذا ، فمتى عثر رجل على حصان أو سيف أو طائر  
أو آية سلعة أخرى ، ولم يستطع الوصول الى صاحبه ، حملة  
مباشرة الى ذلك الموظف ، فيضمه الى عهده ويحافظ عليه  
بعناية \* واذا حدث ، من ناحية أخرى ، ان وجد شيئا  
مفقودا ، ولم يحمله الى المستودع المخصص لذلك ، عد لصا \*

ومن ضاع منه شيء يتقدم بطلبه الى الموظف ، فيرده اليه ،  
وهم يجعلون موقعه على الدوام فى أعلى مكان فى المعسكر ،  
ويميزونه براية خاصة ، حتى ييسروا على من يشاءون التقدم  
بطلباتهم اليه مهمة العثور عليه بسرعة أكثر \* ونتيجة لهذه  
التعليمات لا تفقد الأشياء نهائيا بأية حال \*

وعندما يقوم جلالته بجولته على هذا النحو ، ميمجا  
شواطئ المحيط ، تحيط كثير من الأحداث المسلية بهذه

الرياضة ، حتى ليتمكن هذا القول بأن شبيهاً من التسلية  
لا يتوقفها فى اى جزء من أجزاء المعمورة (٥) .

ونظرا لضيق الممرات فى بعض أجزاء الاقليم الذى  
يتابع فيه الخان الاعظم الصيد ، فانه يحمل على فيلين فقط أو  
حتى على فيل واحد فى بعض الأحيان ، حيث يكون ذلك أكثر  
ملاءمة من عدد أكبر من الافيال ، ولكن جلالته نى ظروف  
أخرى يستخدم أربعة من الفيلة ، يوضع على ظهورها جوسق  
أو هودج من الخشب ، قد حضر حفرا بديعا (٦) ، وقد بطن  
داخله بقماش الذهب وغطى ظاهره بجلود الأسود (٧) ، وهى  
وسيلة حمل ضرورية له أثناء رحلات صيده حتمتها اصايتها  
بالنقرس ، الذى يكابد منه . وهو يحمل معه على الدوام فى  
هودجه اثنى عشر من خيرة سناقره ، مع اثنى عشر ضابطا من  
بين المقربين لكى يؤنسوه ويسمروا معه . ويخطر من  
يتمطون خيولهم الى جواره باقتراب الكراكى أو غيرها من  
الطيور ، فيرفع ستار الهودج ، حتى اذا شاهد القنيسة أصدر  
تعليماته باطلاق السناقر التى تمسك بالكراكى ثم تتغلب  
عليها بعد صراع طويل ، ويجلب مرأى هذه الرياضة على  
قواد جلالته ، وهو متكئ على نمركته ، : (وسادته) ، مسرة  
عظيمة ، كما تسعد الضباط الذين يرافقونه والخيالة الذين  
يحيطون به . فاذا استمتع جلالته على هذا النحو بهذه التسلية ،  
أمد بضع ساعات ، أوى الى مكان يسمى «كاكزارمودين» (٨)  
قد أقيمت فيه فساطيط وخيام أبنائه وكذلك نبلائه ،  
وحرسه الخاص (٩) ومدربى الصقور ، وهم يتجاوزون  
المشرة آلاف عدا ، ولهم منظر يسر الناظرين .

فأما خيمة جلالته ، التى يجرى فيها مقابلاته ، فهى من  
بالغ الطول والعرض بحيث يمكن أن يصطف فيها عشرة آلاف  
جندى مع ترك متسع للضباط العظام وغيرهم من ذوى المكانة  
العالية (١٠) ويواجه مدخلها الجنوب ، كما أنه توجد فى



جانبها الشرقى خيمة أخرى متصلة بها ، تؤلف صالونا  
فسيحا ، يشغله الامبراطور عادة ، مع عدد قليل من نبلته ،  
وعندما يرى من الصواب أن يتحدث الى أشخاص اخرين ،  
فانهم يدخلونهم عليه فى ذلك الجناح . ويوجد فى مؤخرة  
هذا الجناح مخدع ضخم وجميل ، ينام فيه ، وهناك أيضا  
خيام واجنحة كثيرة أخرى ( خصصت لمختلف فروع خاصته ) ،  
وأهل بيته ، ولكنها لا ترتبط ارتباطا مباشرا بالخيمة  
الكبرى . وتقام هذه الردهات والمخادع جميعا كما تؤثت  
كذلك على الطريقة التالية : فكل واحدة منها تدعمها ثلاثة  
أعمدة خشبية ، معفورة حفرا جميلا ومموها بالذهب .  
وقد غشيت الخيام من الخارج بجلود الأسود ، المخططة  
بالسواد والبياض والحمرة ، كما أنها من جودة الالتحام  
بعضها ببعض بحيث لا تستطيع اختراقها رياح ولا مطر .

وهى من الداخل مبطنة بفراء القاقم ( الارمين )  
والسمور ، وهى أغلى أنواع الفراء كلها ثمنًا ، وذلك لأن  
فراء السمور اذا كان مداه يكفى لصنع ثوب ، لبلغ ثمنه  
ألفى بيزنطى من الذهب ، شريطة أن يكون مبرأ من كل  
عيب ، فان لم يكن كذلك ما تجاوز ثمنه ألفا واحدة . ويغالى  
به التتار ويعدونه ملك الفراء ( ١١ ) . والحيوان الذى  
يسمونه بلفتهم روندز ( ١٢ ) يقارب حجمه حجم فأرة الخيل .  
وبهذين النوعين من الجلود تقسم القاعات وكذا غرف النوم  
تقسيمًا جميلاً الى مقاصير صغيرة ، تؤثت وتنظم فى شئ كثير  
من الذوق والمهارة . وطنب الخيام أى حبالها ، التى يشدونها  
بها مصنوعة كلها من الحرير .

وعلى مقربة من الخيمة الكبرى لجلالته توجد خيام  
نسائه ، وكلها جميلة الصنع فاخرة . ولديهن بالمثل سناقرهن  
وصقورهن وغيرها من الطيور والبهائم التى يشتركن  
بواسطتها فى متعة اللهو ( ١٣ ) ولا يكاد عقل يصدق عسود

الاشخاص الذين يجمعون في هذه المخيمات ، وان المشاهد قد يتصور نفسه موجودا داخل مدينة أهلة بالسكان ، فما أظن ذلك الجمع المتقاطر من كل فج من الامبراطورية . ويحيط بالخان الأعظم في تلك المناسبة جميع أفراد أسرته وخاصته وأهل بيته ، وأعنى بذلك أطباءه وفلكييه ومدربي صقوره ، وجميع ما عدا ذلك من أصناف الموظفين (١٤) .

ويظل بهذه الأصقاع حتى العشية الأولى لعيد القيامة (١٥) عندنا ، وهو لا يكف أثناء تلك الفترة عن ارتياد البحيرات والأنهار ، حيث يصطاد اللقلاق والبجع ومالك الحزين وأنواعا كثيرة من الطيور الأخرى . ونظرا لأن رجاله كانوا يوزعون على أماكن مختلفة كثيرة . فانهم كانوا يحصلون على مقادير ضخمة من القنائص . وبهذه الطريقة كان يستمتع ، أثناء فصل لهوه ، بمتع لا يتصورها شخص لم يرها رأى العين ، اذ أن عظمة وضخامة الرياضة والطراد كانت أعظم من كل بيان . ويحرم القانون تحريما تاما على كل تاجر أو حرفي أو ميكانيكي أو مزارع ، بكل ممتلكات جلالته ، الاحتفاظ بنسر ، أو صقر ، أو أى طير آخر يستخدم فى مطاردة الصيد ، ولا أى كلب للطراد ، ولا كان يجوز لأى نبيل ولا فارس أن يجرؤ على مطاردة بهيمة أو طائر بمكان يجاور المكان الذى يحل فيه جلالته . ( حيث تحدد المسافة بخمسة أميال ، مثلا فى جانب ، وعشرة فى جانب آخر ، بل ربما خمسة عشر ميلا فى اتجاه ثالث ) ، ما لم يدرج اسمه فى قائمة يحتفظ بها كبير مدربي الصقور ، أو ما لم يكن له امتياز خاص ينص على ذلك على أن الصيد مباح خارج تلك الحدود . على أن هناك مع ذلك أمرا ، يحظر على كل شخص بكل أرجاء البلاد الخاضعة للخان الأعظم ، سواء أكان أميرا أم نبيلًا أم فلاحا ، أن يتجاسر على قتل الأرانب والوعول والأياثل ، والأطباء أو أى

حيوان من هذا القبيل ولا أى طيور كبيرة فى المدة بين شهرى مارس وأكتوبر ، وذلك بغية نموها وتكاثرها ، ولما كانت مخالفة هذا الأمر ، تقابل بعقوبة ، فان الصيد بجميع أوصافه يتزايد تزايدا هائلا . فاذا انقضت الفترة المعتادة ، عاد جلالتة الى العاصمة ، بنفس الطريق الذى جاء منه ، مواصلا رياضة الصيد أثناء الرحلة كلها .

## الفصل السابع عشر

عن الجهرة الغيرة من الأشخاص  
الذين لا يفتأون يؤمون مدينة كانبالو  
وينتادرونها - وعن تجارة هذا المكان .

يعقد الخان الأعظم عند عودته الى عاصمته ، جلسة عظيمة وفخمة للبلاط ، تستمر ثلاثة أيام يادب أثناءها المادب ، أو يقدم الملهيات والتسليات الى كل من يحيط به . والحق أن ملهيات هذه الأيام الثلاثة جديدة بالاعجاب . ولست أغالى ان قلت ان وفرة السكان ، وعدد المنازل بالمدينة فضلا عن الضواحي خارج المدينة ، ( وعددها اثنا عشر ، تتقابل والاثنى عشرة بوابة ) ، شئ يتجاوز ما تدركه الأبواب . بل الواقع ان الضواحي أكثر سكانا من المدينة نفسها ، وبها ينزل التجار وغيرهم ممن تدفعهم أعمالهم الى العاصمة ، والذين يأوون فى أعداد غفيرة بسبب كونها مقر البلاط ، والحق انه حيثما عقد جلالاته بلاطه ، تقاعز هنالك هؤلاء الناس من كل صوب وحذب ، كل يجرى وراء هدفه . ويوجد بالضواحي أيضا مثل ما بالمدينة من الدور الرشيقة والمبانى الفخمة ، باستثناء قصر الخان الأعظم وحده .

ولا يجوز دفن أية جثة داخل حدود المدينة ( ١ ) ، كما أن جثث الوثنيين ، الذين من عاداتهم احراق موتاهم ، تحمل الى البقعة المعينة خارج الضواحي ( ٢ ) ، وهناك أيضا تنفذ جميع أحكام الاعدام العلنية . ولا تجسر النساء اللائى يحترفن البغاء ابتغاء المال ، على ممارسة مهنتهن فى المدينة .

الا ان يكون ذلك خفية ، اذ يتحتم عليهن ان يقتصرن على المكث في الضواحي ، النى يقيم بها منهن ، كما اسلمنا اليك ، ما يربو على خمس وعشرين الفا ، على ان هذا السدد لا يتجاوز القدر الضرورى وجوده ، لهذا الحشد الهائل من التجار وغيرهم من الغرباء ، الذين اذ يجتذبهم البلاط ، لا يبرحون يصلون الى المدينة ، ويفادرونها بلا انقطاع ، فالى هذه المدينة يوجه كل ما هو نادر وثمان بكل أرجاء العالم ، وهذا ينطبق على الهند بوجه أخص ، التى تورد الأحجار الكريمة واللآلىء ومختلف انواع العقاقير والأفاوية \*

ومن ولايات كاثاى نفسها وكذا من الولايات الأخرى للامبراطورية ، يحمل الى هناك ما غلا ثمنه لموافاة هذه الجماهير الغفيرة بمطالبها ، وهم الذين تحملهم ظروفهم على الإقامة قرب البلاط \*

هذا الى أن مقادير البضائع التى تباع هناك تفوق أيضا تجارة أى مكان آخر ، وذلك لأنه لا يقل عند العربات وخيول التحميل ، المحملة بالحريير الخام ، التى تدخلها يوميا ، عن ألف ، كما أن أنسجة الذهب والحرائر المختلفة الأنواع تصنع بوفرة هائلة (٣) . وتوجد بالمناطق المجاورة للماصمة مدن كثيرة مسورة وغير مسورة ، يعيش سكانها بوجه رئيسى على البلاط ، ويحصلون من هناك مقابل ذلك على ما يحتاجون اليه \*

## الفصل الثامن عشر

عن نوع العملة الورقية التي  
أصدرها الخان الأعظم ، وأمر بتداولها  
بكل أرجاء مملكته •

توجد بمدينة كانبالا هذه دار سك النقود التابعة للخان  
الأعظم ، الذى يمكن أن يقال عنه حقا انه يمتلك سر صناعة  
الكيميائى القديم !! وبذلك يمتلك فن انتاج النقود باتباع  
الطريقة التالية (١) : فانه يأمر بنزع اللحاء من أشجار  
التوت ، التى تستخدم أوراقها لتغذية دودة القز ، ويأخذ منها  
تلك القشرة الداخلية الرقيقة التى تقع بين اللحاء اليابس  
الأخشن وخشب الشجرة • فتتقع تلك القشرة ثم تدق بعد  
ذلك فى هاون ، حتى تتحول الى عجينة ، يصنع منها  
الورق (٢) ، الذى يماثل ( فى مادته ) الورق الذى يصنع من  
القطن ، ولكنه أسود تماما •

فاذا أصبح معدا للاستعمال ، أمر به فقطع ليكون نقدا  
ذا أحجام مختلفة ، وهو مربع تقريبا ، ولكن طوله أطول  
قليلا من عرضه • وأصغر هذه العملات يعد معادلا للدنيير  
التورنوازى (نسبة الى مدينة تور الفرنسية) ، ويعادل الحجم  
التالى غروتا Groat فضيا بندقيا ، وتعادل أخرى غروتين  
 وخمسة وعشرة ، وثمة أخرى تعادل بيزنطيا واحدا من  
الذهب واثنين وثلاثة وما يصل الى عشرة (٣) •

وتعطى هذه العملة الورقية شرعيتها بكل وقايات  
الشكل والمراسم كأنما هى مصنوعة من خالص الذهب أو

الفضة ، وذلك أنه فى كل عملة منها كان عدد من الموظفين ،  
المخصصين ، لا يقتصرون فقط على وضع اسمائهم ، بل  
يمهرونها بأختامهم أيضا ، فإذا صدرت هذه العملية منهم  
جميعا على المنوال المتبع ، يتولى كبيرهم ، المفوض من جلالتهم ،  
وقد غمس فى صباغ الزنجفر القرمزى الخاتم الملكى الموضوع  
فى حيازته ، ختم قطعة الورق به ، بحيث يبقى شكل الخاتم  
المصبوغ بالزنجفر مطبوعا عليها (٤) ، وبهذا تكتسب صفة  
الشرعية التامة لعملة متداولة ، ويعد تزويرها جريمة كبرى  
عقوبتها الاعدام (٥) .

فإذا تم سك هذه العملة الورقية هكذا فى مقادير كبيرة ،  
تدولت بكل جزء من أجزاء دولة الخان الأعظم ، كما  
لا يجروا أى انسان - والا عرض حياته للموت - على رفض  
قبولها عملة للدفع .

ومن ثم فان كل رعاياه يتقبلونها بغير تردد ، وذلك لأنهم  
يستطيعون التصرف فيها ، باستخدامها ثانية فى شراء  
البضائع ، التى قد يحتاجون إليها ، مثل اللآلئ أو البواهر  
أو الذهب أو الفضة وخلاصة القول ، ان فى الامكان الحصول  
بها على كل سلعة (٦) .

ويحدث عدة مرات على مدار السنة أن تصل قيروانات  
( قوافل ) ضخمة من التجار ، تحمل السلع الوارد ذكرها توا ،  
ومعها المنسوجات الذهبية فيضعونها بين يدى الخان الأعظم  
وعندئذ يستدعى اثنى عشر شخصا من ذوى الخبرة والمهارة ،  
يختارون لهذا الغرض ، فيأمرهم بفحص السلع ببالغ  
العناية ، وتحديد القيمة التى ينبغى أن تباع بها - ثم يسمح  
بمكسب معقول يضاف الى المبلغ الذى قدرت به البضاعة على  
هذا النحو من الضمير الحى ، ثم يدفع لهم الثمن على الفور  
بهذا الورق ، وهو أمر لا يستطيع أن يعترض عليه أصحاب  
البضاعة ، لأن هذا ، يتجاوب وأهداف انفاقاتهم  
ومصروفاتهم .

ومع انهم قد يكونون من سكان اقليم ، لا يتعامل فيه بهذا النوع من النقود ، فانهم كانوا يستثمرون المبلغ فى سلع تجارية أخرى تناسب أسواقهم الخاصة (٧) .

وعندما يتصادف أن يمتلك أى شخص نقودا ورقية بليت من طول الاستعمال ، فانه يحملها الى دار الضرب ، حيث يستطيع الحصول على أوراق جديدة بدلا منها مقابل دفع ثلاثة فى المائة فقط (٨) . فان شاء أى امرئ الحصول على الذهب أو الفضة بقصد تصنيعها ، مثل صياغتها كؤوسا للشراب ، أو نطاقات ( أحزمة ) ، أو أية أشياء أخرى تصنع من هذه المعادن ، وجب عليه بالمثل التقدم بطلبه الى دار الضرب ، حيث يحصل فى مقابل ما بيده من عملة ورقية ، على ما يحتاج اليه من سبائك (٩) وتصرف أعطيات جيوش جلالته كلها بهذه العملة الورقية ، التى تعد عندهم على نفس قيمة الذهب أو الفضة وعلى هذه الأسس يمكن التأكيد حقا ، ان الخان الأعظم يملك فى حوزته قدرا من الأموال والكنوز يفوق كل ما يملكه أى عاهل آخر على وجه البسيطة .



## الفصل التاسع عشر

عن مجلس الضباط الاثنى عشر  
العظام ، المعينين للإشراف على شؤون  
الجيش - وعن اثنى عشر آخرين  
يتولون الشؤون العامة للإمبراطورية •

يختار الخان الأعظم اثنى عشر نبيلًا من ذوى المكانة  
الرفيعة والخطر ( كما سبق ذكره ) ، ويناط بهم الفصل فى  
كل أمر يتعلق بالجيش ، كنقل الجند من موقع الى آخر ،  
وتغيير الضباط الذين يقودونهم ، واستخدام قوة من القوات  
متى دعت الضرورة الى ذلك ، وتحديد الأعداد التى يستصوب  
اقرارها لأية خدمة معينة ، حسب درجة أهمية تلك الخدمة •

وفضلا عن هذه الأغراض ، فإن من واجبه التمييز بين  
الضباط الذين قدموا آيات شجاعتهم فى ميدان القتال ، وبين  
من أظهروا فيه الخسة والجبن ، حتى يرقوا الأوائل ويخفضوا  
رتب الثانين وهكذا متى ظهر أن قائد ألف ( بكباشى ) سلك  
سلوكا مشينا ، تخفض هذه المحكمة رتبته الى قائد مئة  
( يوزباشى ) ، اذ تعده غير جدير بالرتبة التى يحملها ، أو ،  
لو أنه على عكس هذا ، أبدى من الصفات ما يؤهله للترقية ،  
عينوه قائدا لعشرة آلاف ( فرقة ) • على أن هذا كله يتم  
يعلم جلالته ولا بد من مصادقته عليه ، اذ يبلغونه تقريرًا عن  
جداره الضابط أو هدم جدارته ، فإن هو صادق على قرارهم ،  
منح من رقى الى قيادة عشرة آلاف رجل ( مثلا ) ، اللوحة أو  
البراءة المتعلقة برتبته ، على ما وصفنا آنفا ، كما أنه ينعم

عليه بهدايا كبيرة ، ليستثير غيره على العمل على استحقاق  
نفس المكافآت \*

وتسمى المحكمة المؤلفة من هؤلاء النبلاء الاثنى عشر ،  
باسم ثاى Thai ، ومعناها المحكمة العليا ، وذلك لأنها غير  
مسئولة الا أمام الملك (١) وحده فضلا عن هذه المحكمة فان  
هناك محكمة أخرى تتألف بالمثل من اثنى عشر نبيلًا ، يعينون  
للاشراف على كل شئ يتعلق بحكومة الولايات الأربع  
والثلاثين فى الامبراطورية \* ول هؤلاء فى كانبالو قصر ضخم  
منيف أو محكمة يحوى كثيرا من الغرفات والقاعات \*

ويتولى شئون كل ولاية هناك رئيس قانونى ، يتبعه  
عدة كتبة ، ولهم أجنحتهم الخاصة فى المحكمة ، وفيها  
ينبرمون أى عمل ينبغى عمله للولاية التى اليها ينتسبون ،  
وفق التوجيهات التى يتلقونها من محكمة الاثنى عشر \*

ويملك هؤلاء سلطة اختيار الأفراد السواجب تعيينهم  
حكاما فى الولايات المدينة ، والذين تقدم أسماؤهم الى  
الخان الأعظم للتصديق على تعييناتهم وتسليمهم لوحات الذهب  
أو الفضة حسبما تقتضيه مراتبهم \*

ومن سلطاتهم أيضا الاشراف على كل موضوع يتعلق  
بجباية الضرائب من كل من الأراضى والجمارك ، فضلا عن  
التصرف فيها ، كما أن فى يدهم الهيمنة على كل مصلحة  
( هيئة ) أخرى من مصالح الدولة ، باستثناء واحد فقط هو  
ما يتصل بالجيش من أمور (٢) \*

وتسمى هذه المحكمة سبنج وهى كلمة تدل على أنها  
محكمة عليا ثانية (٣) ، وأنها مثل الأخرى مسئولة فقط  
أمام الخان الأعظم وحده ، على أن المحكمة الأولى المسماة ثاى ،  
والتي تتولى ادارة الشئون العسكرية ، تعد أعلى فى المرتبة  
والكرامة من الثانية (٤) \*

## الفصل العشرون

عن الأماكن البتناة على جميع  
الطرق الكبرى لتقديم خيول البريد -  
وعن السعاة الساعين على أقدامهم -  
وعن الطريقة التي تدفع بها  
النققات .

تمتد من مدينة كانبالو طرق كثيرة تؤدي الى مختلف  
الولايات ، وتوجد على كل من هذه ، أعنى على كل طريق  
سلطاني كبير ، على مسافة خمسة وعشرين أو ثلاثين ميلا ،  
حسبما اتفق أن وجدت مدينة ، محطات بها دور لراحة  
المسافرين وتسمى يامب Yamb أو دور البريد (١) .  
وهي مبان ضخمة وجميلة ، بها أجنحة كثيرة جيدة التأثيث ،  
معلقة بها الأستار الحريرية ، ومزودة بكل ما يناسب راحة  
ذوى المكانة من الناس . حتى لقد يستطيع الملوك أنفسهم  
النزول بهذه المحطات بطريقة لائقة (٢) ، وذلك لأن كل  
سلعة يحتاج اليها الأمر يمكن الحصول عليها من المدن والمعازل  
الحصينة الموجودة فى المنطقة المجاورة ، كما أن البلاط  
يزود بعضها بانتظام بما يلزم .

ويحتفظ بكل محطة بأربعمائة من جياد الخيل ، كلها  
فى حالة استعداد مستمر ، حتى يتمكن جميع الرسل الداهبين  
والغادين فى خدمة الخان الأعظم وأعماله ، وجميع السفراء ،  
من الحصول على أبدال ويزودوا ، اذ يتركون خيولهم  
المكدودة ، بخيول مستريحة (٣) .

وحتى المناطق الجبلية ، النائية عن الطرق السلطانية الكبرى ، حيث لا وجود لقري وحيث تتباعد المدن كثيرا بعضها عن بعض ، أمر جلالتهم أيضا بأن تبنى بها بالمثل ابنية من نفس هذا النوع ، وان تزود بكل ما يلزم ، وبالطاقم المألوف من الخيل .

ويرسل جلالتهم أناسا ليسكنوا فى البقعة نفسها ، لئلا يزرعوا الارض ، ويعنوا بخدمه البريد ، وبهذه الوسيله تـ تشغل قري كبيرة . ونتيجة لهذه التنظيمات ، يذهب السفراء الوافدون الى البلاط ، والرسل الملكيون ، ويعودون من خلل كل ولاية ومملكة بالامبراطورية مستمتعين بغاية الجمام واليسر (٤) ، وفى ذلك كله يظهر الخان الأعظم امتيازاً وتفوقاً على كل امبراطور ، وكل ملك أو كل مخلوق بشرى آخر . وبهذا لا يقل عدد الخيل المستخدمة فى ممتلكاته فى دائرة البريد عن مائتى ألف حصان ، وعدد المباني عن عشرة آلاف مبنى مزودة بالأثاث المناسب (٥) .

وهو نظام مدهش بالغ العجب ، كما أنه فعال فى عمله الى حد ، لا يحاد استطاع معه وصفه . فان تساعا امرؤ متشككا ، كيف يستطيع سكان البلاد تقديم الأعداد الدافية لأداء هذه الواجبات . وبأية وسيلة يمكن تزويدهم بالطعام ، صبح لنا أن نجيب ، بأن جميع الوثنيين وكذلك المسلمين ، يحتفظون بست نساء أو ثمانية أو عشرة ، كل حسب ظروفه ، ويولد لهم منهم عدد هائل من الأطفال (٦) ، حتى ليبلغ أولاد بعضهم الثلاثين من الأبناء ، القادرين على متابعة آبائهم بأسلحتهم ، بينما الرجل عندنا ليس له الا زوجة واحدة ، وحتى لو ظهر أنها عاقر ، فانه مجبر أن يقضى حياته معها ، فيحرم بذلك من فرصة تكوين عائلة . ومن هنا يجىء أن عدد السكان عندنا أقل كثيرا من عدده عندهم . أما فيما يتعلق بالطعام ، فلا نقص فيه ، فهؤلاء الناس ، وبخاصة التتار والكاثائيين وسكان ولاية مانجى ( أو بلاد الصين الجنوبية ) ، يعتمدون فى معظم شأنهم على الأرض طعاما ،

والجاورس والدخن وهذه الحبوب الثلاثة تغل في أرضهم ،  
مائة حبة لكل واحدة (٧) .

والحق ان القمح يغل مثل هذه الزيادة ، ونظرا لانهم  
لا يتناولون الخبز ، فان القمح لا يؤكل الا بتدخل سمريه او  
شعاس . وهم يغلون الحبوب الاولى في اللبن او يطبخونها  
باللحم . وهم لا يتركون بوصة واحدة من الارض يمدن  
زراعتها بغير زراعة ، كما ان ماشيتهم على اختلاف انواعها  
تتكاثر تكاثرا وفيرا ، بحيث انهم عندما يخرجون للمقتال ،  
لا يكاد يوجد فرد فيهم لا يأخذ معه ستة خيول أو ثمانية أو  
أكثر لاستخدامه الشخصي .

من اجل ذلك كله يمكن أن تتبين أسباب وفرة عددهم  
البالغة والظروف التي تمكنهم من توفير الطعام اللازم لهم  
بهذه الوفرة الكثيرة .

وهناك قرى صغيرة فى المسافات التى تقع بين دور  
البريد ، وكلها مسكونة وتقع على مسافات قدر حل منها  
ثلاثة أميال ، وقد تحوى الواحدة منها على وجه العموم حوالى  
اربعين كوخا ، وينزل بهذه القرى سعاة الاقدام المشاة الذين  
يعملون هم أيضا فى خدمة جلالته (٨) وهم يلبسون أحزمة  
حول أوساطهم ، قد علقّت بها عدة أجراس صغيرة ، حتى  
يحس الكل بقدمهم من مسافة بعيدة ، ونظرا لأنهم لا يجرون  
الا ثلاثة أميال فقط ، أعنى من إحدى محطات سعاة القسوم  
هذه الى التالية المجاورة ، فان الجلبة تساعد على التنبيه  
باقترابهم ، وتبعاً لذلك يتم اعداد ساع آخر ( مستريح )  
ليواصل المضى بالرسائل ، فور وصول الأول (٩) وبهذا تنقل  
الرسائل بغاية السرعة من محطة الى أخرى ، بحيث ان جلالته  
يتلقى فى مدى يومين وليلتين أخبارا بعيدة الشقة ، لم يكن  
من الممكن الحصول عليها بالطريقة العادية الا فى مدى  
عشرة أيام (١٠) ، وكثيرا ما يحدث ، فى موسم الفواكه أن

ما يجمع فى الصباح بكانبالو ، يحمل الى الخان الأعظم فى شان دو ، مساء اليوم التالى ، وان قدرت المسافة عادة بأنها مسيرة عشرة أيام •

ويوجد بكل من محطات الثلاثة أميال هذه ، كاتب مهمته تدوين اليوم والساعة اللذين يصل فيهما أحد السعاة ويرحل آخر ، وهو ما يتم بالمثل بجميع دور البريد • فضلا عن هذا يوجه ضباط : ( موظفون ) للقيام بزيارات شهرية لكل محطة ، ليفحصوا عن طريقة العمل والادارة ، ويعاقبوا السعاة الذين أهملوا فى بذل النشاط الواجب •

وهؤلاء السعاة جميعا ، ليسوا معفين فقط من ضريبة ( الرؤوس ) ، بل هم يتقاضون من جلالته جميعا جمولا صالحة • ولا تنفق على الخيل المستخدمة فى هذه الخدمة أية نفقات مباشرة ، فان المدن والبلدان والقرى الموجودة بجوار المحطات تلزم بتقديمها وكذلك باطعامها •

ويكلف حكام البلدان بأمر جلالته رجالا ذوى علم وخبرة واسعة بفحص الأوضاع وتحديد عدد الخيل التى فى مستطاع السكان فردا فردا أن يقدموها •

ويجرى نفس الشئ فيما يتعلق بالمدن والقرى ، وتفرض الطلبات واللوازم عليها تبعا لقدرتها المالية ، حيث يؤدى من على جانبي المحطة نصيبهم المفروض عليهم • ثم تخصم البلدان نفقات اطعام الخيول من الضرائب الواجب دفعها للخان الأعظم ، وذلك نظرا لأن المبلغ الواجب الدفع على كل ساكن ، يستبدل بمعادلة من الخيل أو من نصيب أو سهم من الخيل يتولى اعالتها واطعامها بأقرب محطة مجاورة ( ١١ ) •

ومع هذا فينبغى أن يكون واضحا للافهام ، أن مجموع الأربعمائة حصان لم يكن على الدوام قائما بالخدمة بالمحطة ،

وانما عددها مائتان فقط ، تحجز هناك مدة شهر ، تكون فيه بقية الخيل بالمراعى : حتى اذا بدأ شهر جديد تؤخذ هذه الاخرى بدورها لتقوم بالعمل ، حتى تأخذ المجموعه الاولى الزمن الكافى لاسترداد لحمها وشحمها ، وهكذا تحل كل من المجموعتين بالتناوب محل الاخرى \* فان تصادف ان كان هناك نهر أو بحيرة ، يضطر سعاة القدم أو سعاة الخيل الى العبور ، ألزمت البلدان المجاورة بتخصيص ثلاثة أو أربعة زوارق فى حالة استعداد مستمر لهذا الغرض ، واذا كانت هناك صحراء يستلزم عبورها عدة أيام ، ولا تتيح اقامة أية مساكن ، ألزمت المدينة الواقعة على حافاتها بأن تزود بالخيل الأفراد الذين هم من السفراء ، فى ذهابهم وايابهم من البلاط واليه ، حتى يتمكنوا من عبور الصحراء ، وأن يزودوهم كذلك بالمواد الغذائية ، هم وحاشيتهم ، على أن البلدان التى لها مثل هذه الظروف تتلقى من جلالته تعويضا من المعونات \*

واذا كانت محطات البريد واقعة على بعد من الطريق السلطاني الأعظم ، كانت بعض الخيول ملكا لجلالته ، ولم تقسم بلدان المنطقة ومدنها الا بتقديم جزء منها \*

ومتى دعت الضرورة أن يمضى الرسل ( السعاة ) بسرعة غير عادية ، كما هو الحال فى الابلاغ من وقوع اضطرابات بأى جزء من أجزاء البلاد ، أو عن تمرد أحد الرؤساء ، أو ما مائل ذلك من أمور عامة ، قطعوا راكبين مائتى ميل فى يوم واحد أو حتى مائتين وخمسين أحيانا \*

وفى هذه الأحوال يحملون معهم لوحات السنقر ، آية على عجلتهم والحاح مهمتهم والحاجة الى سرعة المبادرة \* فان كانا رسولين اثنين انطلقا من المكان نفسه معا ، ممتطين جوادين نجيبين سريعين ، وشدا جسميهما بنطاقين محزومين ، وقد عسبا رأسيهما برباط من قماش ، ودفعا حصانيهما الى أقصى سرعة ممكنة \*

ولا يزالان كذلك حتى يبلغا دار البريد التالية ، التي تقع على مسافة خمسة وعشرين ميلا ( ١٢ ) ، وهناك يجدان حصانين آخرين ، مستريحين تماما ومستعدين للعمل ، فيبدآن عليهما بغير تانية واحدة من الراحة ، ويظلان ههنا يعمران النخيل بنفس الطريقة عند كل رحلة حتى ينتهى النهار ، وبذا يقومان برحلة مقدارها مائتان وخمسون من الأميال \*

وفي حالة الضرورة الملحة ، يواصلان مسيرتهما بليلى أيضا ، فان كانت الليلة مظلمة يعوزها القمر ، صحبهما الى المحطة التالية قوم مشاة ، يجرون أمامهم المشاعل ، وعندئذ لا يمشون بطبيعة الحال بنفس السرعة التى يطيرون بها نهارا ، نظرا لأن حملة المشاعل لا يستطيعون تجاوز سرعة معينة \* ويلقى الرسل الذين لهم الأهلية لتحمل مثل هذه الدرجة الخارقة من التعب أعظم التقدير والاكبار \* والآن نترك هذا الموضوع وسأحدثكم بعمل خيرى عظيم يقوم به الخان الأعظم مرتين كل عام \*



## الفصل الحادى والعشرون

عن المهنات التى تبرع بها الخان  
الأعظم لجميع ولايات امبراطوريته  
ابان المجاعات ونفوق الماشية •

فى كل عام ، يرسل الخان الأعظم مندوبيه للتحقق مما  
إذا كان أى فرد من رعاياه آلت بمحاصيل قمحه ملمة بسبب  
الجو غير المناسب أو بسبب العواصف أو الأمطار العنيفة أو  
نتيجة للجراد أو الديدان أو أى نوع آخر من الآفات ، كما  
أنه لا يعتمد فقط فى مثل هذه الأحوال الى الامتناع عن فرض  
الجزية المعتادة لتلك السنة ، بل يزودهم من مخازن الحبوب  
عنده بالقدر الوفير من القمح الكافى لاعاشتهم ، وبالبذرة  
اللازمة لأراضيتهم أيضا • وعملا بهذا رأى ، يأمر أيام  
الوفرة والخير بشراء مقادير ضخمة من أنواع الحبوب التى  
تعود عليهم بأكبر النفع ، فتخزن فى مخازن حبوب أعدت  
لهذا الغرض بمختلف الولايات ، كما أنها تعالج بعناية تامة  
تكفل الاحتفاظ بالمخزون لمدة ثلاث أو أربع سنوات بغير أن  
يلم به فساد (١) •

واقترضت ارادته اصدار أمره ، بأن تظل هذه المخازن  
مملوءة على الدوام ، لكى تمول البلاد ابان أزمان القحط ،  
وعندما يتصرف ، فى مثل هذه الأحوال ، فى الحبوب لقاء  
النقود ، ألا يطالب فى أربعة مكاييل الا بنفس الثمن الذى  
يدفعه المشتري فى مكيال واحد بالسوق • وقياسا على هذا ،  
فانه عندما تنفق الماشية بأية ناحية ، يعوض المنكوبين عن

خسارتهم من الماشية التى يملكها ، والتى تلقاها عشورا  
للانتاج فى ولايات أخرى \* والحق ان جميع أفكاره موجهة  
الى الهدف المهم ألا وهو مساعدة الناس الذين يحكمهم ، حتى  
يستطيعوا العيش بعملهم وكدهم ويصلحوا أحوالهم (٢) \*

وينبغى ألا تفوتنا ملاحظة خصوصية اختص بها الخان  
الأعظم ، وهى أنه كلما أصاب البرق والصواعق قطيعا من  
الماشية أو سربا من الأغنام ، أو أية حيوانات مستأنسة ،  
سواء أكانت ملكا لفرد أو أكثر ، ومهما بلغ من عظم القطيع ،  
لم يطالب بعشر ما زاد على هذه الماشية من نتاج لمدة ثلاث  
سنوات ، وهكذا الشأن أيضا لو أن سفينة محملة بالبضائع  
مسها البرق ، فانه لا يجبى منها أية عائدات أو جمارك  
ولا نضيبا فى حمولتها معتبرا الحادثة فال سوء \* فهو يقول :  
لقد أظهر الله سخطه على رب هذه البضاعة ، ولذا فانه لا يريته  
أن تدخل خزائنه سلع تحمل ميسم الغضب الالهى (٣) \*

## الفصل الثانى والعشرون

عن الأشجار التى يأمر بزرعها على  
جوانب الطرق ، وعن الترييب الذى  
تصان عليه .

هناك تنظيم آخر يتبعه الخان الأعظم ، يجمع بين الزينة  
والمنفعة بدرجة سواء . فانه يأمر بغرس الاشجار على جانبي  
الطرق العامة ، وهى من النوع الذى ينمو فيصبح مستحسنا  
وياسقا ، ونظرا لانه يقارب ما بينها فيجعل المسافة خطوتين  
فقط ، فانها تساعد ( فضلا عما تمده من ظل فى الصيف ) ،  
على توضيح الطرق للسارى ( عندما تكتسى الارض بالجليد ) ،  
وهو امر يساعد المسافرين مساعدة كبرى ويقدم اليهم الشئ  
الكثير من اليسر والراحة ( ١ ) . ويجرى تنفيذ هذا على امتداد  
الطرق السلطانية الكبرى جميعا ، حيث تسمح طبيعة التربة  
بغرس الشجر ، ولكن متى مر الطريق من خلال صحراوات  
رملية أو فوق جبال صخرية ، حيث من المستحيل غرس  
الشجر ، أمر جلالته فوضعت على جانبي الطرق أحجار وأقيمت  
أعمدة لتكون بمثابة صوى ( وعلامات ) لهدايا المسافرين .  
وهو يعين أيضا ضباطا عظاما . عملهم هو التحقق من أن  
هذه الأمور جميعا قد رتبت على الوجه الصحيح وأن أوضاع  
الطرق فى حالة طيبة على الدوام . وبالإضافة الى الدوافع  
التي حددت سببا لغرس هذه الأشجار ، يمكن القول بأن  
الخان الأعظم زاد ميلا الى القيام بذلك ، نظرا لأن عراقيسه  
ومنجميه أعلنوا أن من يزرعون الأشجار يكافأون بطول  
البقاء .

## الفصل الثالث والعشرون

عن نوع الخمر الذى يصنع بولاية  
كاثاى - وعن الأحجار التى تستخدم  
هناك للحرق على طريقة الفحم  
النباتى .

تشرب غالبية سكان ولاية كاثاى نوعا من الخمر يصنع  
من الأرز المخلوط بنوع من التوابل والعقاقير - وهذا  
الشراب ، أو الخمر كما يمكن تسميته بذلك ، من الجودة  
وطيب النكهة بحيث لا يرغب أحد فى شراب أفضل منه -  
فهو شراب رائق ، مشرق اللون ، لذيد الطعم ، ونظرا لانهم  
يتناولونه ساخنا جدا فان له خاصية بث السكر فى الاوصال  
أكثر من أى شراب آخر .

ويوجد بكل أرجاء هذه الولاية ضرب من الحجر الأسود،  
يستخرجونه من الجبال ، التى يمتد فيها عروقا - فاذا أشعل  
احترق كالفحم النباتى ، واحتفظ بالنار أفضل كثيرا من  
الخشب ، حتى ليتمكن أن يظل متقددا طوال الليل ثم اذا هو  
فى الصباح لا يزال مشتعلا - وهذه الأحجار لا تصدر الا قليلا  
من اللهب أول ما تشعل ، ولكنها فى أثناء اشتعالها ترسل  
حرارة قوية جدا - أجل ان الخشب ليس قليلا بالبلاد ، ولكن  
وفرة السكان هائلة ، كما أن مواقدهم وحماماتهم التى  
لا يبرحون يسخنونها كثيرة موفرة العدد ، بحيث لا تستطيع  
مقادير الخشب أن تكفى حاجة السكان ، وذلك لأنه ليس  
بالبلاد انسان لا يرتاد الحمام الساخن ثلاث مرات أسبوعيا

على الأقل ، كما يترددون عليه فى الشتاء يوميا ، ان كان  
ذلك فى امكانهم • ولكل انسان عظيم المقام أو الشراء حمام  
خاص فى بيته لاستعماله الخاص ، ومن ثم فان مقادير الخشب  
لا بد أن يتجلى سريعا عدم كفايتها للقيام بمثل هذا  
الاستهلاك ، وذلك بينما يمكن الحصول على هذه الأحجار  
بأكبر وفرة ، وبسعر رخيص (١) •

## الفصل الرابع والعشرون

عن السخاء الكبير والمعجب الذي  
يتخذ الخان الأعظم تلقاء فقراء  
كانبالو ، وغيرهم من الناس الذين  
يلتمسون المعونات في قصره .

سبق أن ذكرنا أن الخان الأعظم يوزع مقادير ضخمة من  
الحبوب على رعاياه ( بالولايات ) . وسنتحدث الآن عن  
احسانه العظيم الى الفقراء ورعايته الحكيمة لهم في مدينة  
كانبالو . فمتى أبلغ نبأ عائلة كريمة ، كانت تعيش في  
بحبوحة من العيش ، ثم أخنى عليها الدهر بنوازلها فافتقرت ،  
أو لم تعد قادرة لما حل بها من اصابات على العمل لاكتساب  
القوت أو على زراعة ما يلزمها من أى نوع من أنواع الحبوب ،  
فالى أية أسرة فى مثل هذا الموقف يقدم جلالته ما يلزمها  
للاستهلاك فى عامها ، وعليهم فى الموعد المعتاد أن يقدموا  
أنفسهم للموظفين الذين يتولون ادارة نفقات جلالته ،  
والذين يقيمون فى قصر تدار منه تلك الشؤون ، فيقدمون  
اليهم بيانا مكتوبا بالمقادير التى زودوا بها فى السنة  
السابقة ، وبمقتضاه يتم الصرف اليهم أيضا عن السنة  
الحاضرة .

ثم انه يتكفل بنفس الطريقة بنفقات كسوتهم ، التى  
لديه الموارد اللازمة لها مما يجبى من عشور من الصوف  
والحرير والقنب .

وتنسج هذه المواد بأمره الى مختلف أنواع منسوجاتها وقماشاتها بدار أقيمت لهذا الغرض ، يجبر فيها كل صانع ماهر على العمل يوما واحدا في الأسبوع في خدمة جلالتة بأن توزع الثياب المصنوعة من المنسوجات التي تم عملها بهذه الطريقة ، على العائلات الفقيرة الوارد نعتها أعلاه ، على ما تحتاجها في كسوتها الشتوية والصيفية . ثم انه يأمر أيضا بتجهيز الثياب لجيوشه ، ويخصص على كل مدينة كمية من قماش الصوف تنسجها ، وتتقاضى أثمانها خصما من مقدار العشور التي تجبى من نفس المكان (١) .

وينبغي أن يكون معلوما أن التتار عندما كانوا يتبعون عاداتهم الأصلية ، وقبل أن يتخذوا ديانة الوثنيين ، ما كان إعطاء الصدقات من شيمهم ، واذا التمس منهم المونة معوز واقع في ضيق . ردوه مشيعا بأقذع العبارات قائلين : « اذهب الى حيث ألقيت بشكواك عن الموسم المجذب الذي أرسله اليك الله ، فلو أنه أحبك ، كما يبدو انه يحبني ، لعشت مثلي في رغد من العيش » . ولكن منذ أن أوضح لجلالته حكماء الوثنيين وبخاصة منهم الباكشية Baksis ( أى كهنة بوذا ) ، الأنف ذكرهم ، ان تزويد الفقراء بما يحتاجون اليه ، عمل عظيم تتقبله آلهتهم وترضاه الى أقصى حد ، فانه يفرج عنهم كربتهم بالطريقة المبينة ، كما أن بلاطه لا يمنع عمن يجيء ليطلبه . فلا يكاد يمضى يوم لا يوزع فيه الضباط النظاميون عشرين ألف وعاء من الأرز والدخن والمجاورس (٢) .

ونتيجة لهذه الأريحية الرائعة المدهشة ، التي يتبعها الختان الأعظم حيال الفقراء ، يعبد الناس جميعا ربا لهم (٣) .

## الفصل الخامس والعشرون

### عن المنجمين بمدينة كانبالو \*

يوجد بمدينة كانبالو ، بين المسيحيين والمسلمين والكابانيين ، عدد من المنجمين والعراقين ( ١ ) يقارب خمسة الآلاف ، يتولى الخان الأعظم امدادهم بالطعام والكساء بنفس الطريقة التي يعول بها العائلات الفقيرة آنفة الذكر ، وهم قوم لا يبرحون يمارسون فنهم على الدوام . ولديهم الاسطرلاب الذى تصور عليه علامات الكواكب ، والساعات ( التى تمر فيها بخط الزوال ) ، وهيئاتها المختلفة على مدار السنة .

ويقوم المنجمون ( أو واضعو التقويم ) لكل طائفة من هؤلاء فى كل عام بفحص جدولهم ، ليحتمقوا منها عن مسالك الأجرام السماوية ومواقعها بالنسبة لكل شهر فمضى . وكل يكتشف فيها ما سيكون عليه حال الجو استنتاجا من ممرات الكواكب وأوضاعها النسبية فى مختلف العلامات ، ومن ذلك كله يتنبأون بالظواهر الخاصة لكل شهر . \* بمعنى أنه سيكون فى هذا الشهر مثلا رعد وعواصف ، وفى ذلك زلزال وفى آخر صواعق وأمطار عنيفة ، وفى آخر تنتشر الأمراض والوفيات والحروب والخلافات والمؤامرات . فكما يجدون الحال فى اسطرلاباتهم يعلنون أنه سيحدث ، مضيفين الى ذلك ، أن الله ، حسب مشيئته الكريمة ، قد يفعل أكثر أو أقل مما دونوه . وهم يكتبون تنبؤاتهم عن السنة داخل مربعات صغيرة يعينها يسمونها « تكوينى Takwini » . ويبيعون هذه المربعات بغروت واحد لكل ، لأى شخص ، برغم



فى أن يختلس نظرة الى ما غيب له فى المستقبل • فمن ظهر ان تنبؤاتهم كانت على الجملة أصح التنبؤات ، اعتبروا اكمل وأعظم أساتذة فنههم ، ووضعوا تبعا لذلك موضع أعظم التقدير ، (٢) •

وعندما يشرع أى شخص فى القيام بعمل كبير ، ويرغب فى معرفة مدى النجاح الذى يحمل ان يصاحب ذلك العمل ، يلجأ الى أحد هؤلاء المنجمين ، واذا يبلغه أنه ينتوى القيام بهذا أو ذاك من المشروعات ، يسأله عما يبدو فى السماوات من اتجاه فى ذلك الحين •

وعندئذ يخبره صاحبه ، أنه قبل أن يستطيع الاجابة ، ينبغى ان يعلم السنة والشهر والساعة التى ولد فيها ، وانه متى علم بهذه التفاصيل ، أمكنه بعد ذلك المضى فى سبيل التحقق عن الأوجه والاعتبارات التى يتقابل فيها البرج ( مجموعة الكواكب ) الذى كان فى صعود ساعة ميلاده مع هيئة الأجرام السماوية فى لحظة عمل الاستعلام •

وعلى هذه المقارنة يؤسس تنبؤه عن خاتمة المفامرة المرادة أموائمة هى أم غير موائمة (٣) •

وينبغى لنا أن نلاحظ أن التتار يحسبون الزمن عندهم بدورة قوامها اثنا عشر عاما ، يطلقون على العام الاول منها اسم عام الأسد ، وعلى الثانى اسم عام الثور ، وعلى الثالث عام التنين ، وعلى الرابع عام الكلب ، وهكذا على الباقي حتى تنتهى الاثنا عشر كلها • فاذا سئل أحدهم اذن ، عن السنة التى ولد فيها ، أجاب فى خلال عام الأسد ، فى يوم كذا فى ساعة ودقيقة كذا ، وذلك كله دونه والداه بكل عناية فى كتاب • وعند انتهاء الأعوام الاثنى عشر للدورة ، يعودون الى العام الأول ولا يبرحون باستمرار يكررون نفس المجموعة (٤) •

## الفصل السادس والعشرون

عن دين التار - وعما يعتنقون  
من آراء حول الروح - وعن بعض  
عاداتهم \*

ان هؤلاء القوم ، كما قلنا أنفا ، من الوثنيين ، ولكل  
شخص رب يتخذه من لوحة مثبتة في جزء مرتفع من حائط  
غرفته ، كتب عليها اسم يدل على الاله السماوى الرفيع ،  
والى هذه اللوحة يقدمون عباداتهم اليومية مع حرق  
البخور (١) . واذا يرفعون أيديهم ثم يضربون بوجوههم  
الأرض ثلاث مرات (٢) ، فانهم يلتمسون منه برحمة .  
سلامة العقل وصحة البدن ، دون أن يزدوا على التماسهم  
ذاك شيئا . ولديهم فى أسفل هذه اللوحة على الأرض تمثال  
يسمونه « ناتيجاي » Natigai ، ويعبدونه رب جميع الاشياء  
الأرضية أو أى شئ ينتج من الأرض . وهم يجعلون له زوجا  
وأولادا (٣) ، ويعبدونه بطريقة مماثلة حارقين له البخور ،  
ورائعين له أيديهم ومنحنيين الى الأرض . واليه يصلون  
ملتجئين الجو المعتدل والمحاصيل الوفيرة ، والزيادة فى أفراد  
العائلة ، وما الى ذلك . وهم يعتقدون أن الروح خالدة  
بمعنى أنها ، بمجرد وفاة رجل ، تدخل جسما آخر ، وأنه  
تبعاً لمسلك الفضيلة أو الشر الذى اتبعه أثناء حياته ، ستكون  
حالته المستقبلية باطراد أفضل أو أسوأ (٤) . فان كان الرجل  
فقيرا ، وحسنت سيرته ، تعاد ولادته ، كبداية جديدة من رحم  
سيدة كريمة وأصبح هو نفسه سيدا كريما ، ثم يولد من  
رحم سيدة نبيلة ويصبح نبيلاً ، وهكذا يتصاعد على الدوام

فى معراج الوجود ، حتى يتحد والاله \* ولكنه لو أنه على العكس ، وقد كان ابنا لسيد كريم - أساء السلوك ، لأصبح فى حالته التالية فلاحا حتى يتناهى به الأمر أن يصبح كلبا ، اذ يهبط على الدوام الى حال أدنا من سابقتها (٥) \*

"وأسلوبهم فى الحديث حافل بالدماثة والكياسة ، فانهم يحيون بعضهم بعضا بادب ، وقد علت وجوههم بسمه الرضا (٦) ، وبدا عليهم جو من حسن التربية ، كما أنهم يتناولون طعامهم بنظافة فريدة \* وهم يبدوون نحو والديهم أعظم درجات التوقير ، ولكن لو تصادف أن عامل طفل والديه بغير احترام ، أو اهمل فى مساعدتهما وقت حاجتهما ، فان له محكمة عامة ، واجبها الأساسى الخاص أن تعاقب بقسوة جريمة العقوق البنوى ، متى بلغ الأمر مسامعها (٧) وفاعلو الشر المقترفون لأنواع مختلفة من الجرائم ، والذين يعتقلون ويلقى بهم فى السجون يعدمون شنقا ، ولكن الذين يبقون حتى تنقضى عليهم سنوات ثلاث ، وهو الموعد الذى يحدده جلالته لاخلاء السجون اخلاء عاما بمحاكمة من فيها ، ثم يخلى سراحهم توسم علامة على أحد خديهم ، حتى يعرفهم الناس جميعا (٨) \*

وحرم الخان الأعظم الحالى كل أنواع الميسر وغيره من طرق الغش : التى يولع بها سكان هذا القطر أكثر من أى أقوام أخرى فى الأرض ، وهو يقول لهم ( فى مرسومه ) على سبيل الحجة المقامة لصرفهم عن تلك الممارسة : « انى أخضعتكم بعد سيفى ، ونتيجة لهذا فان كل ما تملكونه ملك يمينى شرعا : فان أنتم قامرتم فأنتم اذن تعبثون بما أملك » \* على أنه مع ذلك لا يأخذ شيئا غصبا بحكم هذا الحق الشرعى \*

وينبغى ألا يفوتنا أن نذكر الترتيب والنظام اللذين يرعاهما جميع الناس على اختلاف مراتبهم عندما يمثلون أمام جلالته \* فانهم متى اقتربوا وأصبحوا على نصف ميل

من مكان يتصادف وجوده فيه ، يظهر احترامهم لسمو خلقه باتخاذ مظهر وتصرف متواضع ، ساكن وهادىء ، بحيث لا يسمع أدنى ضجيج ، ولا صوت أى شخص يصيح ، ولا حتى يتحدث بصوت مرتفع (٩) .

ويحمل كل ذى مرتبة رفيعة من الرجال وعاء صغيرا ، يبصق فيه ، مادام موجودا فى قاعة الاستقبال ، حيث لا يجرؤ أحد أن يبصق على الأرض (١٠) فإذا تم هذا أعاد الغطاء مكانه وسلم معظما . واعتادوا كذلك أن يأخذوا معهم أحذية بوشكان Buskins رشيقة من الجلد الأبيض ( مما يرتديه ممثلو التراجيديا اليونانية بأوربا ) ، وعندما يصلون الى القصر ، ولكن قبل الدخول الى القاعة ( حيث ينتظرون الاذن من الخان الأعظم ) ، يلبسون أحذية البوشكان البيضاء هذه ، ويسلمون الأحذية التى كانوا يلبسونها الى الخدم .

وتتخذ هذه الممارسة لكى لا يلوثوا البسط الجميلة ، المصنوعة صنعا عجيبا والمزخرفة بالحرير والذهب ، والتى تتجلى فيها مجموعة متنوعة من زاهى الألوان (١١) .

## الفصل السابع والعشرون

عن النهر المسمى بوليسانجان ،  
وعن القنطرة المقامة فوقه •

الآن وقد أتممنا الحديث عن حكومة وشرطة ولاية كاثاي  
ومدينة كانبالو ، وأفضنا في ذكر ما عليه الخان الأعظم من  
فخامة ، فاننا سنتحول الآن الى الحديث عن أجزاء أخرى من  
الامبراطورية وينبغي أن تعلموا اذن أن الخان الأعظم أرسل  
ماركو سفيرا له الى الغرب ، فلما أن غادر كانبالو سافر غربا  
لمدة أربعة أشهر كاملة ، وسنحدثك الآن عن كل ما شهده  
يعينى رأسه غاديا ورائعا •

فأنت عندما تغادر العاصمة وتسير عشرة أميال (١) ،  
تصل الى نهر يسمى بوليسانجان ، يصب مياهه في المحيط ،  
وتمخره سفن كثيرة تلجج من هناك ، محملة بمقادير جسيمة  
من البضائع (٣) وتقوم فوق هذا النهر قنطرة جميلة جدا من  
الحجر ، ربما لم تضارعها قنطرة أخرى بكل أرجاء العالم  
قاطبة • وطولها ثلاثمائة خطوة وعرضها ثمانى خطوات ،  
يحيث يستطيع عشرة رجال على ظهور الخيل المرور من فوقها  
حفا واحدا ( أى جنباً الى جنب ) بكل يسر وراحة (٣) •  
وللقنطرة أربع وعشرون باكية ( عقد ) تدعمها خمس  
وعشرون دعامة ( بقله ) • مبنية فى الماء ، وكلها من حصى  
البحية (٤) ، ومشيدة بمهارة فائقة •

ويقوم على جانبي القنطرة ومن بدايتها الى نهايتها حاجز جميل ، مكون من لوحات الرخام وعمدانه قد رصت بأسلوب بارع ممتاز .

وجعلت القنطرة عند بداية مطلعها أوسع قليلا منها عن القمة ، ولكن الجوانب ابتداء من الجزء الذي ينتهي عنده المطلع ، تجرى في خطوط مستقيمة ومتوازية (٥) .

ويوجد عند المستوى الأعلى عمود ضخمة وباسق ، يستقر على سلحفاة من رخام ، وله قرب قاعدته تمثال كبير لأسد ، مع أسد آخر على القمة أيضا (٦) ويوجد قرب منحدر القنطرة عمود رشيق آخر ، وله أيضا أسد ، وهو على بعد خطوة ونصف من الأول ، وقد ملئت جميع الفراغات بين كل عمود وآخر ، على امتداد طول القنطرة بأكملها ، بشرائح من الرخام ، قد حفرت حفرا بديعا وببيت في العمدان التالية المجاورة . التي تبعد بالمثل خطوة ونصفا ، بعضها عن بعض . كما أنها أيضا تعلوها الأسود (٧) ، مشكلة بمجموعها منظرا جميلا . وتحول هذه الحواجز أو الدرابزينات دون حدوث الحوادث التي ربما حدثت - لولا وجودها - لعابري القنطرة . وينطبق ما ذكرناه على منزل القنطرة انطباقه على مطلعها (٨) .

## الفصل الثامن والعشرون

### عن مدينة جوزا •

بعد عبورك هذه القنطرة ، وتقدمت ثلاثين ميلا في اتجاه الغرب ، في اقليم حافل بالمباني الرشيقة بين بساتين الكروم والأراضي الكثيرة الزروع والخصب ، نصل الى مدينة ضخمة وجميلة ، تسمى جوزا (١) ، تقوم بها اديرة كثيرة للوثنيين • ويعيش السكان على الجملة على التجارة والحرف اليدوية • ولديهم صناعات الأنسجة الذهبية وأرق أنواع الشاش ( الغزى Gauze ) وتكثر هناك الحانات التي يأوى اليها المسافرين (٢) • وعلى مسافة ميل واحد بعد هذا المكان تتشعب الطرق ، فيتجه أحدها الى الغرب ويتجه الآخر الى الجنوب الشرقي ، حيث ينفترق الأول ولايات كاثاي الى مملكة تا ان فو (٤) ، وفيها تمر على مدن بديعة ومواقع حصينة كثيرة • تزدهر فيها الصناعات والتجارة ، وفيها ترى كثيرا من بساتين الكروم وكثيرا من الأراضي ذات الزروع ، ومن هناك يحمل العنب الى داخلية كاثاي ، التي لا تنمو بها الكروم • وتكثر أشجار التوت كذلك ، وبفضل أوراقها يتمكن السكان من انتاج مقادير ضخمة من الحرير • وتعم جميع سكان هذا القطر درجة لا بأس بها من الحضارة ، نتيجة لكثرة اختلاطهم بالمدن ، وهي هنا عديدة لا تتباعد الا قليلا بعضها من بعض • والى هذه المدن يقبل التجار على الدوام ، حاملين بضائعهم من مدينة الى أخرى وذلك لأن الأسواق تعقد كل منها على التعاقب • وعند نهاية رحلة خمسة أيام بعد العشرة السالف ذكرها يقال ان هناك مدينة

أخرى أكبر كذلك وأكثر جمالا ( من تا ان فو ) • تسمى  
 انشبالوتش (Anchbaluch) (٥) • وتمتد اليها حدود أراضي  
 الصيد الخاصة بجلالته • ولا يجزؤ انسان على الصيد  
 داخلها ، عدا أمراء أسرته وعدا من سجلت أسماؤهم بقائمة  
 كبير مدربي الصقور ، فأما خارج هذه الحدود فان في امكان  
 جميع الافراد الذين تؤهلهم مرتبتهم مطاردة جميع القنائص  
 بكل حرية • على أنه يحدث مع هذا ان الخان الأعظم ينذر  
 أن يمارس تسلية الصيد في هذا الجانب من البلاد (٦) •  
 ونتيجة لهذا ، فان الحيوانات البرية وبخاصة الأرانب تتكاثر  
 بدرجة تتسبب في تدمير القمح والحبوب النامية بالولاية •  
 فلما أن بلغ هذا مسامع الخان الأعظم ، دلف الى هناك بكامل  
 هيئة بلاطه ، فصادوا أعدادا لا تحصى من هذه الحيوانات •



## الفصل التاسع والعشرون

عن مملكة تا ان فو •

عند نهاية رحلة عشرة أيام من مدينة جوزا نصل ( كما ذكرنا آنفا ) الى مملكة تا ان فو ، التى تحمل مدينتها الكبرى ، وهى عاصمة الولاية ، نفس الاسم • وهى من أكبر المدن رقعة وأكثرها جمالا (١) ، وتدور هنا تجارة ضخمة ، كما تصنع مجموعة متنوعة من السلع ، وبخاصة الأسلحة واللوازم العسكرية الأخرى التى يعد موقعها فى هذا المكان مناسباً جداً لخدمة جيوش الخان الأعظم • وتكثر هناك بساتين الكروم ، التى تجمع منها مقادير موفرة من الأعناب • ومع أنه لا توجد داخل دائرة اختصاص تا ان فو بأكملها كروم عدا تلك المنتجة بالناحية المحيطة بالعاصمة مباشرة ، فإن هناك مع ذلك مقادير كافية للولاية بأكملها (٢) • وتنمو هنا أيضا فواكه أخرى بوفرة كبيرة • وذلك كفصل شجرة التوت ومعها الديدان التى تنتج الحرير •

## الفصل الثلاثون

### عن مدينة بى آن فو \*

عند مغادرتك مدينة تا ان فو ، وسفرتك غربا فى رحلة سبعة ايام ، متترقا اقليما بديما توجد به مدن وأماكن منيعة كثيرة تنتشر فيها التجارة وأنواع الحرف ، ويحصل التجار المسافرون فى مختلف أرجاء الاقليم ، على مكاسب وفيرة ، تصل الى مدينة تسمى بى آن فو ، وهى مدينة ذات ضخامة وشهرة واسعة (١) \* وهى تشغل بالمثل عددا جما من التجار والصناع \* وينتج الحرير هنا بمقادير كبيرة \* ولن نزيدك حديثا عن هذه الأماكن ، ولكننا سنتحول الى الحديث عن مدينة كاتشان فو الممتازة ، وذلك بعد أن نتجه ببصرنا أولا الى حصن منيع بأذخ يسمى حصن ثاى جن \*

## الفصل الحادى والثلاثون

عن حصن ناى جن او ناى جن .

هناك فى اتجاه شرقى من بى آن فو حصن جميل وضخم يسمى ناى جن (١) ، يسان انه بنى منذ زمن سحيق ، بناه ملك يسمى دور (٢) ويقوم داخل اسوار الحصن فصر رحيب بديع الزخارف ، تحتوى قاعدته على صور ملونه لجميع الامراء المشاهير الذين ظلموا يحكمون بهذا المكان منذ ازمان سحيقة ، مكونة ياجتماعها معرضا رائعا . وسنقص عليك الآن ظرفا عجيبا مر فى حياة هذا الملك دور . فانه كان أميرا قويا ، اتخذ لنفسه ألهة كبيرة ، تقوم على خدمته شابات أوتين جمالا بارعا ، كان يحتفظ بعدد كبير منهن فى قصره .

وكان عندما يخرج فى أرجاء الحصن التماسا للترويح عن النفس ، تجر عربته هؤلاء الأوانس ، وهو أمر كان يمكنهن عمله بسهولة تامة ، نظرا لصغر حجمها . وكن مخلصات لشخصه وخدمته يؤدين كل عمل يدعو الى ارتياحه أو تسليته على أنه لم يكن فى شئون الحكم لتعوزه القوة والعنفوان ، كما أنه كان يحكم البلاد بهيبة وعدل . وكانت تحصينات قلعته قوية لا نظير لها فى القوة ، على رواية سكان البلاد .

ومع هذا فانه كان تابعا اقطاعيا لأون خان ، الذى كان يغرف كما ذكرنا آنفا باسم بريسترجون ، ولكن نزعتيه الكبرياء فثار عليه . فلما بلغ هذا مسامع القس يوحنا ( أو البريسترجون ) داخله حزن شديد ، لاحتاسه بأن من العبث ، الزحف على القلعة لحصانة موقعها ، أو حتى القيام

بأى عمل عدائى عليها • وظلت الأمور على تلك الحال ردحا من الزمان ، حتى مثل بين يديه ذات يوم سبعة فرسان من رجال حاشيته ، وأعلنوا تصميمهم على محاولة اعتقال شخص الملك دور واحضاره حيا الى جلالته • وشجعهم على ذلك وعد بمكافأة سنية • وطبقا لذلك انطلقوا الى حيث يقيم الأمير ، وتظاهروا بأنهم جاءوا من بلاد بعيدة وعرضوا عليه أن يكونوا فى خدمته •

وأدوا وجباتهم فى خدمته ببالغ القدرة والنشاط ، حتى اكتسبوا تقدير سيدهم الجديد ، الذى غمرهم بمعظيم العطف والرعاية ، الى حد أنه حينما كان يخرج للهو بالصيد ، كان يصحبهم على الدوام معه •

ودات يوم ، وقد شغل الملك بالطراد ، وعبر نهرا فصل ما بينه وبين بقية حاشيته ، الذين بقوا على الضفة المواجهة ، أدرك هؤلاء الفرسان ان الفرصة سنحت لهم انئذ لتنفيذ خطتهم • فاستلوا سيوفهم ، وأحاطوا بالملك واقتادوه بالقوة نحو بلاد القس يوحنا ( بريسترجون ) ، دون أن يتبها له الحصول على اية مساعدة من رجاله • حتى اذا بلغوا قصر ذلك العاهل ، أمر فألبس أسيره أحقر النياب ، وأمر به قصدا الى اذلاله بالمهانة ، فجعل راعيا لقطعانه ، فظل فى هذا الحال التعس سنتين ، واتخذت احتياطات دقيقة للحيلولة دون قراره • وعند نهاية تلك المدة أمر به البريسترجون فأحضر بين يديه ثانية ، وهو يرتجف من خوفه من أنهم سيعدمونه • على أن البريسترجون عمد ، على العكس من ذلك ، بعد أن وجه اليه أشد النصيح وأقسى اللائمة ، حذره من أن تدفعه مكابدة الكبرياء والصلف الى الانحراف عن الولاء له مستقبلا ، ثم منحه العفو ، وأمر به فألبس الثياب الملكية ، وأعادته الى أمارته مصحوبا بحرس شرف كريم • واحتفظ الأمير منذ تلك اللحظة على الدوام بولائه ، وعاش فى صداقة ووفاق مع القس يوحنا • والذى أوردته هو ما قصه على الناس فى موضوع الملك دور ( ٣ ) •

## الفصل الثانى والثلاثون

### عن النهر العظيم الفاخر المسمى كاراموران •

إذا أنت غادرت حصن ثاى جن ، وسرت حوالى عشرين ميلا ، بلغت نهرا يسمى نهر كاراموران (١) ، وهو بالغ الضخامة ، من حيث كل من اتساعه وعمقه ، بحيث لا يمدن إقامة قنطرة صلبة عليه • وهو يفرغ مياهه فى المحيط ، كما سنبين ذلك فيما بعد بتفصيل أوفى (٢) • وتقوم على ضفتيه مدن وقلاع كثيرة ، يسكن فيها عدد من التجار المشغولين بالتجارة ، على نطاق واسع • وتنتج المناطق المحيطة به الزنجبيل ، كما تنتج الحرير أيضا بمقادير ضخمة • أما طيورها فكثرتها لا تصدق ، وبخاصة التدرج الفزان Pheasant (٣) وهى تباع بسعر ثلاثة طيور لكل غروت بندقى • وهنا ينمو أيضا نوع من القصب بوفرة لا نهاية لها ، وبعضها يبلغ محيطه قدما وبعضها الآخر قدما ونصفا ، ويستخدمه السكان فى أنواع مختلفة من الاستخدامات النافعة (٤) •

## الفصل الثالث والثلاثون

### عن مدينة كاتشان فو \*

بعد أن تعبر هذا النهر وتفيض في رحلتك مدة ثلاثة أيام تبلغ مدينة تسمى كاتشان فو (١) ، سكانها من عبدة الأوتان - وهم يقومون بتجارة جسيمة ، ويعملون في عدد كثير من الصناعات - وينتج الاقليم بوفرة هائلة كلا من الحرير والزنجبيل ، والخلنجان (٢) ، وسنبل الطيب ، وكثير من العقاقير التي يكاد يجهلوننها في هذا الجزء من العالم (يعنى أوربا) - وهنا ينسج الناس الأنسجة الذهبية ، فضلا عن كل أنواع القماش الحريري - وسنتحدث في المكان التالي عن كن زان فو ، الفاخرة الدائمة الصيت ، بالمملكة التي تحمل نفس الاسم \*

## الفصل الرابع والثلاثون

### عن مدينة كن زان فو •

عند مغادرتك كاتشان فو ، ومضيك فى رحلة ثمانية ايام فى اتجاه غربى ، تلتقى على الدوام مع بلدان ومدن تجارية ، وتمر من خلال حدائق كثيرة وأراض ذات زرع ، مع وفرة التوت وهو الشجرة التى تسهم فى انتاج الحرير • والسكان على وجه الجملة يعبدون الأصنام ، على أنه يوجد هنا أيضا مسيحيون نسطوريون (١) ، وتركمان (٢) ، ومسلمون • وتوفر ضواري ذلك الاقليم صيدا ممتازا لمن شاء الصيد ، كما أن أضربا كثيرة من الطير تصاد أيضا •

وعند نهاية تلك المراحل الثمانى تصل الى مدينة كن زان فو (٣) ، التى كانت فى قديم الزمان عاصمة لمملكة فخمة ومترامية الأطراف وقوية وكانت مقرا لعدد كبير من الملوك ، ذوى الأصل النبيل والامتياز فى القتال (٤) • ويحكمها فى الزمن الحاضر ، ابن من أبناء الخان الأعظم ، يسمى مانجالو ، أنعم عليه أبوه بالملوكية (٥) • وهى قطر ذو تجارة عظيمة يمتاز بمصنوعاته • وينتج به الحرير الخام بمقادير ضخمة وتنسج أنسجة الذهب وجميع أنواع الأقمشة الأخرى •

وبهذا المكان أيضا يعدون لكل المعدات اللازمة لتجهيز جيش • وجميع أنواع المواد التموينية موجودة بوفرة ويمكن الحصول عليها بسعر معتدل •

والسكان على الجملة يعبدون الأوثان ، على أن بها بمض  
النصارى والتركمان والمسلمين (٦) \* وهناك فى سهل  
منبسط يبعد قرابة خمسة أميال من المدينة ، يقوم قصر  
جميل ، هو قصر الملك مانجالو ، الذى زين بكثير من  
النافورات والنهيرات ، داخل المبانى وخارجها على حد سواء \*

وهناك أيضا حديقة أنيقة يحيط بها سور مرتفع ، به  
مزاغل ( مطلات ذات فتحات ) ، وهو يحيط متسهما درجته  
خمس أميال ، يحفظون فيه للهو والرياضة جميع السوار  
الحيوانات المتوحشة ، ما بين بهيمة وطير \* ويقوم فى وسطه  
هذا القصر المسيح الذى لا يمكن أن يفوقه قصر آخر فى  
السيمتية والجمال \* وهو يحوى كثيرا من القاعات  
والغرفات ، المزدانة بتصاوير من الذهب وأبدع اللازورد ،  
كما أنه ملى بوفرة عظيمة من الرخام \* وتأسيا بسنة والده ،  
يحكم مانجالو البلاد بالقسطاين المستقيمين ، وهو موضع محبة  
شعبه \* كما أنه شديد الشغف بالقنص والتصقير \*



## الفصل الخامس والثلاثون

عن حدود كاتاي ومانجى .

إذا واصلت رحلتك ثلاثة أيام غربا من مقر الحكم فى مانجالو ، فانك لا تفتأ تجد مدنا وقلاعا ، يعيش سكانها على التجارة والصناعة وفيها كثرة موفرة من الحرير ، ولكنك تدخل عند نهاية هذه المراحل الثلاث الى منطقة مكونة من جبال ووديان تقع داخل ولاية كن كن - Kun-Kin (١١) .

ومع ذلك ، فان هذه الشقة لا يعوزها السكان ، وهم من عبده الاوتان ويزرعون الارض \* وهم يعيشون ايضا على الصيد والمنتص ، وذلك لان الارض خيرة الاجام \* وفيها توجد كثير من الحيوانات الضارية ، كالاسود ( الببور ) والديبه والوشق والأييل الأسمر والظبي والوعل وغيرها كثير ، وكلها يستفيدون منها ايما افادة .

وتمتد هذه المنطقة الى مسافة رحلة عشرين يوما ، يمتد فيها الطريق بأكمله فوق جبال وعبر وديان وغابات ، ولدى تنناثر فيه على الدوام المدن التى يجد فيها المسافرين كل وسائل الراحة \* حتى اذا انتهت رحلة العشرين يوما هذه نحو الغرب ، وصلت الى مكان يسمى آتش بالوتش مانجى ، ومعناها المدينة البيضاء (٢) على حدود مانجى ، وهناك تصبح أرض المنطقة مستوية وتكون شديدة الازدحام بالسكان \* ويعيش السكان من التجارة والفنون اليدوية .

وتنتج البلاد مقادير ضخمة من الزنجبيل الذى يحمل من خلال جميع نواحي ولاية كاثاى ، مدرا على التجار مكاسب عظيمة (٣) \* وينمو بالاقليم القمح والأرز وغيرهما من الحبوب بوفرة وبمعدل انتاج معقول ، ويستمر هذا السهل المغطى بالقدر الكثيف من المساكن لمدة مرحلتين ، لا تلبث بعدها حتى تصل الى جبال عالية ووديان وغابات \* فاذا رحلت بعد ذلك عشرين يوما ممعنا فى المسيرة غربا ، لقيت باستمرار بلادا يسكنها قوم يعبدون الأوثان ، ويعيشون على ما تنتج أرضهم وعلى ما يقنصون من صيد أيضا \*

وهنا أيضا تجدون بجانب الحيوانات البرية التى عدت أعلاه ، أعدادا غفيرة من ذلك النوع الذى ينتج المسك \*

## الفصل السادس والثلاثون

عن ولاية سن دن فو ، وعن نهسر  
كيان العظيم •

بعد أن تقطع هذه المراحل العشرين مارا خلال منطقة جبليّة ، تصل الى سهل على حدود مانجى ، توجد به ناحية تسمى سن دن فو ، وهو الاسم الذى تتسمى به أيضا المدينة العظيمة الفاخرة وهى العاصمة التى كانت فى سالف الأوان مقرا لحكم كثير من الملوك الأثرياء والأقوياء (١) • ومحيط المدينة عشرون ميلا ، ولكنها فى الزمن الحاضر مقسمة بسبب الظروف التالية : كان للملك الراحل المعجوز ثلاثة أبناء ، ولما كانت رغبته أن يتولى كل منهم الحكم بعد وفاته ، فانه قسم المدينة بينهم ، وفصل كل قسم منها عن الأجزاء الأخرى بأسوار ، وان ظلت فى مجموعها محوطة بتحويطة عامة • وتبعاً لذلك أصبح هؤلاء الاخوة الثلاثة ملوكا ، وأخذ كل منهم نصيبا له ، شقة ضخمة من الأراضى ، وذلك نظرا لشدة اتساع ممتلكات أبيهم وواسع ثرائها • ولكن الخان الأعظم لما فتح المدينة قضى على هؤلاء الأمراء الثلاثة واستولى على ميراثهم (٢) •

وتستمد المدينة المياه من أنهار ضخمة كثيرة ، تنزل من الجبال البعيدة فتحيط بها وتمر من خلالها فى اتجاهات متعددة • وبعض هذه الأنهار قد يبلغ نصف ميل عرضا ، وبعضها الآخر مائتى خطوة ، كما أنها شديدة العمق وقد بنيت فوقها بعض القناطر الحجرية ، وكلها ضخمة وجميلة

الشكل وعرضها ثمانى خطوات ، بينما طولها يتراوح عظما  
وصغرا حسب اتساع النهر .

ويقوم على كل من جانبيها من أولها الى آخرها صف  
من العمدان الرخامية تدعم السقف ، وذلك لأن القناطر لها  
هنا أسقف بالغة الرشاقة مبنية من الخشب المحلى بطائعات  
ونصاوير باللون الأحمر ومغطاة بالقرميد . وتوجد على  
طول القنطرة باكملة اجنحة ودكاكين أنيقة ، تدور فيها جميع  
أنواع التجارة (٣) . وهناك مبنى أكبر من المباني الأخرى ،  
يحتله الموظفون الذين يجمعون الرسوم المفروضة على المواد  
التموينية والسلع التجارية ، فضلا عن فرضه على الأفراد  
الذين يعبرون القنطرة .

ويقال ان جلالته يحصل ، بهذه الطريقة ، يوميا على  
مبلغ مائة بيزنطى من الذهب (٤) . وهذه الأنهار اذ توجد  
مجاريها أسفل المدينة تساهم فى تكوين النهر الجبار المسمى  
كيان (٥) ، الذى يمتد مجراه حتى يصب ماءه فى المحيط  
مسافة تعادل مسيرة مائة يوم (٦) ، وسننتهز فرصة تالية  
للحديث عن خواصه فى قسم تال من هذا الكتاب .

وتقع على هذه الأنهار والأجزاء المجاورة لها مدن كثيرة  
ومواقع حصينة ، كما أن السفن هناك كثيرة ، وتنقل فيها  
مقادير ضخمة من التجارة من المدينة واليها . وسكان الولاية  
من عبدة الأوثان . فاذا أنت رحلت من هناك سافرت خمس  
مراحل ، منها جزء على امتداد سهل ، وجزء آخر مخترقا  
أودية ، حيث ترى كثيرا من القصور المنيفة والقلاع والمدن  
الصغيرة . ويعيش السكان بما يزرعون من زراعة . كما  
توجد فى المدينة صناعات ، أخص بالذكر منها الأنسجة

الرفيعة ولا سيما الكريب أو الشاش الفزى (٧) " وتمييز  
فى هذا القطر ، شأن النواحي التى سبق ذكرها ، ضوار منها  
الأسد ( الببر ) ، والدب وغيره من الحيوانات المتوحشة .  
وعند نهاية رحلة هذه الأيام الخمسة تبلغ اقليم النبت  
اليباب المقفر .

## الفصل السابع والثلاثون

### حول ولاية التبت \*

نزل الخراب المطبق بالولاية المسماة بالتبت (١) في الآونة التي دفع فيها مانكوخان جيوشه الى تلك البلاد . فأنت تمضى مسافة رحلة عشرين يوما ، وتشهد مالا حصر له من المدن والقلاع فى حالة خراب ، وكانت نتيجة شدة النقص فى السكان ، أن تكاثرت الحيوانات الضارية . وبخاصة البيور الى حد جعل التجار وغيرهم فى خطر كبير أثناء فترة الليل \*

واذن فليسوا فحسب مضطرين الى حمل زادهم معهم . بل انهم ليجبرون عند وصولهم الى محطات التوقف الى استخدام صنوف الحذر ، وعمل الاحتياطات التالية حتى لا تلتهم الضواري أحصنتهم \*

ويوجد القصب ( الخيزران ) بهذه المنطقة وبخاصة الى جوار الأنهار ويبلغ طوله عشر خطوات ومحيطه ثلاث راحات ( أشبار ) وثلاثة أشبار كذلك فى المسافة بين كل عقدة ( أو مفصل ) وأخرى " ويربط المسافرون عندما يقترب المساء العديد من هذا الخيزران وهو فى حالته الخضراء ويضعونها على مسافة معينة من مستقراتهم ، ويوقدون حولها نارا ، حتى تنفجر بفعل الحرارة محدثة دويا هائلا (٢) \* ويبلغ من شدة الدوى أن يسمع على مبعده ميلين ، وهو أمر يبعث الذعر فى الحيوانات الضارية ويدفعها الى الفرار من الجزيرة كلها \*

ويزود التجار أنفسهم بأصفاد من حديد ، ليربطوا خيولهم ، والا قطعت شكلها وفرت لا تلوى على شيء ، ان لم تربط بهذه الوسيلة ، اذا أفزعها الفرقعة ، والحق انه حدث ، نتيجة لاهمال هذا الاحتياط ، أن كثيرا من أصحاب الخيل فقدوا خيلهم .

وهكذا تمضى فى رحلته عشرين يوما مخترقا أرضا قفرا مهجورة من السكان ، دون أن تجد خانا ولا مؤونة ، اللهم الا ربما واحدة فى مدى ثلاثة أو أربعة أيام ، وعندها تنتهز الفرصة لتستكمل النقص فيما تحتفظ به من ضروريات وعند نهاية تلك المدة تشرع فى استكشاف قلة قليلة من القلاع والمدن الحصينة ، بنيت على مرتفعات صخرية ، أو على قمم الجبال وتدخل بالتدريج فى منطقة مأهولة ومنزوعة ، لا يعود يتبقى بها أى خطر من الضواري المفترسة .

وهناك عادة مخزية ، لا يمكن أن تصدر الا عن عمالية الوثنية ، وتنتشر بين شعب هذه المناطق ، الذين يكرهون الزواج من الشابات ما دمن عذراوات ، ولكن يشترطون . على عكس ذلك ، أن تكون لهن علاقات سابقة مع كثير من أفراد الجنس الآخر ، وهم يؤكدون أن ذلك مما يسر آلهتهم ، وأن المرأة التى لم تحظ بصحبة الرجال امرأة عديمة القيمة (٣) .

وتبعاً لذلك فانه عند وصول احدى قوافل (٤) التجار ، وبمجرد أن يقيموا خيامهم لقضاء الليل ، تحمل الأمهات ذوات البنات اللائى بلغن سن الزواج ، بناتهن الى ذلك المكان . وتقوم كل واحدة منهن ، فى كفاحها فى سبيل الحصول على الايثار والتفضيل ، بالتوسل الى الغرباء بقبول ايئتها والاستمتاع بصحبتها لأى منهم مادام موجودا فى المنطقة المجاورة (٥) .

فمن كانت منهن ذات جمال يزكيها ، وقع عليها الاختيار  
بشبيمة الحال ، فاما الياقيات فيعدن الى منازلهن مخفيات  
المسمى بحزونات ، بينما تواصل الأولى الجميلة مكثها مع  
البن حاتم حتى يحين موعد رحيلهم \* وعند ذلك يعيدونهن  
الى امهاتهن \* ولا يحاولون البتة اخذهن معهم \* على انه  
ينتظر من التجار مع هذا ان يهدوا اليهن هدايا من حل  
صغيرة: أو خواتم أو غيرها من وسائل التعبير عن التقدير  
والمجاملة لتأخذها الفتيات الى بيوتهن \* ومتى أعددن بعد  
ذلك للزواج ، لبسن كل هذه الحل حول أعناقهن أو غيرها من  
أجزاء أجسامهن ، وهنا تعد من تبين أكبر عدد من هذه  
الحل أنها استلفتت انتباه أكبر عدد من الرجال ، فهي على  
هذا الأساس موضع أعلى تقدير عند الشبان الذين ينشدون  
زوجات ، ثم انها لا تستطيع أن تجلب لزوجها بائنة أعظم  
قبولا في نفسه من مجموعة الهدايا \*

وعند الاحتفال بالمراسم الشرعية لزواجه ، نعرض  
طبقا لذلك هذه الهدايا على الحشد المجتمع ، فاما الزوج  
فيعد الهدايا آية على ان الاصنام جعلتها فاتنة في اعين  
الرجال \* ومنذ تلك الساعة لا يجرؤ انسان على التدخل في  
شئونها كما مرة أصبحت زوجا لرجل آخر ، وهي قاعدة  
لا يكسرها انسان ابدا \* وهؤلاء الناس الوثنيون غادرون  
قساة الأكباد ، اذ لا يمدون السرقة جريمة أو معرة ، فانهم  
أكبر لصوص في العالم (٦) \* وهم يعيشون على مطاردة  
القنائص وصيد الطيور \* وكذا على ما تنتج الأرض من  
ثمار \*

وهنا توجد الحيوانات التي تنتج المسك ، وتكثر  
مقاديره كشرة تجعل رياه تنفوح بكل أرجاء القطر \* اذ يحدث  
مرة كل شهر أن يفرز الافراز ويشكل نفسه ، كما أوضحنا  
أنسا ، في صورة خراج أو بشرة مملوءة بالدم ، قرب السرة ،  
فيصبح الدم الذي يخرج بهذه الطريقة ، نتيجة للاستلاء



المفرط هو المسك (٧) . ويكثر الحيوان بكل أرجاء هذا الاقليم ، وتنفثق الرائحة وتعمه عادة . ويسمى الحيوان بلغة الأهالى هناك جودرى Gudderi (٨) ، ويصاد بواسطة الكلاب . ولا يستخدم هؤلاء القوم عملة مسكوكة ، ولا حتى عملة الخان الأعظم الورقية ولكنهم يستخدمون المرجان عملة لهم (٩) وثيابهم خشنة متواضعة ، اذ تصنع من الجلد المدبوغ أو الأدم ( الجلد ) الخام أو الخيش .

وليس لهم لغة خاصة بولاية التبت ، التى تتاخم مانجى . وكانت هذه فى الماضى اقليما بلغ من عظمه وأهميته أن تقسم الى ثمانى ممالك ، تحوى الكثير من القلاع . وأنهارها وبحيراتها وجبالها كثيرة العدد .

وفى الأنهار ، يوجد التبر بمقادير ضخمة جدا (١٠) ولا يقتصر الأمر على استخدام المرجان ، سالف الذكر ، عملة فقط ، بل ان النساء يستعملنه أيضا عقودا لأعناقهم وبه يزينون أصنامهم (١١) وتقوم صناعات الحملة ( القطيفة ) وأقمشة الذهب ، كما أن البلاد تنتج كثيرا من العقاقير التى لم تجلب الى بلادنا وهؤلاء القوم سحرة ، ويستطيعون بواسطة فنهم الجهنمى القيام بأفانين سحرية خارقة وخادعة الى أقصى حد مما لم يسمع الناس بمثله أو يروه أبدا .

وهم يجعلون العواصف تهب مصحوبة بوميض البرق والصواعق ، وينتجون آثارا أخرى معجزية كثيرة . وهم فى مجموعهم شعب تحيط به الأحوال السيئة .

ولديهم كلاب بحجم الحمير (١٢) وهى من القوة بحيث تستطيع اصطلياد جميع أنواع الحيوانات الوحشية ، وبخاصة الثيران التى تسمى « بيامينى » (١٣) ، وهى شديدة

الضخامة باللغة الشراسة • وتربى هنا بعض من خيرة أنواع  
صقور الحر وكذلك الصقور وهي سريعة الطيران جدا ،  
ويستمتع الأهالى بواسطتها برياضة قنص طيبة ، وولاية  
التبت هذه خاضعة للخان الأعظم ، هي وجميع الممالك  
والولايات التي ورد ذكرها من قبل • وتعقب هذه الولاية  
ولاية كاين دو •

## الفصل الثامن والثلاثون

### عن ولاية كاين دو .

ان كاين دو ولاية غربية ، كانت خاضعة فيما سلف  
 لأسرائها الوطنيين ، ولكنها منذ أن ضمت الى أملاك الخان  
 الأعظم ، أصبحت يحكمها الحكام الذين يعينهم \* على انه  
 لا يجوز لنا مع ذلك أن نفهم أنها تقع فى الجزء الغربى  
 ( من آسيا ) ، وانما هى فقط تقع موقعا غربيا بالنسبة  
 لاتجاه طريقنا من القسم الشمالى الشرقى \* وسكانها عباد  
 أوثنان ، وهى تشمل كثيرا من المدن والقلاع ، كما أن المدينة  
 العاصمة التى تقع عند بداية الولاية تسمى أيضا  
 كاين دو (١) .

وتوجد بالقرب منها بحيرة كبيرة مالحة ، يوجد بها الكثير  
 الموفور من لآلىء ذات لون أبيض ، غير أنها ليست  
 بالمستديرة (٢) .

ويبلغ من عظم الكمية الموجودة فعلا ، أنه لو أن جلالته  
 سمح لكل فرد بالبحث عن اللؤلؤ ، لأصبحت قيمته زهيدة ،  
 ولكن صيده محرم على كل من لم يحصل على ترخيص منه \*  
 والجبل الموجود بالمنطقة ينتج حجر التركواز (أى الفيروز) ،  
 الذى لا يمكن تشغيل مناجمه الا بنفس الاذن .

وآلف سكان هذه المنطقة تلك العادة الشائنة المخجلة من  
 أنهم لا يعدون من المساس بالشرف فى شىء أن يسمحوا لمن

يمرون مسافرين من خلال بلادهم بالاتصال بزوجاتهم او بناتهم أو اخواتهم ، ولكنهم على العكس من ذلك ، عند وصول الغرباء ، يحاول كل صاحب دار أن يصطحب أحدهم الى بيته ، ثم بعد أن يسلمه جميع اناث العائلة يتركه فى موقف سيد البيت ، وينصرف \* ومادام الغريب فى البيت يرفع اشارة فى النافذة ، كقبعته أو أى شىء آخر ، ومادامت هذه الاشارة مرفوعة فى البيت يظل الزوج غائبا عنه \* وتنتشر هذه العادة بكل أرجاء الولاية \* وهم يفعلون ذلك تكريما لأوثانهم ، معتقدين أنهم بهذا الترفق وكرم الضيافة اللذين يقدمان للرحالة ، تحصل البركة ، وأنهم سيكافأون على ذلك بقدر موفور من ثمار الأرض \*

واليكم الطريقة التى تصنع بها النقود أو العملة التى يستخدمونها : فانهم يصوغون ذهبهم قضباناً صغيرة ، وان ( تقطع القضبان أطوالاً معينة ) فانها تتداول طبعا لوزنها ، بدون أى دمع (٣) \* وتلك هى عملتهم الكبرى \* فاما الصغرى فانها على النحو التالى : توجد بهذا القطر ينابيع مالحة ، يستخرجون منها الملح بغلى الماء فى أوعية صغيرة (٤) ، فاذا مضت ساعة على الماء وهو يغلى ، أصبح نوعاً من العجينة \* تشكل فى صورة أقراص ، قيمة كل قرص منها بنسان \*

وهذه الأقراص وهى مسطحة من أسفل ومحدودة فى جانبها الأعلى - توضع على قراميد ساخنة قرب نار مشتعلة ، حتى تجف وتصلب \* وعلى هذا النوع الأخير من النقود يوضع خاتم الخان الأعظم ، ولا يجوز أن يعده انسان آخر عدا موظفيه \* وتعد كل ثمانين من هذه الأقراص معادلة لساجيو Saggio من الذهب (٥) \*

ولكن عندما يحمل المتجرون المتسبيون الصغار هذه الأقراص الى ديار سكان الجبال ، والمناطق الأخرى يقل تردد الناس عليها ، يحصلون على ساجيو من الذهب مقابل ستين

او خمسين او حتى اربعين من اقراص الملح ، على صورة  
تناسب وما يجدون عليه الاهالى من قلة النحضر وشدة البعد  
من المدن ومدى تعودهم على المثلث فى مكان واحد ، ودلت  
نظرا لان من تحيط بهم ظروف كهذه ، لا يستطيعون على  
الدوام الحصول على سوق لذهبهم ومسكهم وغيرهما من  
السلع . ومع هذا فانه حتى بهذا السعر يحصل على رزق  
طيب ، كل من يجمع تبر الذهب من قيغان الأنهار كما  
ذكرنا آنفا .

ويسافر نفس هؤلاء التجار على هذا النحو غيتنه فى  
الأجزاء الجبلية وغير الجبلية من بلاد التبت ، التى سبق  
ذكرها ، حيث تكون لنقود الملح عملة تعادله . وهم  
يحصلون على مكاسب عظيمة ، وذلك لأن هؤلاء الزيفيين  
يستهلكون الملح فى طعامهم ويمدون شيتا ضروريا  
لا يستغنى عنه ، وذلك بينما يقتصر سكان المدن فى نفس  
الفرض على استخدام الأجزاء المكسرة من الأقراص مستخدمين  
الأقراص الصحيحة نقودا متداولة . وهنا أيضا تقتنص  
أعداد كبيرة من الحيوان المسمى بالجودرى ، الذى ينتج المسك ،  
كما أن تلك السلعة وفيرة نسبيا (٦) . وتصاد من البحيرة  
أسماك كثيرة ذات أنواع ممتازة . وتوجد بالبلاد ببور  
ودببة وغزلان ووعول وظباء . وهناك كثرة عظيمة من  
الطيور المختلفة الأنواع . ولا تصنع ( الخمر ) بها من العنب  
بل من القمح والأرز ، مع مزجها بخليط من التوابل ، وهو  
شراب ممتاز .

وتنتج هذه الولاية أيضا القرنفل . وشجرته قصيرة  
وتشبه أغصانها وأوراقها مثيلاتها من الغار ، ولكنها أطول  
قليلا وأضيق - وأزهارها صغيرة بيضاء ، شأن القرنفل  
نفسه ، لكنها عندما تنضج يسمر لونها . وينمو هناك  
الزنجبيل وكذلك القرفة الصينية أو الدار صينى بوفرة ،

فضلاً عن كثير من العقاقير الأخرى ، التى لا ينتل منها شيء  
البتة الى أوروبا •

وعند مغادرة مدينة كاين دو ، تمتد الرحلة خمسة  
عشر (٨) يوماً حتى التخيم المقابل من الولاية ، تلتقى فى  
أثنائها بمساكن مهياة لأغراض الطراد وصيد الطيور  
ويتهج الأهالى الأعراف والعادات التى أسلفنا اليك صفتها

وعند نهاية هذه الأيام الخمسة عشر ، تصل الى نهر  
بريوس الكبير الذى يحد الولاية والذى توجد فيه مقادير  
كبيرة من التبر (٩) • وهو يصب مياهه فى المحيط • وسنترك  
الآن هذا النهر ، اذ ليس لدينا مزيد عنه تجدر ملاحظته  
ثم نمضى الى الحديث عن ولاية كارايان •

## الفصل التاسع والثلاثون

عن ولاية كارايان العظيمة وعن  
ياتشى قصبته ومدينتها الكبرى .

بعد عبور النهر سالف الذكر ، تدخل ولاية كارايان  
وهى من بالغ السعة والتزامى بحيث قسمت الى سبع  
حكومات (١) . وهى تقع ناحية الغرب ، والسكان هناك  
يعبدون الأوثان ، كما أنها خاضعة لسلطان الخان الأعظم ،  
الذى أجلس عليها ملكا ، ابنه المسمى سن تيمور ، وهو أمير  
ثرى قوى جليل وهب ما لا آخر له من الحكمة والفضيلة ،  
وعلى يديه تحكم المملكة بعدالة عظيمة (٢) . وعند الاعتماد  
عن هذا النهر بمسيرة خمسة أيام ، فى اتجاه الغرب ، تمر  
من خلال اقليم أهل بالسكان تماما ، وترى كثيرا من القلاع .  
ويعيش السكان على تناول اللحم بأنواعه وعلى ما تشر  
الأرض من ثمار . وهم يتحدثون بلغة خاصة بهم ، من  
العسير على الغريب أن يتعلمها . وتربى أحسن الخيل بهذه  
الولاية (٣)

وعند نهاية هذه الأيام الخمسة تصل الى قصبته التى  
تسمى ياتشى ، والتى هى مدينة ضخمة وفاخرة (٤) . وبها  
يوجد التجار والصناع مع سكان مغلطين ، يتكونون من  
الوثنيين ( من الأهالى ) ، والنساطرة المسيحيين ، والمسلمين  
أو العرب ، ولكن الطبقة الأولى هى أكثر هؤلاء عددا .  
والأرض خصبة يكثر بها انتاج الأرز والقمح ومع هذا فان  
الناس لا يستخدمون خبز القمح ، الذى يعتقدون أنه غير

صحى ، ولكنهم يأكلون الارز بدلا منه ، كما يصنعون من القمح ، بعد اضافة التوابل اليه ، خمرا صافية فاتحة اللون ، لذيذ المذاق جدا (٥) .

وهم يستخدمون بدلا من النقود ، المحار الخزفى أو الودع الأبيض ، الذى يوجد فى البحر ، كما أنهم يلبسون هذا الصنف أو المحار نفسه زينة حول أعناقهم (٦) . وكل ثمانين محارة تعادل فى القيمة ساجيو واحدا من الفضة أو غروتين بندقين ، كما تعادل ثمانية ساجيو من الفضة الخالصة ، ساجيو واحدا من الذهب النقى (٧) . وتوجد فى هذا الاقليم أيضا ينابيع ملح ، ينتج منها جميع الملح الذى يستخدمه السكان . والرسوم التى تجبى على هذا الملح تدر دخلا ضخما على الملك .

ولا يعد الأهالى أنهم أضيروا ، اذا اتصل رجال آخرون بزوجاتهم ، شريطة أن يكون الفعل بارادة المرأة . وهنا توجد بحيرة يقارب محيطها مائة ميل ، تصادفها مقادير ضخمة من أنواع مختلفة من السمك ، منه ما هو كبير الحجم .

وجرت عادة الناس بتناول لحم الطيور ( الدواجن ) والغنم والثيران والجاموس نيئا غير مطهو ، ولكنه معالج بالطريقة التالية : فهم يقسمون اللحم الى جزئيات صغيرة جدا ، ثم يضعونه فى خليط من الماء والملح ، مع اضافة كثير من توابلهم . وهم على هذا النحو . يعدونه لأفراد الطبقة العليا ، ولكن الطبقات الفقيرة تنقعه ، بعد الفرم ، فى صلصة الثوم ثم يأكلونه كأنما هو مطبوخ .



## الفصل الأربعون

### عن الولاية المسماة كارازان

إذا أنت غادرت مدينة ياتشى ، وسافرت عشرة أيام فى اتجاه الغرب ، وصلت الى ولاية كارازان ، وهو أيضا اسم عاصمتها (١) . والسكان هنا عباد أوثان . والبلاد تابعة لممتلكات الخان الأعظم ، ويتولى المهام الملكية فيه ابنه المدعو كوجاتين (٢) . ويوجب الذهب فى الأنهار ، على شكل جزئيات تبر صغيرة أو كتل ، كما أن منه جروقا فى الجبال .

وكانت نتيجة المقدار الكبير الذى يحصل عليه منه ، أن صاروا يقدمون ساجيو من الذهب بستة ساجيو من الفضة . وهم يستخدمون بالمثل الصدف سالف الذكر نقودا ، وهو لا يوجد ، مع هذا ، فى هذا الجزء من العالم ، ولكنه يستجلب من بلاد الهند . وكما أسلفت اليك فان هؤلاء القوم لا يتخذون من العذارى زوجات بتاتا

وهنا تشاهد ثعابين هولة ، طول الواحد منها عشر خطوات ، ومحيط الجسم منها عشرة أشبار . ولها فى مقدم جسمها قرب الرأس قدمان قصيرتان ، بهما ثلاثة مخالب كيمخالب النمر ، وعينان أكبر من رغيف الأربعة بنسبات (Pone da quattro denari) وهما تحملقان ببريق حاد وفكاه من عظم السعة بحيث تبتلعان انسانا ، وأسنانه كبيرة وحادة . كما أن شكلها بمجموعه رهيب ، بحيث لا يستطيع انسان ولا حيوان الاقتراب منها دون أن يمتلىء رعبا (٣) . وقد

نلتقى ببعض منها له حجم صغير طوله ثمانى خطوات أو ست  
أو خمس ، واليكم الطريقة التى تقتنص بها : ففى النهار  
تتوارى بسبب شدة القيظ فى الكهوف ، ثم تخرج منها  
ليلا ، بحثا عن الطعام ، فأيما بهيمة التقت بها واستطاعت  
الامساك بها ، ببرا كانت أم ذئبا أم أى حيوان آخر ،  
التهمتها ، وبعدها تسحب نفسها الى احدى البحيرات أو أحد  
ينابيع الماء أو الأنهار لتشرب . وتحدث بحركتها على هذا  
النحو على امتداد الشاطئ ، وثقلها الفاحش ، حزا عميقا  
فى الأرض كأنما سحب على الرمال عرق ثقيل من الخشب .  
فمن كانوا يعيشون من صيدها ، ما عليهم الا قص الأثر الذى  
اعتادت تركه فى أغلب الأوقات فى روحاتها وغدواتها ،  
فيثبتون فى الأرض قطعا كثيرة من الخشب ، مسلحة بخوازيق  
حادة من الحديد ، يغطونها بالرمل بطريقة تواريها عن  
الأنظار . فإذا اتخذت الحيوانات طريقها نحو الأماكن التى  
ترتاها عادة ، جرحتها هذه الخوازيق الحادة وأودت بحياتها  
سريعا (٤) .

وما أن تدرك الغربان أنه مات حتى تشرع فى النعيق ،  
فيكون ذلك إشارة الى الصائدين ، فيتقدمون الى حيث هو  
ليسلخ جلده ، يبدن حرصا فوريا على الحصول على الصفراء ،  
التي هى موضع أعلى التقدير فى الطب . فهى تستخدم فى  
حالة غصة كلب ( مسعور ) بدهن موضع الغصة بما  
يعادل وزن بنس منها مذايا فى النبيذ . وهى نافعة أيضا  
فى التعجيل بالمخاض عندما تهاجم آلام الطلق النساء .

وتدهن بمقدار صغير منها ، الجمرات أو البشور  
وغيرها من أنواع الطفح الجلدى ، فتتبدد على الفور ، وهى  
نافعة أيضا فى أنواع أخرى كثيرة من الشكايات ( الأمراض ) ،  
فأما لحم الحيوان فيباع أيضا بسعر غال ، لاعتقاد الناس بأن  
له نكهة أطيب من أنواع اللحم الأخرى . كما أنه يعد عند  
جميع الأفراد وجبة شهية (٥) .

وخيول هذه الولاية ذات حجم كبير ، وتحمل صغيرة الى الهند لتباع هناك . ومن عاداتهم حرمانها من عقلة من ذيلها ، لمنعها من تطويجه من جانب الى آخر ، وارغامها أن تظل الذيول مدلاة ، وذلك لأن تطويح الذيل أثناء الركوب يبدو لهم عادة قبيحة (٦) .

ويركب هؤلاء القوم خيلهم بركابات طويلة ، كما يفعل الفرنسيون فى جهتنا هذه من العالم ، وذلك بينما يجعلها التتار وجميع الشعوب الأخرى تقريبا قصيرة ، لكى يتاح لهم استخدام القوس على نحو أيسر ، وذلك لأنهم ينهضون فى ركابهم على صهوات الخيل عندما يطلقون سهامهم . ولديهم جنة (دروع) كاملة من جلد الجاموس ، ويحملون معهم الرماح والتروس والقوس والنشاب . وجميع سهامهم مسمومة وقد أكد لى بعضهم على أنها حقيقة أكيدة ، أن كثيرا من الأشخاص ، وبخاصة من يظلمون الشر للناس ، يحملون معهم السم ، على الدوام ، وبقصد ابتلاعه ، فى حالة اعتقالهم لأية جريمة يرتكبونها وتعرضهم للتعذيب ، بحيث يمكنهم القضاء على أنفسهم بيدهم بدل مكابדתه . بيد أن حكامهم الذين هم على بينة من هذه الممارسة ، مزودون دائما بروث الكلاب ، الذى يلزمون المتهم بابتلاعه فور تناوله السم ، وذلك لأنه يتسبب فى أن يبقى السم (٧) ، وهكذا يصبح ترياقا جاهزا ليعمل ضد تفانين هؤلاء المناكيد . وكان هذا الشعب قبل دخوله فى طاعة الخان الأعظم ، مولعا بالعادة الوحشية التالية : فانه متى تصادف أن غريبا ذا صفات ممتازة : يجمع بين جمال الشخص والشجاعة الممتازة ، نزل ضيفا بمنزل أحدهم ، قتلوه أثناء الليل ، لا من أجل ماله ، ولكن بغية أن تظل روح المتوفى ، بما وهبت من مهارات وذكاء ، مقيمة بين ظهرانى العائلة ، وأنه يفضل مفعول هذا الكسب

المحرز، تزدهر جميع شئونهم \* ومن ثم فقد كان يعد سعيد  
 الحظ كل فرد امتلك بهذه الطريقة روح أية شخصية نبيلة ،  
 كما أن كثيرين فقدوا حياتهم نتيجة لذلك العرف \* ولكن  
 منذ أن شرع جلالته بحكم البلاد ، اتخذ الاجراءات اللازمة  
 للقضاء على هذه الممارسة البشعة ، ونتيجة لأثر العقوبات  
 القياسية التي كانت تنزل بمقتربها ، توقفت تماما \*

## الفصل الحادى والأربعون

عن ولاية كارداندان ومدينة  
فوتشانج .

لو أفضنا من كارازان فى رحلة خمسة أيام باتجاه الغرب ، نبلغ ولاية كارداندان ، وهى تابعة لممتلكات الخان الأعظم ، وتسمى قضبتها فوتشانج (١) . وعملة هذا الاقليم هى الذهب موزونا ، وكذلك الأصداف (البورسولين)

وتتم مبادلة أوقية من الذهب على خمس أوقيات من الفضة ، والساجيو الواحد من الذهب على خمسة ساجيو من الفضة ، حيث لا توجد مناجم للفضة بتلك البلاد ولكن بها الكثير من الذهب ، ونتيجة لهذا فإن التجار الذين يستوردون الفضة يحصلون على مكاسب باهظة .

واعتاد نساء هذه الولاية ورجالها ، تغطية أسنانهم بصفائح رقيقة من الذهب تشكل بدقة وأناقة وفق شكل الأسنان ، وتظل على الأسنان دائما . ويشكل الرجال أيضا خطوطا أو أشرطة قاتمة حول أذرعهم وأرجلهم ، وذلك بوخزها على الوجه التالى : فهم يربطون خمس ابر معا ، ولا يزالون يضغطونها فى اللحم حتى يخرج الدم ، وعندئذ يدعكون الثقوب بمادة سوداء ملونة ، تترك فى الجلد أثرا لا يمحى .

وتعد هذه الأشرطة القاتمة من حلية الزينة ودلائل الامتياز المشرف (٢) . وهم لا يغيرون بالا لآى شىء عدا

الفروسية ورياضات الطراد ، وكل ما انتمى الى استخدام الأسلحة والحياة العسكرية \* تاركين لزوجاتهم ادارة شئونهم المنزلية كافة ، يساعدن في أعمالهن الرقيق ، الذى اما أن يشترى أو يؤخذ أسيرا فى الحرب \*

والف هؤلاء الناس هذه الممارسة العجيبة التالية : فما أن تضع امرأة طفلا وتنهض من الفراش ، وتحمل طفلها بالماء وتلفه بالأقمطة ، حتى يشغل زوجها المكان الذى غادرت ، ويأمر بوضع الطفل الى جانبه ، ثم يتولى رعايته أربعين يوما \* وفى الوقت نفسه ، يقوم أقارب العائلة ، وأصدقائها بزيارته لتهنئته ، بينما تتولى المرأة شئون البيت ، وتحمل الى الزوج فى فراشه الأطعمة والشراب ، وترضع الوليد الى جواره ، ويأكل هؤلاء القوم اللحم نيئا ، أو مجهزا بالطريقة التى سلف وصفها ، ويأكلون معه الأرز \* وخمرهم مصنوعة من الأرز ، مع خلطها بمزيج من التوابل ، كما أنه مشروب طيب \*

وليس للقوم فى هذه المنطقة معابد ولا أوثان ، ولكنهم يقدمون عبادتهم لكبير العائلة أو سلفها الأول ، الذى هم فيما يقولون - نظرا لاستمدادهم وجودهم منه - مدينون له بكل ما يمتلكون (٣) \*

وليست لديهم أية معرفة أيا كان نوعها بالكتابة ، كما أن هذا شيء لا عجب فيه ، إذا وضعت فى الاعتبار الطبيعة الغليظة للبلاد ، وهى شقة جبلية مغطاة بأكثف الغابات \*

وفى أثناء فصل الصيف يكون الجو كثيبا وغير صحى الى حد أن يضطر التجار وغيرهم من الغرباء الى مغادرة الناحية للنجاة بأنفسهم من الموت (٤) \*

وعندما تدور بين الأهالى صفقات تجارية وأشغال مما يستلزم منهم تنفيذ أى التزام بقيمة دين أو إئتمان ، فإن

كبيرهم يتناول قطعة مربعة من الخشب ، ويقسمها الى قسمين .

وعندئذ تحز فيها حروز ، تدل على المبلغ ، موضع الالتزام ، ويتلقى كل فريق قطعة من القطعتين المتقابلتين على النحو الذى يمارس فى عصا الحساب عندنا \* وعند انتهاء مدة المداينة ، ودفع المدين لدينه يسلم الدائن قطعه ، ويظل الجميع راضين .

ولا يمكن العثور فى هذه الولاية ولا فى مدن كاين دو أو فوتشانج أو ياتشى ، على أشخاص يتعاطون فن التطبيب . فمتى أصيب شخص ذو حيثة بمرض ، ترسل عائلته فى طلب أولئك المشعوذين الذين يقدمون الذبائح للأصنام ، واليهم يقدم المريض بيانا بطبيعة شكايته .

وعندها يعطى المشعوذون التعليمات بحضور أشخاص يقومون بالدق على أنواع مختلفة من الآلات المدوية ، حتى يرقصوا ويغنون الترانيم تكريما لأصنامهم وثناء عليها ، ولا يزالون يفعلون ذلك حتى تستولى الروح الشريرة على أحدهم ، فيكفون عما يبذلونه من جهود موسيقية .

وعندئذ يسألون الشخص المستولى عليه عن سبب علة الرجل ، والوسيلة التى ينبغى أن تستخدم للبلوغ به الى بر الشفاء . فتجيب الروح الشريرة على فم من دخلت فى جسمه ، بأن سبب المرض هو جريرة ارتكبت فى حق واحد معين من الآلهة . فعندئذ يوجه المشعوذون صلواتهم الى ذلك الاله ، ضارعين اليه العفو عن الخاطيء ، شريطة أن يقدم عندما يشفى تضحية من دمه .

ولكن لو أدرك الشيطان أن لا احتمال للشفاء ، أعلن أن الاله غاضب غضبا شديدا بحيث لا يمكن تسكين غضبه

بأى قربان • فان حدث ، بضد ذلك ، انه قدر أن من المحتمل أن يحدث شفاء ، أمر بتقديم قربان بعدد ما من الغنم تكون رؤوسها سوداء ، ويتجمع عدد ما من المشعوذين مع زوجاتهم وأن يتم تقديم التضحية على أيديهم ، وبهذه الوسيلة فيما يقول ، يمكن استرضاء عطف الاله • فيذعن الأقارب فورا لكل ما طلب منهم ، فتذبح الغنم ، يرش دمها نحو السماء ، ويوقد المشعوذون ( ذكرانا واناثا ) النار ويعطرون بالبخور بيت المريض كله منتجين دخانا كثيفا بخشب الصبر • ويرشون في الهواء المرق الذي أغلى فيه اللحم ، ومعه بعض الشراب المخمر مع التوابل ، ثم يروحون يضحكون ويغنون ويقصصون بأرجاء المكان ، بفكرة تقديم التكريم لوثنهم أو الهم •

وبعد هذا يستفسرون من المسوس بالشيطان هل تم ارضاء الوثن بالأضحية التي قربت ، أم أن أمره هو أن يقرب قربان آخر • فاذا جاء الجواب بأن الاسترضاء كان مقنعا ومرضيا ، عمد المشعوذون من الجنسين ، ولم يكفوا أغانيهم بعد ، الى الجلوس الى الموائد ، وشرعوا في تناول اللحم الذي قدم في القربان واحتساء الشراب المزوج بالتوابل ، بعد أن تجرى به اراقة مرسمية ، مشفوعة بعلامات المرح العظيم •

فاذا هم فرغوا من طعامهم ، وقبضوا أجرهم ، عادوا الى بيوتهم ، واذا تم بعناية الله شفاء المريض ، نسبوا شفاؤه الى « البد » الذي قدمت له التضحية ، ولكن لو تصادف أنه مات ، أعلنوا عند ذلك أن المناسك ضاع أثرها بسبب من جهزوا الأطعمة حيث تجرءوا على تذوقها قبل تقديم نصيب البد : ( الوثن ) اليه • وينبغي أن يكون مفهوما أن المراسم الاحتفالية من هذا النوع لا تمارس عند اصابة كل فرد



بالمرض ، وانما تمارس فقط مرة أو اثنتين فى مدى شهر  
من أجل الشخصيات النبيلة أو الثرية •

ومع ذلك فانها شائعة بين جميع السكان الوثنيين بجميع  
ولايات كاثاي ومانجى ، الذين يكون الطبيب شخصية نادرة  
الوجود بينهم . وهكذا تلعب الشياطين بعماية هؤلاء القوم  
المضللين : (التجسار) (٥)

## الفصل الثانى والأربعون

عن الطريقة التى أتم بها الخان  
الأعظم فتح مملكتى مين وبنجالا •

قبل مضيئنا لتقديم المزيد ( من وصف الاقليم )  
سنتحدث عن معركة جديدة بالذكر دارت رحاها بمملكة  
فوتشانج ( أو أونتشانج أو يونتشانج ) •

فقد حدث أنه فى عام ١٢٧٢ أرسل الخان الأعظم جيشا  
دخل أقاليم فوتشانج وكرازان ، بقصد وقايتها والدفاع  
عنها ضد أى هجوم ربما حاول القيام به الأجانب (١) ،  
وذلك لأنه لم يكن حتى هذه الساعة عين أولاده فى ولاية  
الحكم ، وهى السياسة التى جرى عليها فيما بعد ، كما هو  
الحال مع سن تيمور ، الذى شكلت له من هذه الأماكن امارة •

عندما علم ملك مين (١) وبنجالا (٢) ، بالهند ، وهو  
ملك قوى بوفرة عدد رعاياه • وترامى مملكته ، وعريض  
ثرائه أن جيشا من التتار وصل الى فوتشانج ، قطع على نفسه  
عزما على التقدم فورا لمهاجمته ، حتى يعيق بتدميره اياه ،  
الخان الأعظم من تكرار محاولة وضع قوة عسكرية على تخوم  
ممتلكاته • فجمع من أجل ذلك الغرض جيشا عرمرما ، يشمل  
مجموعة ضخمة من الفيلة (وهو حيوان يكشر وجوده ببلاد)،  
ووضعت على ظهورها مزاغل أو قلاع من الخشب ، تستطيع  
كل منها احتواء اثنى عشر رجلا أو ستة عشر •

وبهذه وبجيش كثير العدد من الراكبة والراجلة ، سلك الطريق المؤدى الى فوتشانج ، حيث كان ينزل جيش الخسان الأعظم ، فعمسك غير بعيد منها وانتوى أن يعطى جنده راحة لبضعة أيام . ولكن ما كاد نبأ اقتراب ملك ميين ، بهذه القوة الجرارة ، يبلغ مسامع نسترددين (٤) ، الذى كان يقود جند الخان الأعظم ، حتى أحس بانزعاج شديد وان كان ضابطا شجاعا ومقتدرا ، اذ لم تكن تحت أمرته الا اثنا عشر ألفا من الرجال ( وان كانوا بالفعل من مخنكة الجند وشجعانها ) ، بينما كانت عدة العدو ستين ألفا ، وذلك الى الفيلة المسلحة على الوجه آنف الوصف . على أنه لم يبد ، رغم ذلك أية دلالة على الخوف ، ولكنه بعد أن هبط سهل فوتشانج (٥) ، اتخذ موقعا كان جناحه فيه محميا بغابة كثيفة من الأشجار الكبيرة ، التى يستطيع جنده أن يأووا اليها لو هاجمتهم الفيلة هجوما عنيفا ، قد لا تستطيع جنده تحمله والوقوف فى وجهه ، ومن هناك يستطيعون ، وهم فى أمان ، مضايقتها بسهامهم . فدعا أكابر ضباط جيشه الى اجتماع ، حثهم فيه على عدم ابداء شجاعة أقل فى هذه المناسبة مما أبدوه فى جميع لقاءاتهم السابقة بالاعداء ، مذكرا اياهم أن النصر لا يتوقف على عدد الرجال وانما على الشجاعة وحسن النظام .

وأخذ يخيّل لهم أن جند ملك ميين وبنجالا (البنغال) كانوا أغمارا غير مجربين ولا متدربين على ممارسة القتال ، لم تتح لهم فرص اكتساب الخبرة التى كانت من نصيبهم وتحققت لهم ، وأنه بدلا من أن ييئسهم تفوق العدو عليهم فى العدد ، ينبغى لهم أن يكونوا على ثقة باقدامهم الذى طالما وضع موضع التجربة ، وان اسمهم وحده موضع الرعب ، لا للعدو المائل أمامهم وحده ، بل للعالم كله أيضا ، وختم أقواله بأن وعدهم أن يقودهم الى نصر أكيد . وعندما علم ملك ميين أن التتار هبطوا الى السهل ، دفع جيشه على الفور الى التحرك واتخذ مواقعه على بعد ميل تقريبا من الهندو ،

وقام بتوزيع قواته ، جاعلا الفيلة فى المقدمة ، والخيالة والمشاة ، فى جناحين ممتدين خلف الفيلة ، مع ترك مسافة ضخمة بينهما \*

وهنا اتخذ موقعه الخاص ، وتقدم لبعث الحمية فى رجاله وتشجيعهم ليقاتلوا باقدام وشجاعة ، مؤكدا لهم أن النصر حليفهم ، نتيجة لتفوقهم العددي حيث كان أربعة لواحد ، وكذا لما لديهم من هيئة جبارة من الفيلة المسلحة ، التى لن يستطيع العدو ، الذى لم يشترك قط مع مقاتلة من هذا النوع تحمل صدمتها ولا مقاومتها بأية حال

ثم أصدر أوامره بإطلاق أصوات عند رهيب من آلات الحرب ، وتقدم بجرأة بكامل جيشه ، نحو جيش التتار ، الذى ثبت فى مكانه ولم يتزحزح قيد أنملة ، وان سمح لهم بالاقتراب من خنادقه \*

ثم انطلقوا بعد ذلك خارجين منها بروح عالية وبأشد التوق الى الاشتباك ، ولكن سرعان ما تجلى أن خيول التتار ، التى لم تعتد رؤية هذه الحيوانات البالغة الضخامة بما حملت من قلاع ، قد فزعت واستدارت محاولة الفرار ، ولم يستطع راكبوها كبجها بأى جهد بذلوه ، بينما الملك مع كامل قواته كان يكتسب أرضا جديدة فى كل لحظة \*

وما كاد القائد الحصيف يدرك هذا الاضطراب غير المتوقع ، حتى أقدم ، دون أن يفقد حضور ذهنه ، فأتخذ على الفور اجراء سريعا بأمره رجاله بالترجل عن خيلهم وسحب الخيل الى الغابة حيث ربطت الى الشجر \*

فلما أن ترجل الرجال تقدموا على أقدامهم بغير اضطاعة وقت نحو خط الفيلة وبدءوا اطلاقا سريعا للسهم ، بينما من كان ، فى الجانب الآخر ، ممن وضعوا فى القلاع ، وسائر

جيش الملك كانوا يرشقونهم بألاف النبال فى مقابل ذلك بأعظم همة ونشاط .

بيد أن سهامهم لم يكن لها نفس وقع سهام التتار ، الذين كانوا يشدون على قسيهم بأذرع أقوى منهم .

وكانت طلقات الفريق الثانى من الاستمرار وعدم الانقطاع ، كما انه بلغ من تركيز أسلحتهم كلها ( تبغسا لتعليمات قائدهم ) على الفيلة ، أن أصبحت هذه الحيوانات مغطاة بالسهم بسرعة ، واذا انهارت تلك الحيوانات فجأة فانها استدارت تدوس أصحابها فى المؤخرة ، فبشت فى صفوفهم الفوضى والاضطراب .

وسرعان ما أصبح من المحال على سائقيها سوسها ، لا بالقوة ولا ببراعة التوجيه . فأما الفيلة ، وقد برحت بها آلام جراحها ، وامتلأت رعبا من أصوات مهاجميها ، فخرجت عن كل قياد ، ثم أخذت تجرى بغير توجيه ولا تحكم من أحيد فى كل اتجاه ، حتى اضطرها بالغ الهياج والخوف الى الاندفاع الى جزء من الغابة لا يحتله التتار .

وكانت عاقبة ذلك أنه نظرا لتقارب غصون الأشجار الضخمة ، فانها كسرت بدوى هائل المزاغل أو القلاع المحمولة على ظهورها ، فأضافت الى قائمة التدمير كل من كان جالسا على ظهورها .

وعندما رأى التتار هزيمة الفيلة المنكرة وتشتتها اكتسبوا شجاعة جديدة ، حتى اذا اصطفوا فصائل وتشكيلات فى نظام كامل وترتيب مطلق ، عادوا الى خيولهم فامتطوها وانضموا الى فرقهم المختلفة ، وعندئذ تجدد القتال دمويا رهيبا .

ولم تعوز الشجاعة جند الملك ، وكان هو بنفسه يمضى بين الصفوف متوسلا اليهم أن يثبتوا فى أماكنهم ولا ينزعجوا بالحادثة التى نزلت بالفيلة . ولكن التتار ، بما أوتوا من مهارة فائقة فى الرماية ، كانوا أقوى منهم وأشد بأسا ، وأنزلوا بهم بلاء ورهقا الى أبعد حد ، نظرا لعدم تزودهم بالدروع والجنن التى استتر وراءها التتار . حتى اذا استنفدت السهام عند كل من الجانبين ، هرع الرجال الى سيوفهم ودبابيسهم الحديدية وتلاقوا بعنف شديد . وفى لحظة واحدة انبجست جراح رهيبة وانبرت أطراف ، وسقطت على الأرض الآلاف مشوهين معقورين ومحتضرين ، مع اراقة بالغة فى الدماء تقشعر لها الأبدان . وكذلك كان اصطكاك الأسلحة رهيبا ، وكانت الصيحات والصرخات مفزعبة ، حتى ليخيل اليك أن الضجيج كان يبلغ عنان السماء .

وتصرف ملك ميين ، على أنسب وجه يتفق وشهامة ملك شجاع ، فكان يتواجد حيثما ظهر أكبر الخطر ، مشجعا جنده ، ومتضرعا اليهم الصمود فى مواقعهم بعزم . وأمر كتائب جديدة من الاحتياطى بالتقدم لمساندة من بلغ بهم الاعياء ، ولكنه عندما أدرك فى النهاية أنه أصبح من المحال مواصلة الكفاح ولا تحمل اندفاع التتار وتهورهم ، بعد أن لقى الشطر الأكبر من جنده مصرعهم أو جرحوا ، وأمسى الميدان كله مغطى بجثث الرجال والخيول ، بينما أخذ من بقوا على قيد الحياة فى الانهيار ، فانه وجد نفسه أيضا مضطرا الى الفرار مع حطام جيشه ، الذين لم تنج أعداد غفيرة منهم بعد ذلك من الذبح أثناء الملاحقة .

وكانت خسائر هذه الموقعة ، التى دامت من الصباح الى الظهر ، فادحة على الطرفين كليهما ولكن انتهى الأمر بانتصار التتار ، وهى نتيجة نسبت بقوة ، الى عدم ارتداء

جند ملك ميين وبنجالا الدروع شأن التتار ، والى أن فيلتهم وبخاصه فيه الصف الاول ، تجردت هى أيضا من ذلك النوع من اسباب الدفاع ، والذي كان يمكنهم من تحمل اول طلقات سهام العدو ، وبذلك يتيح لهم حصر صفوفه وايقاع التششت بينها .

وتمت نقطة ذات أهمية أكبر ، هى أنه ما كان ينبغي للملك القيام بهجومه على التتار فى موقف تساند فيه غابه جناحه ، وانما كان الأولى به أن يحاول جرهم الى منطقة مفتوحة ، حيث لم يكن ليتمكنهم مقاومة الهجمة المندفعة الأولى للأفيال المدرعة ، بينما كان يمكنه هناك بمد خيالة أجناحيه أن يلتف حولهم .

وبعد أن جمع التتار شتات قوتهم بعد الذبح الذى أعملوه فى العدو ، عادوا الى الغابة التى فرت اليها الأفيال التماسا للنجاة ، ليستولوا عليها ، فوجدوا الرجال الذين نجوا من الهزيمة فى المعركة ، مشغولين بقطع الأشجار ووضع المتاريس فى الممرات ، بقصد الدفاع عن أنفسهم . ولكن سرعان ما حطم التتار تحصيناتهم ، وذبخوا كثيرا منهم ، واستطاعوا بالاستعانة بأشخاص لهم خبرة بشئون قياد القبيلة ، أن يستولوا على عدد منها بلغ مائتين أو أكثر .

ومنذ تلك المعركة ، أثر الخان الأعظم على الدوام استخدام الأفيال فى جيوشه ، وهو أمر لم يفعله قط قبل تلك اللحظة . وكانت نتائج ذلك النصر ، أنه استولى على جميع ممتلكات ملك بنجالا ومييين ، وضمها لممتلكاته .

## الفصل الثالث والأربعون

عن منطقة غير مسكونة ، وعن  
مملكة ميين

إذا أنت غادرت ولاية كارداندان ، دخلت في منحدر هائل ، تسافر فيه بلا انقطاع ولا تغيير مدة يومين ونصف ، لا تجد أثناءها أثرا لدار • ثم تصل بعد ذلك الى سهل (١) مترامى الأطراف يجتمع فيه ثلاث مرات في الاسبوع ، عدد من المتجرين ، يهبط كثير منهم من الجبال المجاورة ، جالبين معهم ذهبهم ليبادلوا به على الفضة ، التي يجلبها معهم لتلك الغاية التجار الذين يفدون الى هناك من أقطار بعيدة (٢) ، ويقدم ساجيو واحد من الذهب مقابل خمسة من الفضة •

ولا يسمح للأهالى بأن يكونوا هم المصدرين لما يملكون من ذهب ، بل ينبغي أن يسلموه الى التجار ، الذين يزودونهم بما يحتاجون اليه من سلع ، ولما كان أحد ، عدا الأهالى أنفسهم ، لا يستطيع الدخول الى مناطق سكناتهم ، نظرا لشدة ارتفاع مواقعها ومنعتها ، وشدة عسر الاقتراب منها ، فانه من أجل ذلك تتم الصفقات التجارية في منبسط السهل • ووراء هذه المنطقة باتجاه جنوبى نحو تخوم الهند تقع مدينة ميين (٣) • وتستغرق الرحلة خمسة عشر يوما ، فى منطقة هجرها سكانها الى حد كبير ، وغابات ممتلئة بالأفيال والخراتيت ، وغيرها من الحيوانات الضارية وليس بها أثر لآى دار سكنى •



## الفصل الرابع والأربعون

عن مدينة ميين ، وعن قبر ضخم  
ملكها .

بعد سفرة الأيام الخمسة عشر الأنف ذكرها ، تبليغ  
مدينة ميين ، وهى المدينة الواسعة الفخمة وحاضرة  
المملكة (١) . والسكان بها من عبدة الأوثان ، ولهم لغة  
خاصة بهم وحدهم . ويروى انه كان يتولى الحكم بهذه  
البلاد ملك غنى وقوى ، أصدر أوامره ، وقد اقتربت منيته ،  
ببناء برجين هرميين من خالص الرخام فى مكان دفنه ،  
أحدهما عند رأس قبره والآخر عند قدميه بارتفاع عشر  
خطوات ، ولهما ضخامة مناسبة ، وينتهى كل منهما بكرة (٢) .  
وكان أحد هذين الهرمين مغطى بطبقة من الذهب سمكها  
بوصة ، بحيث لا يبدو منه شيء عدا الذهب ، كما غطى الهرم  
الثانى بطبقة من الفضة ، بنفس السمك ، وقد علفت حول  
الكرتين أجراس صغيرة من الذهب والفضة ، تحدث رنيناً  
كلما حركتها الريح (٣) . وكان النصب بمجموعة يؤلف شيئاً  
فاخراً بديعاً . وغطى القبر بالمثل بصفائح بعضها من الذهب  
والبعض الآخر من الفضة . وقد أمر الملك بأعداد هذا النصب  
تكريماً لروحه ، ورغبة فى ألا تفنى ذكره . ولما أن عقد  
الخان الأعظم العزم على الاستيلاء على هذه المدينة ، سير عليها  
ضابطاً مغواراً لتنفيذ هذه المهمة ، ورافق الجيش ، بناء على  
رغبة أفرادها الخاصة ، بعض الحواة أو المشعوذين ، الذين  
حفل البلاط على الدوام بعدد كبير منهم (٤) . فلما أن دخل  
هؤلاء المدينة ، لاحظوا الهرمين البالغى الزخرفة الثمينة

ولكنهم لم يمسوهما حتى يصل الى علمهم رغبة جلالته فيما  
ينعلق بهما . وعندما ابلغ الخان الأعظم ، أنهما أقيما تخليدا  
تقيا لذكرى ملك سابق ، أبى أن يأذن بانتهاكهما ولا المساس  
بهما بأية حال ، نظرا لما جرت عليه عادة التتار من اعتبار  
ازالة أى شىء تابع للموتى خطيئة فاحشة (٥) . وكانت توجد  
بهذا القطر فيلة كثيرة وثيران وحش (٦) ، ضخمة وجميلة ،  
مع الوعول والأينائل اليمراء ، وحيوانات أخرى فى أعداد  
موفورة الكثرة .

## الفصل الخامس والأربعون

### عن ولاية بانجالا ( البنغال ) •

تقع ولاية بانجالا على الحدود الجنوبية للهند (١) ولم تكن أدحت ( بعد ) تحت سيادة الخان الأعظم فى وقت اقامة ماركو بولو يبلاطه ، ( وان ) شغلت العمليات الموجهة عليها جيشه زمنا كبيرا جدا ، وذلك نظرا لقوة البلاد وشدة بأس ملكها - كما أسلفنا لك وللإقليم لغته الخاصة ، والناس فيه عباد أوثان • ويوجد فيهم معلمون على رأس مدارس لتعليم مبادئ دينهم الوثنى فضلا عن السحر ، الذى ينتشر مذهبه بين جميع الطبقات بما فيها النبلاء ورؤساء البلاد (٢) • وتوجد هنا ثيران يكاد يبلغ ارتفاعها ارتفاع الفيلة ، ولكنها لا تضارعها ضخامة (٣) • ويقتات السكان باللحم النيىء واللبن والأرز ، التى يكثر وجودها لديهم بوفرة (٤) ويزرع بالبلاد قطن كثير ، وتزدهر التجارة • ومن نتاج الأرض يؤخذ سنبل الطيب والخلنجان والزنجبيل والسكر ، وكثير من أنواع العقاقير (٥) ، وهى ثمار ينتجع التجار هذا الإقليم من مختلف أجزاء الهند لشرائها • كما أنهم يقبلون أيضا على شراء الخصىان ( الطلواشية ) ، الذين يوجد منهم أعداد وفيرة بالبلاد ويتخذون رقيقا ، وذلك لأن جميع أسرى الحرب يخصصون على الفور ، ولما كان كل أمير وكل شخص ذى مكانة راغبا فى الحصول عليهم ليقوموا على حراسة نسائهم ، فإن التجار يحصلون مكاسب ضخمة بحملهم الى ممالك أخرى ، وهناك يتصرفون فيهم بالبيع (٤) • وطول هذه الولاية مسيرة ثلاثين يوما ، وتقع على الجانب الشرقى منها بلاد تسمى كانجيجو •

## الفصل السادس والأربعون

### عن ولاية كانجيجو

ان كانجيجو ولاية تقع فى ناحية الشرق (١) ،  
ويحكمها ملك • وسكانها وثنىون ، ولهم لغة خاصة ،  
ويقدمون الى الخان الأعظم خضوعهم بمحض ارادتهم ،  
ويدفعون له جزية سنوية • والملك من بالغ الولع بالملذات  
الحسية ، بحيث أصبح له أربعمئة زوجة تقريبا ، وكلما  
سمع بامرأة جميلة ، أرسل فى طلبها ، وأضافها الى العدد  
المجتمع لديه (٢) • ويوجد الذهب هنا بمقادير كبيرة ،  
وكذلك توجد أنواع كثيرة من العقاقير ، ولكن لما كانت  
البلاد قطرا داخليا بعيدا عن البحر ، تضاءلت الفرصة أمام  
بييعها • والفيلة هناك توجد بكثرة ، كما توجد بهائم  
أخرى • ويتفدى السكان باللحم والأرز واللبن ، وليس  
لديهم خمر تصنع من العنب ، ولكنهم يجهزونها من الأرز  
وخليط من العقاقير • والرجال والنساء جميعا يشمون  
مسطح أجسامهم كله بأشكال البهائم والطيور ، ويوجد بينهم  
وشامون لا عمل لهم الا رسم هذه الحليات بسق ابرة على  
الأيدى والسيقان والصدر • فاذا دعكت على هذه الثقوب  
مادة سوداء ملونة ، صار من المستحيل ازالة آثارها من الجلد  
لا بالماء ولا بغيره • والرجل أو المرأة الذى يظهر فيه أعظم  
قدر من هذه الصور يعد أجمل الناس •

## الفصل السابع والأربعون

### عن ولاية آمو

تقع آمو أيضا جهة الشرق (١) ، كما أن سكانها هم من  
 رعايا البخان الأعظم • وهم من الوثنيين ، ويعيشون على لحوم  
 ماشيتهم وعلى ما تنتج الأرض من ثمرات • ولهم لغة خاصة •  
 وينتج ذلك القطر كثيرا من الثيران والخيول ، التي تباع  
 للتجار المتنقلين وتحمل الى الهند • والجاموس أيضا كثير  
 العدد كالثيران سواء بسواء (٢) ، وذلك نتيجة طبيعية لشدة  
 اتساع المراعى وجودتها • ويلبس كل من الرجال والنساء  
 حلقات من الذهب والفضة فى معاصمهم وأذرعهم وأرجلهم،  
 ولكن حلقات الاناث أغلى ثمنا • والمسافة الفاصلة بين هذه  
 الولاية وبين كانجيجو ، هى مسيرة خمسة وعشرين يوما (٣)،  
 ثم منها الى البنغال ، فى عشرين يوما • وسنتحدث الآن عن  
 ولاية تسمى ثولومان ، تقع على مسيرة ثمانية أيام من الأولى  
 ( أى آمو ) •

## الفصل الثامن والاربعون

### عن ثولومان

تقع ولاية ثولومان الى الشرق (١) ، وكما أن سكانها عبدة أوتان • ولهم لغة خاصة ، كما أنهم من رعايا الإخان الأعظم • والناس هنا طوال القامة حسنو الصورة ، ولون بشرتهم اقرب الى السمرة البنية منه الى الشقرة • وهم ذوو عدل في معاملاتهم وشجاعة في معترك القتال • وتقع كثير من مدنهاهم وقلاعهم فوق جبال سامقة • وهم يحرقون اجسام موتاهم ، فأما العظام التي لا تتحول رمادا ، فيضعونها في صناديق من الخشب ، ويحملونها الى الجبال ، حيث يخفونها في كهوف الصنخور ، حتى لا يزعجها أى حيوان من الضواري (٢) • وبها توجد مقادير موفورة من الذهب • ويستخدمون بدلا من العملات العادية الصغيرة ، الأصداف البورسلانية ، التي ترد من الهند ، وينتشر استخدام هذا النوع من النقود أيضا في الولايتين سالفتي الذكر : كانجيجو وآمو • وطعامهم وشرابهم هو نفس ما يتناوله الآخرون ، وورد ذكره آنفا •

## الفصل التاسع والأربعون

عن مدن تشنتجوى وسيدتين فو  
وجن جوى وبازان فو •

إذا أنت خلفت وراءك ولاية ثولومان ، واتبعت طريقا متجها صوب الشرق (١) ، فانك تسافر مدة اثني عشر يوما فى نهر • تقع على كل ضفة من ضفتيه مدن وقلاع كثيرة ، حتى تصل فى خاتمة المطاف الى مدينة تشنتجوى الضخمة الجميلة (٢) التى يتكون سكانها من وثنين ، وهم من رعايا الخان الأعظم • وهم تجار وصناع • ويصنعون من لحاء أنواع معينة من الشجر قماشاً ، جميل المنظر ، وهو الملبس الذى يرتديه الجنسان كلاهما صيفا • والرجال هنا مقاتلون شجعان • وليس لديهم أى نوع آخر من النقود عدا الورق المختوم الذى يصدره الخان الأعظم (٣) •

والبيور فى هذه الولاية من الكثرة ، بحيث لا يجرو السكان ، من خوفهم من بطشها على المبيت ليلاً خارج مدنها ، فمن ركبوا منهم النهر ، لا يجسرون على أخذ قسط من الراحة بينما قواربهم راسية قرب الشاطئ ، وذلك لما عرف عن هذه الحيوانات من خوض الماء والسبح الى الزوارق وجر الرجال منها ، ولذلك يجدون من الضرورى القاء مراسيهم فى منتصف النهر ، حيث يكونون فى مأمن بسبب عظم اتساعه (٤) • ويوجد أيضاً بهذا القطر ، أضخم وأشرس ما يمكن الالتقاء به من الكلاب : وهى من بالغ الشجاعة وشدة البأس ، بحيث يستطيع رجل يضربه اثنان

منها ، أن يكون أكثر من ند لآى ببر - وهو اذ يكون مسلحا بقوس وسهام ، مصحوب بهذين الوحشين ، لو التقى بببر ، أطلق عليه كلبيه الجسورين فيتقدمان لمهاجمته على الفور - فيهرع الحيوان بالغريزة الى التماس شجرة يحمى بها ظهره ، حتى لا يتمكن الكلبان أن يصلا اليه من الخلف ، وحتى يجعل عدويه امامه - وبهذه الغاية ، فانه ما يكاد يرى الدلبين حتى ينطلق نحو الشجرة ، ولكن فى بطء وريث ، وبغير أن يجزى بأية حال ، حتى لا يظهر أمامهما أية بادرة من الخوف ، الأمر الذى لا تسمح به كبرياؤه - وفى اثناء هذه الحركة المتعمدة ، يطبق عليه الكلبان ، ويرشقه الرجل بسهامه - ويحاول هو بدوره الامساك بالكلبين ، ولكنهما من خفة الحركة بحيث يفوتان عليه غرضه ، وينسحبان الى الخلف ، بينما يعاود هو مسيرته المتئدة ، ولكن قبل أن يمكنه بلوغ موقعه ، تكون سهام عديدة قد جرحته وعضته الكلاب عضات كثيرة ، حتى يخسر صريعا من الضعف ومن نزف الدماء - وبهذه الوسيلة يصاد فى آخر المطاف (٥) .

وتقوم هنا صناعة كبيرة للحرائر ، تصدر منتجاتها بمقادير ضخمة الى أجزاء أخرى (٦) عن طريق الملاحه فى النهر ، وهو يواصل مسيره بين المدن والقلاع ، ويعيش الناس على التجارة وحدها ، ثم تبلغ بعد انقضاء اثنى عشر يوما مدينة سيدين فو ، التى سبق أن تكلمنا عنها ببيان (٧) ومن هنا نستطيع وصولا فى مدى عشرين يوما ، الى جن جوى ، التى كنا بها ، ثم نكون فى أربعة أيام أخرى بمدينة يازان فو (٨) ، التى تتبع كاثاى ، وتقع صوب الجنوب . أثناء العودة بطريق الجهة الأخرى من الولاية (٩) - ويعبد السكان الأصنام ، ويحرقون أجساد موتاهم - ويوجد هنا أيضا مسيحيون معينون ، ولهم كنيسة (١٠) وهم من رعايا الخان الأعظم ، كما أن عملته الورقية متداولة بينهم - وهم يكسبون معاشهم بالتجارة والصناعة ، اذ يتوافر لديهم



الخريز بكثرة ، ويصنعون أنسجة مخلوطة بالذهب ، كما يصنعون منه مطارف وأوشحة بالغة الرقة . وتتبع هذه المدينة كثير من البلدان والقلاع : ويجرى بجوارها نهر عظيم ، تحمل بواسطته مقادير ضخمة من البضائع الى مدينة كانبالو ، وذلك لأنهم أوصلوها بالعاصمة بحفر كثير من الترعى والقنوات . ولكننا سنغادرها الآن ، واذا نتقدم مسيرة ثلاثة أيام ، سنتحدث عن مدينة أخرى اسمها تشان جلو .

## الفصل الخمسون

### • عن مدينة تشان جلو •

تعد تشان جلو مدينة كبيرة (١) ، تقع في الجنوب ، كما انها بولاية كاتاي • وهى تابعة لسلطان الخان الأعظم • والسكان يعبدون الأوثان ، ويحرقون جثث موتاهم • وعملة الامبراطور المختومة جارية التداول بينهم • ويصنع الناس فى هذه المدينة والمنطقة المحيطة بها مقادير عظيمة من الملح بالطريقة التالية : توجد فى البلاد تربة ملحية ، وبعدما تجمع هذه التربة أكواما ضخمة ، يصبون عليها الماء ، فيتشرب جزيئات الملح أثناء مروره فى أكوام التراب وعندئذ يجمع فى قنوات ، يحمل منها الى أحواض متسعة جدا ، لا يزيد عمقها عن أربع بوصات • فيغلى فيها ثم يترك حتى يتبلور • والملح الذى يصنع بهذه الطريقة أبيض وجيد ، كما أنه يصدر الى مختلف الأقطار (٢) • ويحصل من يصنعونه على مكاسب كبيرة ، كما يصيب الخان الأعظم منه ايرادا جسيما • وتنتج هذه المنطقة نوعا من الخوخ الطيب النكهة ، وهى بالغة الكبر ، الى حد أن الثمرة الواحدة تزن رطلين وافيين من أرطال مدينة ترويس الفرنسية (٣) وسنتحدث الآن عن مدينة أخرى تسمى تشان جلى •

## الفصل الحادى والخمسون

### عن مدينة تشان جلى \*

ان تشان جلى أيضا ، هى احدى مدن كاتائى (١) ، وتقع فى ناحية الجنوب ، وتتبع الخان الاعظم ، وسكانها يعبدون الأوثان ، كما انهم بالمثل يستخدمون عملة الخان الورقية . وهى تبعد عن تشان جلى بمسافة رحلة خمسة أيام ، تمر خلالها بكثير من المدن والقلاع تقع هى الأخرى أيضا داخل ممتلكات الخان الأعظم . وهى مراكز لتجارة عظيمة ، والرسوم التى تجبى بها تصل الى مبالغ كبيرة (٢) . ويمر خلال هذه المدينة نهر عريض وعميق ، يسمح بنقل مقادير ضخمة من التجارة ، التى تتألف من الحرير والعقاقير وغيرهما من السلع الثمينة . والآن نغادر هذا المكان ، ونقدم بيانا عن مدينة أخرى تسمى تودين فو \*

## الفصل الثاني والخمسون

عن مدينة تودين فو •

عند مغادرتك تشان جلي والسفر جنوبا مسيرة ستة أيام ، تمر على مدن وقلاع كثيرة لها أهمية وعظمة كبيرة ، وأهلوها يعبدون الأصنام ، ويحرقون جثث موتاهم • وهم رعايا الخان الأعظم كما يتقبلون نقوده الورقية عملة • وهم يعيشون على التجارة وصنع المصنوعات ، والأغذية لديهم موفرة • وتصل عند نهاية هذه الأيام الستة الى مدينة تسمى تودين فو (١) كانت في الماضي عاصمة فاخرة ، ولكن الخان الأعظم أضرعها للخضوع له بحد السيف • وتحولت بفضل الحداثق التي تحيط بها ، بما تزخر به من الشجيرات الجميلة والفواكه الفاخرة (٢) • وينتج الحرير هنا بمقادير عجيبة الوفرة • وتقع تحت دائرة اختصاصها احدى عشرة مدينة وبلدان ضخمة من الامبراطورية ، وكلها أماكن لتجارة عظيمة • بها مقادير وافرة من الحرير • وكانت مقرا لحكم ملكها الخاص ، قبل اخضاعها على يد الخان الأعظم • وفي ١٢٧٢ (٣) عين جلالته أحد ضباطه من أعلى الرتب ، ويسمى لوكانسور ، حاكما على هذه المدينة ، وجعله قائدا على سبعين ألف راكب بقصد حماية ذلك الجزء من البلاد • وأسكر الكبير هذا الرجل عندما وجد نفسه سيذا لمنطقة غنية عظيمة الانتاج ، وعلى رأس مثل تلك القوة الشديدة البأس ، فأخذ يدبر خطط التمرد على مولاه • وشرع — وهذا اتجاهه — يحاول التأثير على شخصيات المدينة الرئيسيين ، حتى أقنهمهم بالاسهام معه في خططه الشريرة ،

وتمكن بواسطتهم من احداث تمرد بجميع البلدان والاماكن  
 الحصينة بالولاية بأجمعها . وما كاد نبا هذه التصرفات  
 الخئون يبلغ مسامع الخان الأعظم ، حتى سير على تلك الناحية  
 جيشا عدته مئة ألف رجل ، تحت امره اثنين آخرين من نبلائه ،  
 وكان اسم أحدهما أنجول واسم الآخر مونجاتاي . وعند  
 علم لوكانسور بدنو هذه القوة ، لم يضيع وقتا وجمع جيشا  
 لا يقل عدده عن جيش خصميه ، وشرع يهاجم به بأقصى  
 سرعة ممكنة . وجرى ذبح وتقتيل ذريع فى الجانبين ، حتى  
 اذا انتهى الأمر بصرع لوكانسور ، لاذ جنده بأذيال الفرار .  
 وقتل كثير منهم أثناء مطاردتهم ، وأخذ كثيرون أسرى .  
 واقتيد هؤلاء الى حضرة الخان الأعظم فأمر بأعدام  
 الرؤساء ، كما أنه اذ عفا عن الآخرين ضمهم الى خدمته  
 الخاصة ، فكانوا له فيما بعد على الدوام الخدم المخلصين

## عن مدينة سنجوى ماتو

بعد رحيلك من تودين فو لمدة ثلاثه ايام ، فى اتجاه جنوبى ، تمر على كثير من المدن العظيمة والمراكز الحصينة التى تزدهر بها التجارة والصناعة والسكان وثنئون . كما أنهم من رعايا الخان الأعظم \* ويكثر بالبلاد الصيد ، ما بين أنعام وطير وتنتج مددا وفيرا من ضروريات الحياة \* وبعد انقضاء ثلاثة أيام تصل الى مدينة سنجوى ماتو (١) ، وهى مدينة فخمة و ضخمة وجميلة ، غنية بما فيها من بضاعة وتجارة وصناعة ، وجميع سكان هذه المدينة من الوثنيين ، كما انهم من رعايا الخان الأعظم ، وممن يستخدمون العملة الورقية ، ويمر فى هذه الولاية ولكن جهة الجنوب منها ، نهر كبير وعميق ، قسمه السكان الى فرعين ، أحدهما يتخذ طريقه نحو الشرق ويمر من خلال كاثاى ، بينما الآخر يتخذ طريقا غربيا ويمر متجها نحو ولاية مانجى (٢) تمر هذا النهر أعداد من السفن هى من الكثرة ما قد يبدو بعيدا على التصديق ، ويقوم بين الولايتين كلتيهما بنقل كل سلعة استهلاكية مطلوبة \* والحق ان مما يبعث الدهشة مراقبة ذلك العدد الغفير والحجم الضخم الكبير للسفن ، التى لا تبرح تذهب فيه وتجىء ، محملة بالسلع التجارية ذات القيمة الكبرى (٣) \* وبعد مغادرتك سنجوى ماتو ، والسفر الى الجنوب مدة ستة عشر يوما ، لا تكف قط عن الالتقاء بمدن تجارية وقلع \* والناس بكل أرجاء القطر من عبدة الأوثان ، كما أنهم من رعايا الخان الأعظم \* وهم يحرقون أجسام موتاهم

ويستخدمون العملة الورقية • وعند نهاية رحلة أيام ثمانية،  
تجد مدينة تسمى لنجوى • وهى مدينة بالغة الفخامة  
والعظمة ، والرجال فيها رجال حرب ، وبها من الصناعات  
والتجارة الكثير • كما تكثر بها الحيوانات ، والمقادير  
الوفيرة من كل شئ صالح للأكل والشرب • وبعد مغادرة  
لنجوى . تتقدم جنوبا فى رحلة تدوم ثلاثة أيام ، مارا من  
خلال عدد وفير من المدن والقلاع ، وكلها تحت سيطرة الخان  
الأعظم • وجميع السكان وثنىون ويحرقون أجساد موتاهم •  
وعند نهاية هذه الأيام الثلاثة تجد مدينة مليحة تسمى  
بنجوى ، توجد بها جميع ضروريات الحياة ، وتقدم هذه  
المدينة الى الخان الأعظم دخلا ضخما • ثم تفيض منها فى  
رحلة يومين صوب الجنوب ، من خلال أقاليم جميلة وغنية ،  
الى مدينة تسمى كنجوى ، وهى ضخمة جدا عامرة بالتجارة  
والصناعات • وجميع سكانها وثنىون ويحرقون موتاهم ،  
كما أنهم يستخدمون العملة الورقية وهم من رعايا الخان  
الأعظم • ولديهم مقادير كبيرة من الحبوب والقمح • فأما  
الاقليم الذى تمر فيه بعد ذلك ، فأنت واجد فيه مدنا وبلدانا  
وقلاعا ، وكلاهما متماز بالجمال وكثرة المنافع ، فضلا عن  
وفرة فى القمح • والناس يشبهون من سبق لنا على التو  
وصفهم •

## الفصل الرابع والخمسون

عن النهر الكبير المسمى قراموران،  
وعن مدينتي كوى جان زو وكوان  
زو .

وبعد انقضاء رحلة يومين ، تصل للمرة الثانية ، الى  
النهر الكبير قراموران (١) ، الذى ينبع من المناطق التى  
كانت تابعة للبريسترجون . وعرضه ميل واحد وعمقه  
شديد ، وتمخر على مياهه سفن ضخمة منطلقة فى يسر  
بحمولتها كاملة . وتصاد منه مقادير ضخمة من الأسماك  
الكبيرة . وهناك مكان فى هذا النهر ، يبعد قرابة ميل عن  
البحر ، تقوم فيه محطة لخمس عشرة ألفا من المراكب ، يتسع  
كل منها لحمل خمسة عشر حصانا وعشرين رجلا ، بالإضافة  
الى الملاحين الذين يتولون تسييرها ، وما يلزمهم من ذخيرة  
وميرة (٢) . وتظل هذه السفن ، بأمر الخان الاعظم ، فى  
حالة مستديمة من الاستعداد لنقل جيش بأكمله الى أية  
جزيرة من جزر المحيط ( المجاور ) ، قد يتصادف أن تقع فيها  
تورة ، أو للقيام بالحملات على أية منطقة أبعد شفة .  
وتربط هذه السفن لصق ضفة النهر ، غير بعيد من مدينة  
تسمى كوى جان زو (٣) ، تقع على الضفة المقابلة منها  
مدينة أخرى تسمى كوان زو على أن الأولى منهما ضخمة ،  
والثانية صغيرة (٤) . وأنت عند عبور هذا النهر ، تدخل  
ولاية مانجى الفاخرة ، ولكن ينبغى ألا يفهم أن بيانا كاملا  
تم تقديمه حول ولاية كائى . إذ أنى لم أصف حتى جزءا  
من عشرين منها . فان ماركو بولو ، فى أثناء سفره فى  
الولاية ، لم يلحظ الا المدن التى وقعت فى طريقه ، حيث



حذف كل ما وقع منها فى هذا الجانب أو ذاك ، فضلاً عن  
أماكن أخرى كثيرة فيما بينها ، وذلك نظراً لأن فى سرد  
قصتها جميعاً ما يحيل الكتاب الى عمل مفرط الطول ويعود  
بالسأم على القارئ • واذ تغادر هذه الأجزاء ، فاننا من ثم  
سنتحول للكلام أولاً ، عن الطريقة التى جرى بها الاستيلاء  
على ولاية مانجى ، ثم نتحدث عن مدنها ، التى سنستفيض  
فى شرح فخامتها. وثرائها فى الجزء التالى من حديثنا •

## الفصل الخامس والخمسون

عن ولاية مانجى ، البالغة الفخامة ،  
وعن الطريقة التى أخضعها بها الخان  
الأعظم .

ان ولاية مانجى هى أشد ما عرف من ولايات عالم  
الشرق فخامة و ثراء (١) . وحدث حوالى عام ١٢٦٩ ان كان  
ذلك الاقليم خاضعا لأمير يسمى فكفور أو مقفور (٢) ، فاق  
فى القوة والثراء كل أمير آخر ، حكم ذلك القطر فى مدى  
قرن كامل . وكان وادعا ميالا الى السلم بطبعه ، جانعا الى  
عمل الخير .

وبلغ من حب شعبه له ، وقوة مملكته ، التى كانت  
محوطة بأنهار من أضخم حجم ، أن كان يعد من المحال أن  
تتعرض له أية قوة على الأرض .

وكانت نتيجة ذلك الاتجاه أنه لم يوجه هو نفسه أى  
التفات الى الشئون العسكرية ولا شجع قومه على العلم  
بالتدريبات العسكرية . وكانت مدن مملكته جيدة التحصين  
بصورة عجيبة ، حيث كانت تحيط بها خنادق عميقة عرضها  
مرمى السهم ومملوءة بالماء . ولم يحتفظ بأية قوة من  
الفرسان ، لأنه لم يكن يخشى مهاجمة أحد له . وكان المدار  
الرئيسى لأفكاره هو كيف يزيد من متعته وكيف يضاعف  
مسراته وملذاته .

وكان يعمل فى بلاطه ويحتفظ حول شخصه بحوالى ألف امرأة جميلة ، كان يبتهج بصحبتهن أيما ابتهاج - كان محبا للسلام والعدل ، وكان يقيم ميزانه بدقة - وكان أتفه نوع من الظلم أو الأذى أيما كان نوعه ، اذ يقع من انسان على آخر ، يعاقب عليه بطريقة تجعله عبرة ، بغير نظر الى شخصه .

وكان من شدة وطأة عدالته فى الناس ، أنه لو حدث ، أن الدكاكين المملثة بالبضائع ، تركت مفتوحة سهوا وعن اهمال من أصحابها ، لم يجرؤ انسان على دخولها أو سرقة أصغر سلعة فيها - وربما أمكن المسافرين من كل الأصناف والأوصاف المرور بكل أرجاء المملكة ، ليلا ونهارا ، على حد سواء فى يسر وحرية وبغير خشية من أى خطر ، كان متدينا محسنا للفقراء والمحتاجين (٣) .

وكان يأمر بانقاذ الأطفال الذين كانت أمهاتهم التعيسات يتركونهم فى العراء لعدم قدرتهن على تربيتهم ، وأن يعنى بهم ، حتى يصل عددهم الى عشرين ألفا فى كل عام (٤) .

فعندما كان الصبيان يبلغون سنا كافية ، كان يأمر بتعليمهم حرفة يدوية ، ثم يزوجهم بعد ذلك من شابات ، ممن يربين بنفس الطريقة (٥) .

وكان كانت طباع وعادات فكفور مختلفة عن طباع قبلاى خان ، امبراطور التتار ، الذى كانت كل متعته فى الحياة تكمن فى أفكار مدارها وطبيعتها خربية بحتة ، وفى فتح الأقطار ، وملء أسماع الدنيا بصيته - فبعد أن ضم الى ممتلكاته عددا من الولايات والممالك ، وجه أنظاره الى اخضاع مملكة مانجى ، فجمع لتلك الغاية جيشا لجبا من الراكبة والراجلة ، جعله تحت امرة قائد اسمه

تشن سان باى آن ، ومعناها فى لغتنا ، ذو المائة غين (٦) .  
وحدث هذا فى عام ١٢٧٣ . حيث وضع تحت امرته عددا من  
السفن ، تقدم بها لغزو مانجى . وعند نزوله الى الأرض  
هناك ، بادر من فوره الى دعوة سكان مدينة كوئى جان .زو الى  
الخضوع لسلطان مولا (٧) .

فلما أن رفضوا الاذعان ، تقدم الى المدينة التالية ، بدل  
أن يصدر أوامره بالهجوم عليها ، وعندما تلقى هناك اجابة  
مماثلة تقدم نحو مدينة الثالثة ، ثم نحو رابعة ، وكانت  
النتيجة واحدة فى جميع الحالات . حتى اذا رأى أنه لم يفت  
من الحكمة ترك هذا العدد الكبير من المدن وراءه ، بينما لم  
يكن جيشه قويا فقط ، بل انه كان يتوقع أن تنضم اليه  
قوة أخرى مساوية لقوته كان الخان الأعظم على وشك أن  
يرسلها اليه من داخلية البلاد (٨) ، عقد العزم على مهاجمة  
احدى هذه المدن ، حتى اذا تمكن ببذل بالغ الجهود وعظيم  
المهارة من اجتياح المكان ، أمر بقتل كل فرد وجد فيه بعد  
السيف .

وما كادت أنباء هذا الحدث تبلغ المدن الأخرى ، حتى  
ملأت قلوب سكانها بجزع ورعب لا مثيل لهما ، فسارعوا من  
تلقاء أنفسهم بتقديم خضوعهم . فلما أن تم له ذلك ، تقدم  
بالقوة الموحدة لجيشيه ، على مدينة كنساي الملكية ، وهى  
مقر حكم الملك فكفور ، الذى امتلأت نفسه باضطراب  
ورغبة من لم يشهد معركة فى حياته قط ، ولا اشترك فى أى  
نوع من القتال . وحمله خوفه على سلامة شخصه الى التماس  
النجاة باللجوء الى أسطول من السفن كان على قدم الاستعداد  
لهذا الغرض ، فأنزل فيه كل ممتلكاته وكنوزه وأدواته  
الثمينة ، وترك رعاية شئون مدينته للمكتة ، مع تعليمات  
بالدفاع عنها حتى آخر رفق ، وهو على يقين من أن أنوثتها  
ستكون خير واق لها ، لو وقعت أسيرة فى أيدي الأعداء .

ومن هنا انطلق الى البحر ، حتى اذا بلغ بعض الجزر ،  
التي تقوم فيها بعض الأماكن القوية التحصين ، بقى هناك  
حتى وافته منيته (٩) . وبعد أن تركت الملكة على الحال  
سالفه الذكر ، يقال انه بلغ مسامعها ، أن الملك أبلغه  
منجموه ، أنه لا يمكن أبدا حرمانه من ولايته الا على يد  
رئيس تكون له مائة عين .

وثأسيسا على هذا التصريح أيقنت رغم أن المدينة كانت  
تزداد في كل يوم توترا وضنكا ، انه ليس في المستطاع أن  
تسقط ، اذ بدا من المجال أن يكون لأى انسان هذا العدد  
من الأعين . على أنها عندما سألت عن اسم القائد الذى يقود  
جند الأعداء ، وأبلغوها أن اسمه تشن سان باى آن ، ومعناه  
مائة عين ، تملكها الفزع لدى سماعها اياه ، وذلك لأنها أحست  
اقتناعا بأن هذا لا بد أن يكون هو الشخص ، الذى قد يخلع  
زوجها عن عرشه ، طبقا لأقوال المنجمين . وغلبها الخوف  
النسوى فلم تحاول بعدها اظهار أية مقاومة ، بل عمدت  
على الفور الى التسليم (١٠) . حتى اذا تم للتتار امتلاك  
العاصمة ، لم يلبثوا حتى أخضعوا بقية الولاية (١١) .

وأرسلت الملكة الى حضرة قبلاى خان، فتلقاها بالتكريم،  
وخصص لها بأمره جعل يمكنها من المحافظة على كرامة  
منزلتها . والآن وقد ذكرنا الطريقة التى تم بها فتح مانجى،  
فاننا سنتحدث الآن عن مختلف مدن تلك الولاية ، بادئين  
بكوئى جان زو .

## الفصل السادس والخمسون

### • عن مدينة كوئى جان زو •

ان مدينة كوئى جان زو مدينة بالغة الجمال والشراء ،  
تقع فى اتجاه بين الجنوب الشرقى والشرق ، عند مدخل  
ولاية مانجى ، حيث يمر عدد هائل من السفن على الدوام ،  
وذلك نظرا لأنها تقع ( كما لاحظنا آنفا ) ، قرب ضفة نهر  
قرا موران ( ١ ) وتزجى الى هذه المدينة مقادير ضخمة من  
بضائع الأمانات ، لكى تنقل البضائع بذلك النهر ، الى أماكن  
أخرى مختلفة • والملح يصنع هنا بمقادير كبيرة ، لا من أجل  
استهلاك المدينة نفسها ، ولكن من أجل تصديره الى أرجاء  
أخرى ، ويستمد الخان الأعظم من هذا الملح إيرادا  
وفيرا ( ٢ ) •



Generalization  
Alexandria Library (GOAL)  
Alexandria

## الفصل السابع والخمسون

### عن مدينة باوغن \*

عند مغادرتك كوئي جان زو ، ترحل مسيرة يوم واحد نحو الجنوب الشرقي ، عبر جسر حجري معبد لطيف يؤدي الى ولاية مانجي \* وتوجد على جانبي الجسر ، بحيرتا مستنقعات شديداً الاتساع ، ومياههما عميقة والملاحة فيهما ممكنة (١) ، وليس هناك عدا هذا طريق آخر يمكن بواسطته الدخول الى الولاية \* على أن في الامكان الوصول اليها بالسفن ، وبهذه الوسيلة تمكن الضابط الذي كان يقود جيوش الخان الأعظم من غزوها ، بقيامه بالتزول بكامل قواته الى البر (٢) \* وبعد مسيرة اليوم الواحد ، تبلغ مدينة ضخمة تسمى باوغن (٣) ويعبد السكان الأصنام ، ويحرقون موتاهم \* ويستخدمون العملة الورقية ، كما أنهم رعايا الخان الأعظم وهم يكسبون معاشهم بالتجارة والصناعة : ولديهم قدر موفور من الحرير ، كما أنهم ينسجون أقمشة الذهب وضرورات الحياة عندهم موفرة \* .

## الفصل الثامن والخمسون

### • عن مدينة كائن •

على مسافة مسيرة يوم من باوغن ، نحو الجنوب الشرقي ،  
تقوم مدينة كائن (١) الضخمة والجيدة العمارة • وسكانها  
من الوثنيين ، ويستخدمون العملة الورقية عملة لهم ، كما  
أنهم رعية الخان الأعظم • وتزدهر بينهم التجارة والصناعات •  
ولديهم السمك موفورا ، والصيد أيضا ، ما بين بهائم  
وطيور • ويكثر التدرج ( الفزان ) بوجه خاص ، كثرة ،  
تجملك تشتري بقطعة صغيرة من الفضة تعادل في القيمة  
غروتا بندقيا ، ثلاثة من هذه الطيور ، في حجم الطاووس •



## الفصل التاسع والخمسون

عن مدينتي تن جوى وتشن جوى •

بعد نهاية رحلة يوم من المكان سالف الذكر ، تلتقى فيها بكثير من القرى ومساحات مترامية من الأرض المنزرعة بشدة ، تبلغ مدينة تسمى تن جوى ، ليست بالغة الضخامة ، ولكنها مزودة بوفرة بجميع لوازم الحياة • والقوم بها وثنىون ، ورعية للخان الأعظم ، يستخدمون عملته الورقية • وهم تجار ، ويملكون عددا كبيرا من السفن التجارية • وتوجد البهائم والطير هنا بوفرة • وتقع هذه المدينة صوب الجنوب الشرقى ، وأنت واجد البحر عن يسارك فى الجهة الشرقية منها ، على مسيرة ثلاثة أيام • فأما الشقة الوسطى فتقوم بها كثير من مصانع الملح ، التى تصنع بها مقادير ضخمة من الملح (١) • ثم تجيء بعد ذلك الى مدينة تشن جوى الضخمة الجيدة العمارة ، التى منها تصدر من الملح مقادير كافية لتزويد جميع الولايات المجاورة به (٢) • ويجبى الخان الأعظم على هذه السلعة ضريبة تدر عليه دخلا ، لا يكاد المرء يصدق مقداره • وهنا أيضا يعبد السكان الأصنام ، يستخدمون عملة الورق ، كما أنهم رعية جلالته •

## الفصل الستون

عن مدينة يان جوى ، التى عين  
فيها ماركو بولو حاكما .

عند تقدمك باتجاه جنوبي شرقي من تشن جوى تصل  
الى مدينة بان جوى المهمة ، وهى مدينة ينبغى أن تعد مكانا  
ذا شأن عظيم (١) ، نظرا لأنه يقع فى زمامها أربع وعشرون  
مدينة . وهى تتبع مملكة الخان الأعظم . والناس بها من  
عبدة الأوثان ، ويعيشون من التجارة والفنون اليدوية . وهم  
يصنعون السلاح ، وجميع أنواع المهمات والتجهيزات الحربية ،  
ونتيجة لهذا الوضع تعسكر كثير من الجنود بهذا الجزء من  
البلاد . والمدينة مقر حكم أحد النبلاء الاثنى عشر ، الذين  
أسلفنا الحديث عنهم ، والذين يعينهم جلالته حكاما  
للملايات (٢) ، ومن غرفة أحد هؤلاء ، قام ماركو بولو بأمر  
خاص من الامبراطور بعمل حاكم هذه المدينة أمد سنوات  
ثلاث .

## الفصل الحادى والستون

### • عن ولاية نان غن •

نان غن هو اسم ولاية ضخمة وممتازة فى مانجى ، تقع  
 جهة الغرب (١) • والقوم فيها وثنىون ويستخدمون العملة  
 الورقية نقودا يتداولونها ، وهم من رعايا الخان الأعظم ،  
 وأعظم ما يشتغلون به التجارة • ولديهم الحرير الخام ،  
 وينسجون أنسجة الفضة والذهب بمقادير عظيمة ، وعلى  
 أشكال وأنماط متنوعة • وينتج الاقليم كمية موفورة من  
 القمح ، كما أنه يزخر كذلك بالماشية المستأنسة ، فضلا عن  
 البهائم والطير ، التى تتخذ أغراضا للقنص والطراد ، وكثير  
 من الببور • وهو يقدم للامبراطور دخلا وفيرا ، ولا سيما  
 ما جاء منه من الرسوم التى تجبى على السلع الثمينة ، التى  
 يتجر فيها التجار • وسنحدثك الآن عن مدينة سايان فو  
 الفاخرة •

## الفصل الثانى والستون

عن مدينة سايان فو ، التى تم  
الاستيلاء عليها بواسطة نيقولو  
ومافيو بولو .

ان سايان فو مدينة ضخمة ، بولاية مانجى ، وتقع فى  
دائرة اختصاصها اثنتا عشرة مدينة ثرية وكبيرة (١) . وهى  
مكان له تجارة عظيمة وصناعات ضخمة . والسكان يحرقون  
جثث موتاهم ، كما أنهم وثنىون (٢) . وهم رعايا للخان  
الأعظم ، ويتعاملون بعملته الورقية . والحرير الخام ينتج  
هناك بمقادير ضخمة ، كما أن أرق أنواع الحرير المخلوط  
بالذهب تنسج عندهم . ويكثر لديهم الصيد بجميع أنواعه .  
والمكان مزود أعظم تزويد بكل شئ ينتمى الى المدن الكبرى ،  
كما أنها تمكنت بفضل قوتها المنيعة من الصمود أمام حصار  
دام ثلاث سنوات ، وهى تأبى التسليم للخان الأعظم ، حتى  
بعد أن تمكن من الاستيلاء على ولاية مانجى (٣) .

وكانت الصعوبات التى لاقاها الجند فى اخضاعها ،  
ترجع بصفة رئيسية الى عدم تمكن الجيوش من الاقتراب  
منها ، الا فى الناحية الشمالية ، أما نواحيها الأخرى ، فنظرا  
لاحاطة الماء بها (٤) ، وعن طريقه كانت المدينة تتلقى  
الأمداد باستمرار التى لم يكن فى طوق قوات الحصار  
منعها .

فلما أن أبلغ نبأ العمليات الى جلالته أحس بالمرط ،  
من أن يصمد هذا المكان وحده بهذا العناد ، بعد أن أرغمت

جميع أرجاء البلاد على الطاعة • فلما أن بلغ النبا مسامع  
الاخوين نيقولو ومافيو ، وكانا آنذاك نزيلين بالبلاط  
الامبراطورى (٥) تقدما على الفور الى الخان الأعظم ،  
واقترحا عليه أن يسمح لهما بانشاء آلات ، مما يستخدم  
ببلاد الغرب ، وتستطيع القيام أحجار زنتها ثلاثمائة رطل ،  
يمكن لها تدمير مباني المدينة وقتل سكانها •

واستمع الخان الأعظم الى مذكرتهما باهتمام ، فوافق  
على الخطة بحماس ، وأصدر أوامره بأن يوضع تحت  
اشرافهما أكفا وأقدر الحدادين والنجارين ، وكان فيهم بعض  
النصارى النساطرة ، الذين أثبتوا غاية الكفاية فى  
الميكانيكا (٦) •

ولم تنقض بضعة أيام حتى أتموا صنع مجانيقهم ، وفق  
التعليمات التى زودهم بها الأخوان ، حتى اذا تمت تجربتهما  
بحضرة الخان الأعظم ، وكامل أعضاء بلاطه ، تهيأت الفرصة  
لمشاهدتها وهى تقذف أحجارا ، تزن كل منها ثلاثمائة  
رطل •

وعندئذ أنزلت الى ظهور السفن وحملت الى رجال  
الجيش • فلما أن نصبت أمام مدينة سايان فو ، سقط أول  
حجر قذف من أحدها ، بثقل فادح وعنف فطيع على مبنى من  
المباني ، فحطم جزءا كبيرا منه وأسقطه الى الأرض •

وبلغ من رعب الأهالى من هذا الويل الذى بدا لهم كأنما  
هو أثر صاعقة نزلت بهم من السماء (٧) أن فكروا على  
الفور فى ضرورة التسليم السريع • وبناء على ذلك بعث  
الأهالى بأشخاص فوضوهم فى الاتفاق ، فقبل منهم خضوعهم  
بنفس الشروط التى منحت لبقية أجزاء الولاية

وكانت هذه النتيجة السريعة لما أبداه هذان الشقيقتان  
البندقيان من مهارة ، أن زادت شهرتهما والثقة بهما فى رأى  
الخان الأعظم وجميع رجال بلاطه (٨) •

## الفصل الثالث والستون

عن مدينة سن جوى ، وعن نهر  
كيانج العظيم جدا .

إذا أنت غادرت مدينة سايان فو ، وتقدمت بمسيرة  
خمسة عشر يوما نحو الجنوب الشرقى ، بلغت مدينة  
سن جوى ، وهى وان لم تكن كبيرة الا أنها مركز تجارى  
عظيم (١) . فان عدد السفن التى تنتمى اليها هائل مذهل ،  
وذلك نتيجة لقرب موقعها من نهر كيانج ، الذى هو أعظم  
نهر فى العالم ، حيث يكون عرضه فى بعض الأماكن عشرة  
أميال وفى أماكن أخرى ثمانية وفى أخرى ستة (٢) .  
وطوله حتى المكان الذى يصب فيه مياهه فى البحر ، يزيد  
على رحلة مائة يوم (٣) . وهو مدين بحجمه العظيم الى العدد  
الجم من الأنهار الأخرى الصالحة للملاحة ، التى تفرغ  
مياهها فيه ، والتى تقع منابها فى أقطار قاصية .

وتقع على ضفافه مجموعة ضخمة من المدن البلدان  
الكبيرة ، كما أن أكثر من مائتين منها مع ست عشرة ولاية (٤) ،  
تشترك فى مزايا الملاحة فيه ، التى يبلغ نقل التجارة  
بواسطتها مبلغا قد يبدو مما لا يصدق عقل من لم تتح لهم  
فرصة مشاهدته .

والحق اننا متى تأملنا طول مجراه ، وكثرة عدد الأنهار  
التي تتصل به ( كما سبقت الإشارة اليه ) ، لم ندهش لأن  
كمية وقيمة السلع المستخدمة فى تموين هذه الكثرة الهائلة

من الأماكن القائمة حوله بكل اتجاه ، تصبح شيئاً لا سبيل  
الى تقديره وحسابه . ومع هذا فان السلعة الرئيسية هي  
الملح ، الذى لا ينقل فحسب بواسطة نهر كيانج ، والأنهار  
المتصلة به ، الى المدن الواقعة على ضفافها ، بل ومنها بعد  
ذلك الى جميع الأماكن الواقعة بداخل البلاد (٥) .

وحدث ذات مرة ، بينما كان ماركو بولو بمدينة  
سن جوى ، أنه شاهد هناك مالا يقل عن خمسة عشر ألف  
سفينة ، ومع هذا فهناك مدن أخرى على امتداد النهر ، يكون  
العدد فيها اكبر كثيرا (٦) ويغطي كل هذه السفن ضرب من  
السطح Deck ولها سارية ذات شراع واحد (٧) .  
وحمولتها على الجملة أربعة آلاف قنطار ، أو كوينتال بندى ،  
وقد تصل الى اثني عشر ألف قنطار ، وهى الحمولة التى  
تستطيع بعض السفن شحنها (٨) .

وهم لا يستخدمون حبال القنب الا فى القلوع  
والسورى ( ما بين حبال ثابتة ومتحركة ) . ولديهم أعواد  
يبلغ طولها خمس عشرة خطوة ، مثل التى سبق وصفها ،  
فيشقونها بكامل طولها ، قطعاً رقيقة جداً ، فإذا فتلوا هذه  
بعضها مع بعض ، كونوا منها حبالاً طولها ثلاثمائة  
خطوة (٩) .

والحبال تصنع بمهارة بالغة جداً ، بحيث تضارع فى  
المتانة الأمراس ( الحبال ) المصنوعة من القنب . وبهذه  
الحبال تجر السفن على طول امتداد الأنهار ، بواسطة خيول  
عدتها عشرة أو اثنا عشر لكل سفينة (١٠) سواء أكانت  
صاعدة ضد التيار ام ماضية فى الاتجاه المقابل .

ويوجد بكثير من الأماكن قرب ضفاف هذا النهر تلال  
ومرتفعات صخرية صغيرة ، بنيت عليها معابد للأبدان  
( الأوثان ) وغيرها من العماثر ، وانك لتجد تعاقباً مبهتماً  
من القرى والأماكن المأهولة .

## الفصل الرابع والستون

### عن مدينة كاين جوى •

ان كاين جوى مدينة صغيرة على الضفة الجنوبية للنهر  
أنف الذكر (١) ، حيث تجمع فى كل عام ، كمية ضخمة جدا  
من القمح والأرز ، تنقل أكبر كمية منها الى مدينة كانبالو ،  
ميرة وتموينا لمؤسسات الخان الأعظم وقصوره (٢) ، اذ أن  
خط المواصلات مع ولاية كاثاي ، يمر من هذا المكان ،  
بواسطة الأنهار والبحيرات وقناة عريضة وعميقة ، أمر  
بحفرها الخان الأعظم ، حتى تستطيع السفن المرور من نهر  
كبير الى آخر ، ومن ولاية مانجى ، بالطريق المائى حتى  
كانبالو ، بغيز القيام بأى جزء من الرحلة بحرا (٣) •

وهذا العمل الباهر يستحق كل اعجاب ، وليس ذلك  
للطريقة التى يجرى امتداده بها فى أرجاء البلاد ، ولا شدة  
اتساع مداه ، بقدر ما هو المنفعة التى تعود منه على تلك  
المدن التى تقع على مجراه • وعلى ضفاف القناة أقيمت أيضا  
شرفات فسيحة وقوية أو جواجز ( جسور ) يصبح السفر  
برا عليها وبفضلها مريحا تمام الراحة • وتوجد فى منتصف  
النهر ، قبالة مدينة كاين جوى ، جزيرة ، تتكون كلها من  
الصخر قد بنى عليها معبد ودير عظيم ، يقيم به مائتا راهب ،  
على ما قد يصح أن تسميهم ، ويؤدون الضلوات للأوثان ،  
وهذا هو المكان الرئيسى بين العدد الكبير من المعابد والأديرة  
الأخرى (٤) • وسنحدثك الآن عن مدينة تشان غيان فو •



## الفصل الخامس والستون

من مدينة تشان غيان فو \*

ان تشان غيان فو مدينة تقع فى ولاية مانجى (١) ، سكانها عبدة أوثنان ، ورعايا للخان الاعظم ، ويستخدمون عملته الورقية \* وهم يكسبون معاشهم بالتجارة والصناعة ، كما أنهم قوم أثرياء \* وهم ينسجون أنسجة الحرير والذهب \* ورياضة الخلاء هناك ممتازة أعظم ما يكون الامتياز بما حوت من جميع صنوف الصيد ، كما أن مواد التموين هناك موفرة \*

وبهذه المدينة ثلاث كنائس للمسيحيين النساطرة ، بنيت فى عام ١٢٧٨ ، عندما عين جلالته نسطوريا يدعى مارساتشيس ، ليتولى الحكم بها مدة ثلاث سنوات \* وهو الذى أسس هذه الكنائس ، حيث لم يكن هناك قبل ذلك أية كنيسة ، وهى لا تزال موجودة الى يومنا هذا (٢) \* واذا نحن غادرنا هذا المكان ، فاننا سنتكلم الآن عن تن جوى جوى \*

## الفصل السادس والستون

عن مدينة تن جوى جوى

عند مفارقتك تشان غيان فو ، ورحيلك أربعة أيام صوب الجنوب الشرقى ، تمر على كثير من المدن والمواقع المحصنة ، سكانها وثنيون ، يعيشون من الحرف والتجارة ، رسم من رعايا الخان الأعظم ، الذين يستخدمون عملته الورقية .

وعند نهاية هذه الأيام الأربعة تصل الى مدينة تن جوى جوى ، وهى مدينة كبيرة وجميلة (١) ، تنتج الشيء الكثير من الحرير الخام الذى تنسج منه نسائج مختلفة صنوفها أو أنماطها . ولوازم الحياة موفرة هنا ، كما أن مختلف ضروب الصيد تنتج للقوم رياضة ممتازة .

وكان السكان هناك جنسا مرذولا ، مجردا من الانسانية وفى الوقت الذى أخضع فيه تشنسان بايان ، أى ذو المائة عين ، اقليم مانجى ، أرسل أشخاصا بأعيانهم من النصارى الآلانيين (٢) ، بصحبة جماعة من بنى قومه ، لكى يستولوا على هذه المدينة ، فما كادوا يظهرن تلقاءها ، حتى أذن لهم بالدخول بلا مقاومة .

ونظرا لأن المكان كان محاطا بسور مزدوج ، أحدهما داخل الآخر ، فان الآلانيين احتلوا التحويلة الأولى ، التى وجدوا بها مقدارا كبيرا من الخمر . ونظرا لما قاسوه من

التعب والحرمان ، فانهم كانوا فى لهفة الى نقع غلتهم ،  
فأقبلوا بلا روية على الشراب بافراط ، حتى غلبهم النعاس  
بعد أن مالت برءوسهم السكره . وما كاد أهالى المدينة ،  
الذين كانوا داخل السور الثانى ، يرون أن أعداءهم كانوا  
يرقدون فى نعاس على الأرض ، حتى انتهزوا الفرصة  
وأعملوا فيهم فتكا وذبحا ، ولم يتيحوا لواحد منهم أن ينجو .

وعندما علم تشنسان بايان بمصير كتيبته ، بلغ حنقه  
وغضبه أقصى درجة ، وأرسل جيشا آخر لمهاجمة المكان .  
فلما تم الاستيلاء عليه ، أمر بأعمال السيف فى جميع السكان  
كبيرهم وصغيرهم ، غير مفرق بين الجنسين ، متخذاً ذلك عملاً  
انتقامياً .

## الفصل السابع والستون

عن مدينتى سن جوى وفاجيو \*

ان سن جوى مدينة ضخمة وفاخرة ، محيطها عشرون ميلا (١) \* والسكان وثنىون من رعايا الخان الأعظم ، ويستخدمون عملته الورقية \* ولديهم مقادير هائلة من الحرير الخام ويصنعونه قماشاً ، لا لاستهلاكهم الخاص فقط ، ان أنهم جميعاً يرتدون ثياباً من حرير ، ولكن من أجل أسواق أخرى \* وفيهم تجار لديهم ثروات طائلة ، كما أن عدد السكان من الضخامة بحيث يثير الدهشة \*

على أنهم مع هذا شعب جبان ، لا يشغلون أنفسهم الا بتجارته وصناعتهم \*

والحق انهم يبدوون فى هذين المضمارين قدرة فائقة ، ولو أنهم كانوا من المغامرة والرجولية والروح العسكرية بقدر براعتهم ، فضلا عن ضخامتهم العددية الهائلة لما أمكنهم فحسب اخضاع الولاية ( مانجى ) بأكملها ، بل كانت تدفع أنظارهم الى ما وراء ذلك بكثير \*

وبينهم كثير من الأطباء الذين أوتوا مهارة فائقة ، ممن يستطيعون التحقق تماما من طبيعة أية علة تصيب انسانا ، ويعرفون كيف يصفون الأدوية الناجمة (٢) \*

وهناك كذلك أشخاص متفوقون كأساتذة فى العلم ، أو هم — كما قد نسميهم — فلاسفة ، وغيرهم مما يمكن

تسميتهم باسم السحرة أو العرافين (٣) • وينمو الراوند على الجبال القريبة من المدينة نموا على الكمال ، ومنها يوزع بكل أرجاء الولاية (٤) وينتج الزنجبيل أيضا بمقادير كبيرة ، ويباع بسعر ينقص حتى أن زنة أربعين رطلا من جذوره الطازجة ، يمكن الحصول عليها بما يعادل في عملتهم غروتا بندقيا فضيا •

وتوجد في زمام ودائرة اختصاص سن جوى ست عشرة مدينة وبلدة كبيرة وغنية ، تزدهر بها التجارة والصنائع • ومعنى اسم سن جوى « مدينة الأرض » ، كما ان اسم كن ساي مؤداه « مدينة السماء » (٥) •

والآن سنترك سن جوى ، ونتحدث عن مدينة أخرى ، لا تبعد عنها الا مسافة يوم واحد فقط ، وتسمى فاجيو ، حيث توجد أيضا وفرة هائلة من الحرير الخام ، وحيث يوجد عدد جم من التجار فضلا عن الصناع • وتنسج هنا حراير من أجود الأصناف ، ثم تحمل بعد ذلك الى جميع أرجاء الولاية (٦) •

ونظرا لأنه ليست هناك أية أحوال أخرى جديرة بالملاحظة ، فاننا سننتقل الى وصف المدينة الرئيسية والعاصمة لولاية مانجى ، وهى المسماة كين ساي •

## الفصل الثامن والستون

### حول مدينة كين ساي العظيمة الرائعة .

ق - ١ - : عند مغادرتك فاجيو ، تمر فى مدى رحلة ثلاثة أيام ، بمدن وقلاع وقرى كثيرة العدد وكلها أهلة تماما بالسكان وواسعة الشراء ، والقوم بها وثنىون ورعايا الخان الأعظم وهم يستخدمون العملة الورقية ولديهم مقادير وافرة من المواد التموينية .

وعند انتهاء الايام الثلاثة تصل الى مدينة كين ساي العظيمة الفخمة ، وهو اسم معناه « المدينة السماوية » وهو اسم تستحقه بجدارة لما اجتمع لها من امتياز وشهرة على كل ماعداها من مدن العالم ، من ناحية العظمة والجمال ، فضلا عن مباهجها الوفيرة ، التى قد تدفع ساكنها أن يظن نفسه مقيما فى الفردوس (١) . وكثيرا ما تردد ماركو بولو (٢) ، على هذه المدينة ، فقام بعناية ودأب بمشاهدة كل الأحوال المتعلقة بها والتحرى عنها ، واثباتها كلها فى مذكراته ، التى نقلت عنها التفاصيل التالية بايجاز .

وطبقا للتقدير العادى المعروف فان محيط هذه المدينة مائة ميل (٣) . وشوارعها وقنواتها رحيبة ، وفيها الميادين أو الأسواق التى لا بد لها من أن تكون مفرطة الرحابة ، لكى تكون بالضرورة متناسبة فى رحابتها مع الاحتشاد الهائل للناس الذين يترددون عليها . وهى تقع بين بحيرة ذات مياه

عذبة بالغة الصفاء فى ناحية منها (٤) ، وبين نهر عظيم الضخامة فى ناحيتها الأخرى ، جعلوا مياهه ، تشق عددا من القنوات ، ما بين كبيرة وصغيرة ، تمر من خلال كل حى من أحياء المدينة ، حاملة منها كل القاذورات الى البحيرة ، ومنها الى البحر فى خاتمة المطاف (٥) .

وبينما يسهم هذا كثيرا فى نقاء الهواء ، فإنه يهيب مواصلة مائية ، تضاف الى مثيلتها البرية ، تؤدى الى جميع أجزاء المدينة ، هذا الى أن القنوات والشوارع على اتساع كاف ، للسماح بمرور الزوارق فى الأولى والعربات فى الثانية ، مرورا ميسرا ، حاملة السلع اللازمة لاستهلاك السكان (٦) .

والشائع أن عدد الكبارى بجميع أحجامها يبلغ اثنى عشر ألفا (٧) ، وجعلوا القناطر التى بنيت فوق الترع الرئيسية ولها ارتباط بالشوارع الكبرى ، عقودا بالغة الارتفاع ، بنيت بدرجة عالية من المهارة ، حيث تستطيع السفن بسوارىها أن تمر من تحتها (٨) ، بينما تمر العربات والخيول فى الوقت نفسه فوق هاماتها ، اذ ما أحسن التوافق بين المنحدر البادئ من الشارع وبين ارتفاع العقدة . فلو أنها لم تكن فى الحقيقة بمثل هذه الكثرة ، لما كان هناك يسر فى العبور من مكان الى آخر .

ق - ٢ - : وتوجد خارج المدينة محيطة بها فى ذلك الجانب ، حفرة طولها أربعون ميلا وهى شديدة الاتساع وممتلئة بالمياه التى تصل اليها من النهر سالف الذكر . وقد احتقر هذه الحفرة ملوك الولاية السابقون ، حتى استطاع متى فاض النهر على جانبيه ، تحويل المياه الزائدة الى هذا المجرى ، ولتصبح فى الوقت نفسه وسيلة للدفاع (٩) . والتراب الذى احتقر من هناك تم القاؤه فى الناحية

الداخلية ، فتراكم حتى أصبح شبيها بأكام تلال صغيرة كثيرة تحيط بالمكان .

ويوجد فى داخل المدينة عشرة ميادين أو أسواق رئيسية ، فضلا عن عدد لا يحصى من الدكاكين التى تقوم على امتداد الشوارع . وطول كل جانب من هذه الميادين نصف ميل ( ١٠ ) ، كما يوجد أمامها الشارع الرئيسى ، الذى عرضه أربعون خطوة ، والذى يمتد فى خط مستقيم من طرف المدينة الى طرفها الآخر . وتعبيره كثير من الكبارى المنخفضة والمريجة .

ويبعد الواحد من هذه الأسواق عن الآخر أربعة أميال ( ومساحتها جميعا ميلان ) وتجرى ترعة كبيرة جدا فى اتجاه مواز للشارع الرئيسى ، ولكنها فى الجانب المقابل للميادين ، وبنيت على الضفة القريبة منها مخازن فسيحة من الحجر ، لتكون فى خدمة التجار الوافدين من الهند وغيرها من البلاد ، ومعهم ما يحملون من بضائع ومتاع ، حتى ينزلوا منزلا مناسباً ومريحاً لهم فيما يتعلق بالأسواق ( ١١ ) .

ويحتشد فى كل من هذه الأسواق ، فى ثلاثة أيام من كل أسبوع ، جمع من الناس يتراوح عدده بين أربعين الى خمسين ألف شخص ، ممن يشهدون الأسواق ويزودونها بكل سلعة من السلع الغذائية يمكن أن يرغبها الناس . فهناك مقادير وفيرة من جميع أنواع الصيد مثل الأيائل والوعول والأيائل السمر والارانب البرية والارانب العادية ومعها الحجل والتدرج ( الفزان ) والدراج ( الفرانكولين ) والسمانى والدجاج العادى والديوك المخصية ، وعدد هائل من البط والأوز لا يكاد يمكن التعبير عنه ، وذلك لأنه ما أسهل ما تفرخ وتربى على شواطئ البحيرة ، حتى انك لتستطيع بقيمة غروت فضى بندقى أن تشتري زوجا من الأوز وزوجين من البط ( ١٢ ) ويوجد بها كذلك المجزر الذى يذبحون فيه



ما يأكلون من ماشية ، كالثيران والعجول والجديان والحملان ،  
لتزويد موائد الأغنياء وكبار الحكام • فأما أبناء الطبقات  
الدنيا ، فانهم لا يأنفون من تناول أى نوع آخر من اللحم ،  
ومهما يكن نجسا ، بغير أدنى تمييز (١٣) • وتمتلى الأسواق  
فى كل المواسم بأنواع كثيرة من الأعشاب والفواكه ، وبخاصة  
كمثرى ذات حجم خارق الضخامة ، تزن الواحد منها عشرة  
ارطال ، وباطنها أبيض كالعجين ولها رائحة عطرة جدا (١٤) •

وهناك أيضا خوخ ، يظهر فى موسمه ، من النوعين  
الأصفر والأبيض كليهما (١٥) ، وله نكهة سكرية لذيدة •  
ولا ينتج العنب هناك ، ولكنه يجلب زبيبا مجففا ومن نوع  
جيد جدا ، من أصقاع أخرى • وينطبق هذا أيضا على  
النبيذ ، الذى لا يجد تقديرا من الأهالى ، نظرا لتعودهم على  
مشروبهم الخاص المستخرج من الأرز والتوابل •

وتستجلب كل يوم الى المدينة من البحر ، الذى يقع منها  
على خمسة عشر ميلا ، مصعدة فى النهر مقادير هائلة من  
السماك ، كما أنه توجد كثرة موفرة منه أيضا فى البحيرة ،  
تتيح العمل فى كل الأوقات لأشخاص ، مرتزقهم الوحيد هو  
صيد السمك • وتختلف أنواعه حسب فصول السنة ، كما  
أنها تصبح ضخمة سميكة نتيجة للنفايات التى تنقل الى هناك  
من المدينة • وانه ليخيل اليك حين تشهد المقادير الهائلة  
المستجلبة من السمك ، أن من المحال أن تباع ، ومع ذلك فان  
كل المقدار ينفذ فى بضع ساعات ، اذ ما أعظم عدد السكان  
هناك ، بل حتى ما أعظم عدد الطبقات التى تستطيع ماليا  
الاستمتاع بمثل هذا النوع من أطعمة الترف ، وذلك لأن  
الأسماك واللحوم تؤكل فى نفس الوجبة •

وكل ميدان من ميادين الأسواق العشر ، محاط ببيوت  
سكنى عالية (١٦) يوجد فى الطابق السفلى منها دكاكين ،  
تتم فيها جميع أنواع الصناعات ، وتباع فيها جميع أنواع

السلع التجارية ، التى منها على سبيل المثال لا الحصر ،  
التوابل والعقاقير والحلى الصغيرة والآلء • وهناك دكاكين  
معينة لا يباع بها الا خمر البلاد ، التى يدأبون باستمرار على  
تخميرها وتقديمها طازجة الى زبائنهم بسعر معتدل •

والشوارع المتصلة من الحمامات ، التى يقوم على  
الخدمة فيها خدم من الجنسين ، للقيام بعمليات التطهير  
للرجال والنساء الذين يترددون عليها ، والذين تعودوا  
منذ طفولتهم على الاغتسال بالماء البارد ، الذى يعتقدون انه  
عظيم الفائدة للصحة • ومع هذا فتوجد فى هذه الحمامات  
مخادع مزودة بالماء الدافى ، ليستخدمها الغرباء ، الذين  
لا يستطيعون تحمل صدمة الماء البارد ، نظرا لعدم تعودهم  
عليه • ويقوم الجميع يوميا بغسل أجسامهم وبخاصة قبل  
تناول الطعام •

ق - ١ - : وفى شوارع أخرى ، توجد مساكن البغايا ،  
اللواتى هن هنا فى اعداد غشيرة لا أجد فى نفسى الجراة على  
ذكرها ، وهن لا تتواجدن فحسب فى الميادين ، وهى المكان  
الذى يحدد لسكنانهن عادة ، بل فى كل أجزاء المدينة ،  
مزينات بالحلى الكثيرة ، متعطرات بأقوى العطور ، شاغلن  
لبيوت جيدة الأثاث ، تخدمهن كثير من الخادمت (١٧) •

وقد برعت هؤلاء النسوة فى فنون الحياة وبلغن التمام  
فى الغزل ومعضول الكلام ، التى يصحبنها بعبارات تتلاءم  
وكل أصناف الأشخاص الى حد أن كل أجنبى ذاق مرة واحدة  
أفاويق سحرهن ، يظل فى حالة افتتان ، ويصبح مسحورا  
بفنون الموسمية الكاذبة ، بقوة لا يستطيع ازاءها الفكاه من  
أسرهن • فاذا عادوا الى بلادهم ، سكارى بهذه المتع الحسية ،  
قررروا أنهم كانوا فى كن سائى أى « المدينة السماوية » ،  
ويتلهفون شوقا الى الزمان الذى يتهاى لهم فيه العودة الى  
زيارة الفردوس •

وتوجد بشوارع أخرى ، مساكن الأطباء والمنجمين ، الذين يتولون تعليم القراءة والكتابة ، وفنون أخرى كثيرة غيرهما \* ولهم شقق أيضا في البيوت التي تحيط بالأسواق \* وتوجد في جانبيين متقابلين من كل من هذه الميادين ، عمارتان ضخمتان ، يقيم بهما موظفون يعينهم الخان الأعظم ، لكي يقضوا فورا في أى خلافات قد تنشأ بين التجار الأجانب ، أو بين سكان المكان \* .

ومن واجبهم التحقق من أن الحرس القائمين على مختلف القناطر الكثيرة ( وسيرد الحديث عنهم فيما بعد ) موزعون كما ينبغي كل في منطقتة ، فإذا اكتشفوا أهمالا ، عاقبوا المذنب حسبما يتراءى لهم ( ١٨ ) \* .

وتوجد على كل من جانبي الشارع الرئيسى ، احدى اسفلتنا اليك انه يمتد من أقصى المدينة الى أقصاها ، ييسر رخصيص عظيمه الضخامة ، تحوى الحدائق ، كما تقوم بالضرب من هذه مساكن الصناع ، الذين يعملون في مختلف حرفهم بالدكاكين ، وانك لترى في كل ساعات النهار جماهير غفيرة من الناس يفتدون ويروحون ، كل فيما همه من مشاغل ، بحيث ان تزويد هؤلاء بالقدر الكافى من الطعام ، ربما عد من المستحيلات ( ١٩ ) ، ولكنك لا تلبث حتى تكون فكرات اخرى عندما تلاحظ أنه فى كل يوم سوق ، تكتظ الميادين بالتجار الذين يغطون المكان كله بالسلع المجلوبة بالمرباط والسفن ، التى يجدون لها كلها سوقا رائجة \* ولو أخذنا على سبيل المثال سلعة واحدة هى الفلفل ، فربما أمكن تكوين فكرة عن المقدار الكامل للمواد الثمونية واللحم والخمر ومواد البقالة ، وما أشبهها . اللازمة لاستهلاك سكان كن ساء ، فعن هذا الفلفل ، علم ماركو بولو من موظف يعمل فى جمارك الخان الأعظم ، أن المقدار اليومى هو ثلاثة وأربعون حملا ، وكل حمل يتكون من مائتين وثلاثة وأربعين رطلا ( ٢٠ ) \* .

ق - ٤ - : وسكان المدينة من الوثنيين \* وهم يستخدمون العملة الورقية نقدا \* والرجال والنساء شقرا البشرة ولهم ملاحه وجمال \* وتكتسى غالبيتهم العظمى دائما بالحريز ، ويرجع ذلك الى المقادير الهائلة من تلك المادة التى تنتجها أرض كن ساي ، وذلك فضلا عما يستورده التجار من الولايات الأخرى (٢١) \* على أن هناك بين الحرف اليدوية ، التى تمارس بالمكان ، اثنتى عشرة حرفة تعد أعلى من الأخرى ، نظرا لأنها أعم نفعا ، وقد جعل لكل منها ألف مصنع ( ورشة ) ، وجعل معدل كل مصنع عشرة من العمال يعملون فيه أو خمسة عشرة أو عشرين ، كما أن عددهم قد يصل فى حالات قليلة الى أربعين ، برياسة معلمهم الخاص \* والرؤساء الأثرياء فى هذه المصانع لا يعملون بأيديهم ، بل يتخذون على العكس مظاهر الرقة ويفتعلون المظهرية \*

وتمتنع زوجاتهم عن العمل بدرجة سواء \* وهن على جانب كبير من الجمال كما أوضحنا ، كما أنهن يربين على عادات رقيقة متراخية (٢٢) \* ويكاد ما ينفقون على ثيابهم من طائل النفقات وكلها من الحرير والجوهر ، أن يتجاوز كل خيال \*

ومع أن قوانين ملوكهم القدماء كانت تحتم أن يحترف كل مواطن مهنة أبيه ، الا أنه كان يسمح لهم متى أحرزوا الثراء ، بالانقطاع عن مواصلة العمل اليدوى ، شريطة احتفاظهم بالمؤسسة واستخدامهم لأشخاص ليعملوا فى حرف آبائهم (٢٣) \* وبيوتهم جيدة البناء ثرية الزينة بالأشغال المحفورة \* ولشد ما يبتهجون بحليات من هذا النوع وبالتصاوير والمباني المزخرفة الجميلة ، حتى ان المبالغ التى يقدونها على مثل هذه الأشياء تعد طائلة \*

وطبع أهالى كن ساي بالسليقة على المسالة والهدوء \* وتمثال بمثال ملوكهم السابقين الذين لم يكونوا هم أنفسهم

أهل حرب ، اعتاد القوم عادات السكينة والهدوء ، فاستخدم  
الأسلحة شيء غير معروف لديهم ، كما أنها لا وجود لها في  
منازلهم (٢٤) .

وهم قوم لا ينشأ بينهم شجار محتدم (٢٥) وهم  
يديران شؤونهم التجارية والصناعية بكامل الصراحة  
والأمانة (٢٦) . وهم يتعايشون فيما بينهم بمودة متبادلة .  
ومن يسكنون نفس الشارع الواحد ، من الرجال والنساء  
يبدون بمظهر عائلة واحدة لمجرد ظرف الجوار القائم بينهم .  
وإذا نظرت إلى عاداتهم المنزلية وجدتهم خلوا من الغيرة أو  
الشك في زوجاتهم ، اللائي يقدمون اليهن احتراماً عظيماً ،  
كما أن أي رجل يعد دنياً أن هو جرؤ على توجيه عبارات  
غير محتشمة إلى امرأة متزوجة . وهم يقدمون آيات المودة  
الحميمة أيضاً للغرباء الذين يزورون مدينتهم ابتغاء  
التجارة ، حيث يكثرون من دعوتهم إلى بيوتهم ، مظهرين  
نحوهم اهتماماً منطويماً على كرم الضيافة ويزودونهم بأصدق  
نصيحة ومساعدة في صفقاتهم التجارية .

وهم في الحين نفسه يكرهون مشهد الجند ، بغير استثناء  
حرس الخان الأعظم من تلك النظرة ، وذلك لأنهم يشيرون في  
أنفسهم تذكر أنه على يد هؤلاء حرم الشعب من حكم ملوكهم  
وحكامهم الوطنيين .

ق - ٥ - : وتوجد على ضفاف البحيرة كثير من العمائر  
الجميلة القسيحة التي يملكها علية القوم وكبار الحكام .

وهناك بالمثل أعداد كثيرة ( أي بيوت أستانام ) ،  
يتبعها من أديرة يشغلها عدد من الرهبان ، الذين يقومون  
بالصلوات للأصنام (٢٧) . وتوجد قرب المنطقة الوسطى  
جزيرتان ، يقوم في كل واحدة منها بناء بديع ، به عدد  
لا يصدق عقل من الأجنحة والسرادات المنفصلة . كلما أراد

سكان المدينة اقامة حفل قران ، أو عمل حفلة ضيافة باذخة ،  
لجأوا الى احدى هاتين الجزيرتين ، حيث يجدون تحت تصرفهم  
ووفق هواهم كل شيء يمكن أن يحتاج اليه الأمر ، كالأوعية  
والفسوط ومفارش الموائد وما شابه ذلك ، وهى تشتري  
وتتخزن هناك على حساب المواطنين عامة ، وهم الذين تولوا  
كذلك تشييد المباني \*

وربما تصادف أن يجتمع هناك فى وقت واحد مائة  
مجموعة ، تحتفل بزواج أو غير ذلك من الاحتفالات ، ومع  
ذلك فهم جميعا يزودون بغرفات أو جواسق منفصلة ، وكل  
شيء منظم بحكمة حتى انهم لا يتدخلون مع بعض ولا يضايق  
بعضهم بعضا \* وبالإضافة الى هذا فان على البحيرة عددا  
عظيما من سفن النزهة أو مراكب ( ذهبيات ) الاحتفالات ،  
التي يقدر انها تتسع لما يتراوح بين عشرة الى خمسة عشر الى  
عشرين شخصا ، اذ أن طولها ما بين ١٥ الى ٢٠ خطوة ولها  
سطح واسع منبسط ، وليست عرضة أن تميل الى أى جانب  
من جانبيها أثناء عبورها فى الماء \* فمن كانت تلذ لهم المتعة  
والتسلية ويهتمون بالاستمتاع بها ، اما بصحبة نسائهم أو  
رفاقهم من الذكور ، فانهم يستأجرون واحدة من هذه  
« الذهبيات » أى سفن النزهة ، التي تجعل على الدوام على  
أحسن نظام ووضع ، وتزود بما يلزمها من مقاعد ومناضد ،  
فضلا عن جميع ماعدا ذلك من أنواع الأثاث اللازم لاقامة  
حفلة أو مأدبة \*

وللغرف الذهبية سقف مسطح أى سطح علوى ، يتخذ  
عليه الملاحون أماكنهم ، ويدفعون الذهبيات بواسطة المذارى  
الطويلة التي يفرسونها فى قاع البحيرة ( وهى لا تزيد فى  
عمقها عن قامة أو قامتين ) وهم لا يزالون يدفعون بالذهبية  
قدما حتى يصلوا الى البقعة المقصودة \* وهذه الغرف  
( أو الكابينات ) مطلية من الداخل بألوان متنوعة وبضروب  
من الأشكال والرسوم ، ثم ان جميع أجزاء المركب مزينة

كذلك بالدهان (٢٨) • وفى كل من جانبى الذهبية نوافذ  
يمكن فتحها واغلاقها ، وذلك بقصد اعطاء المتنزهين ، وهم  
جلوس الى الموائد ، فرصة النظر فى كل اتجاه ، وامتناع  
أبصارهم بتنوع وجمال المشاهد الطبيعية أثناء مرورهم من  
أمامها •

ولا شك أن امتناع الأنفوس المتاح بهذه الطريقة ، على  
صفحة الماء ، يفوق كل امتناع يمكن أن ينال من التسلقيات  
على سطح الأرض ، وذلك أنه نظرا لأن البحيرة تمتد امتداد  
طول المدينة بأكمله ، فى جانب ، فانك تحصل وأنت واقف فى  
السفينة على مسافة معينة من الشاطئ على منظر يجمع كل  
ما حوت من عظمة وجمال ، كل قصورها ومعابدها وأديرتها  
وحداثقها ، مع أشجار من أضخم حجم تنمو على الشاطئ  
حتى سيف الماء ، بينما أنت مستمتع فى الوقت نفسه بمنظر  
السفن الأخرى التى من نفس النوع ، وهى لا تنقطع عن  
المرور دوما الى جوارك ، محملة بجماعات ممن ينشدون اللهو  
والمتعة •

والحق أن سكان هذا المكان ، لا يفكرون فى شيء ،  
بمجرد أن تنتهى أعباء اليوم أو تتوقف مصافقاتهم التجارية ،  
عدا قضاء الساعات الباقية من اليوم فى حفلات المسرة  
ولمجون ، مع زوجاتهم أو خلياتهم ، اما فى هذه «الذهبيات»  
واما فى أرجاء المدينة فى عربات يحسن الآن أن نقدم عنها  
كلمة ، باعتبارها احدى تسليات هذا الشعب •

وينبغى أن يلاحظ ابتداء ، أن شوارع كن سائى مرصوفة  
كلها بالأحجار والطوب ، وكذلك أيضا جميع الطرق الرئيسية  
التى تمتد من هناك من خلال ولاية مانجى ، وبهذا يستطيع  
المسافرون السفر الى كل أرجائها بغير تلويث أقدامهم  
بالشرى ، ولكن نظرا لأن سعاة بريد صاحب الجلالة ، الذين  
ينقلون على ظهور الجياد بسرعة عظيمة ، لا يستطيعون

استخدام المنطقة المرصوفة ، فان جزءا من الطريق ينترك من أجلهم - فى أحد جانبيه - غير مرصوف . فأما عن الشارع الرئيسى بالمدينة ، وهو الذى تحدثنا عنه آنفا ، بأنه يمتد من أقصاها الى أقصاها ، فانه مرصوف بالأحجار والطوب بعرض عشر خطوات من كل جانب ، وذلك لأن الجزء المتوسط بينهما يملأ بالحصى ، ويزود بمصارف معقودة لحمل مياه الأمطار التى تسقط ، الى القنوات المجاورة ، حتى تظل جافة على الدوام . وعلى هذه الحصباء تمر العربات على الدوام رائحة وغادية . وهى طويلة الشكل مغطاة من أعلى ، ولها أستار ونمارق ( شلت ) من حرير ، وتتسع لستة أشخاص . واعتماد كل من الرجال والنساء الذين يشعرون بميل الى انتهاز متعة لأنفسهم ، تأجيرهم يوميا لتلك الغاية ، ومن ثم فانك قد ترى فى كل ساعة من ساعات النهار أعدادا غفيرة منها تساق فى الجزء الأوسط من الشارع ( ٢٩ ) .

وينطلق بعضهم لزيارة حدائق معينة ، حيث يتولى من يديرون المكان ادخال الجماعة الى أماكن للخوة ظليلة أعدها القائمون على الحدائق لتلك الغاية ، وهنا يستمتع الرجال طوال النهار بصحبة نسائهم ، ويعودون الى بيوتهم فى وقت متأخر ، بنفس الطريقة التى جاءوا بها .

ق - ٦ - : ومن عادة سكان كن ساي ، متى ولد لهم طفل ، أن يدون والداه على الفور ، اليوم والساعة والدقيقة التى تمت فيها ولادته . ثم يسألان أحد المنجمين عن علامة أو هيئة السماء التى ولد تحتها الطفل ، فيعمدان كذلك الى كتابة اجابته بكل عناية . حتى اذا شب وترعرع وهم بأن يقوم بأية مفاخرة تجارية ، أو رحلة أو عقد زواج ، حملت تلك الوثيقة الى المنجم ، فاذا فحصها ووزن كل الظروف نطق ببعض كلمات تكهنية معينة ، يوليها هؤلاء الناس ، الذين يجدون الأحداث تبررها فى بعض الأحيان ، ثقة كبرى . ويلتقى المرء فى كل سوق بأعداد كبيرة من هؤلاء



المنجمين أو بعبارة أخرى السحرة ، ولا يعقد أى زواج حتى يصدر فيه رأى من أحد أفراد تلك المهنة \*

ومن عاداتهم أيضا ، عند وفاة أية شخصية كبيرة وغنية ، مراعاة المراسم التالية : فان أقارب المتوفى ، أناثا وذكرانا يرتدون ثيابا خشنة ، ويرافقون جثمانه الى المكان المعد لاحتراقه \* ويصحب موكب الجنازة أثناء سيرها موسيقيون يعزفون على آلات موسيقية متنوعة ، وترتل الصلوات للأوثان بصوت مرتفع \* حتى اذا وصلوا الى الموضع المعهود القوا فى النار قطعاً كثيرة من الورق القطنى Catton Paper ، رسمت عليها بالألوان صور تمثل خدما ذكورا واناثا ، وخيولا وجمالاً ، وحريرا مشغولا بالذهب ، فضلا عن صور النقود الذهبية والفضية \* وهم يفعلون هذا نتيجة لاعتقادهم ، أن المتوفى سيملك فى العالم الآخر كل هذه اللوازم الضرورية لراحته ، فيكون له الخدم والحيوان فى حالتهم الطبيعية من لحم وعظام فضلا عن النقود والحراير \* وما ان تلتهم النار كومة الحريق وما عليها حتى تتعالى أصوات جميع الآلات الموسيقية فى وقت معا ، محدثة ضجيجا عاليا متواصلا مدة طويلة ، وهم يتخيلون أنهم بهذه المراسم يحملون أوثانهم على استقبال روح الرجل الذى حولت جثته الى رماد ، حتى يعاد خلقها فى العالم الآخر ، وتدخل ثانية الى مجال الحياة \*

ق - ٧ - : وتوجد بكل شارع من شوارع هذه المدينة مبان حجرية أو أبراج ، يستطيع السكان أن ينقلوا اليها أمتعتهم ابتغاء الأمن والسلامة ، فى حالة شوب حريق فى أى حى ، ( وهو شىء ليس بأية حال غير مألوف ، لأن معظم البيوت مبنية من الخشب ) \* وهناك لائحة تنظيمية أصدرها جلالة الخان الأعظم ، تقضى باقامة حرس مكون من عشرة خفراء ، فى مكان مسقوف ، فوق جميع القناطر الرئيسية ، وهم يتناوبون الخدمة ، فيعمل خمسة منهم نهسارا ويعمل

خمسة ليلا • وقد زودت كل غرفة من غرف الحرس هذه  
 بآلة خشبية مدوية فضلا عن آلة أخرى من المعدن ومعهما  
 ساعة مائية (Hovido Clepsydra) يتم بواسطتها معرفة  
 ساعات النهار والليل (٣٠) وما تكاد الساعة الأولى من الليل  
 تنقضى ، حتى يدق أحد الحراس دقة واحدة على الآلة  
 الخشبية ، وكذلك على الصنج المعدنى Becino فيعد ذلك  
 اعلانا لأهالى الشوارع المجاورة بأن الساعة هى الأولى • فإذا  
 انتهت الساعة الثانية ، صدرت دقتان ، وهكذا دواليك ، مع  
 زيادة عدد الدقات كلما تقدمت الساعات (٣١) • ولا يسمح  
 للحرس بالنوم ، وينبغى أن يظلوا دائما فى حالة انتباه •  
 وما تكاد الشمس فى الصباح تهم بالشروق ، حتى تدق دقة  
 واحدة ، كما حدث عند المساء ، وهكذا يتوالى الدق تصاعديا  
 من ساعة الى ساعة • ويمر بعض هؤلاء الحراس فى الشوارع  
 بشكل داورية ، لمراقبة اذا كان لدى أى شخص نور أو نار  
 متقدة بعد الساعة المحددة لاطفائهما • فان هم اكتشفوا  
 شيئا من هذا القبيل ، ألصقوا علامة على الباب، وفى الصباح  
 يؤخذ رب الدار الى الحكام ، فينزلون به العقاب ، ان لم  
 يتمكن من تبيان عذر مشروع لمخالفته • وان هم وجدوا  
 شخصا خارج الدور فى وقت غير مناسب، اعتقلوه وحبسوه ،  
 ثم حملوه فى الصباح الى نفس هذه المحكمة • وان هم لاحظوا  
 أثناء النهار أى شخص غير قادر عن عرج أو أية علة أخرى  
 على العمل ، وضعوه فى أحد المستشفيات ، التى يوجد منها  
 عديد بكل جزء من أجزاء المدينة ، مما أسسه الملوك الخوالى،  
 ويتلقى الهبات السخية • فان هو شفى أرغم على العمل  
 باحدى الحرف • وبمجرد أن تظهر النار وقد شبت باحدى  
 الدور ، فانهم يبادرون الى الانذار بقرع الآلة الخشبية  
 وعندئذ يهرع الحراس من جميع القناطر الواقعة داخل  
 دائرة معينة الى التجمع لاطفائها ، وكذا لانقاذ أمتعة التجار  
 وغيرهم ، بنقلها الى الأبراج الحجرية ، التى سبق ذكرها •

وقد تنقل البضائع أحيانا الى القوارب أيضا ، فتحمل الى الجزر الواقعة وسط البحيرة \* وحتى فى مثل هذه الاحوال لا يجرق السكان على مغادرة بيوتهم لو شبت النار اثناء الليل ، ولا يستطيع التواجد الا من تنقل بضائهم فعلا ، ومعهم الحراس الذين تجمعوا للمساعدة ، وعددهم يندر أن يقل عن مجموعة تتراوح بين ألف وألفين من الرجال \* وفى حالات اندلاع الشغب او الثورة بين المدنيين ، تصبح خدمات شرطة الحراسة هذه ضرورية أيضا ، ولكن بالاضافة الى هؤلاء ، يحتفظ جلالته فى المدينة وبالقرب منها بفريق ضخم من الجنود على قدم الاستعداد ، ما بين مشاة وراكبين ، وهو يقلد القيادة عليهم أكفأ ضباطه ممن يمكنه أن يضع فيهم أعظم الثقة ، وذلك بسبب فرط أهمية هذه الولاية ، وبخاصة عاصمتها الفاخرة ، التى تفوق فى عظمتها وثرانها كل مدينة أخرى فى العالم \* ومن أجل أغراض المسس الليلي ، تقام أكوام ترابية ، يبعد الواحد منها عن الآخر حوالى ميل ، قد اقيم على قممها اطار من خشب ، به أحد الألواح المدوية ، اذا دقه الحارس الواقف هناك بهراوة ، سمعت الضجة من بعد عظيم \* واذا لم تتخذ احتياطات من هذا القبيل فى حالات شوب النار ، تعرض نصف المدينة للفتاء ، كما ان فائدتها واضحة أيضا اذا شبت فتنة بين الناس ، وذلك لأنه متى أعطيت الاشارة ، يتقلد الحراس القائمون على القناطر المتعددة أسلحتهم ، وينطلقون الى البقعة التى تستدعى وجودهم \*

ق ٨ - : وعندما أخضع الخان الأعظم ولاية مانجى لطاعته ، وكانت حتى ذلك الحين مملكة واحدة ، رأى من المناسب تقسيمها الى تسعة أجزاء (٣٢) ، عين على كل منها ملكا أو نائب ملك ، يتولى وظيفة الحاكم الأعلى لذلك القسم ، ويقيم ميزان العدل بين الناس (٣٣) \* ويقدم هؤلاء تقريرا سنويا لندوبين ينوبون عن جلالته ، عن مقدار الايرادات

( الدخل ) ، وكذلك عن كل أمر آخر يدخل فى اختصاصهم .  
 تم انهم يغيرون كل ثلاث سنوات ، شأن جميع من عداهم من  
 الموظفين العموميين . ويسكن أحد هؤلاء نواب الملك التسعة  
 بمدينة كن ساي وبها يعقد باطله ويشمل سلطانه ما يربو  
 على مائة واربعين مدينة وبلدا ، وكلها الضخمة والفنية (١٤)  
 ولا يجوز ان يعجب احد لهذا العدد ، متى وضع فى اعتباره  
 انه فى ولاية مانجى باكملها لا يوجد اقل من اننى عشرة  
 مائة مدينة ، تضم عددا ضخما من السكان المجدين  
 الاثرياء (٣٥) . ويحفظ جلالته بكل منها حسب حجمها  
 وما عدا ذلك من ظروفها ، بحامية تألف فى بعض الأماكن  
 من ألف جندي ، وفى بعضها الآخر من عشرة آلاف ، او  
 عشرين ألفا ، حسبما يرتأى فى المدينة ومدى قوتها من حيث  
 سكانها .

وينبغى ألا يتبادر الى أذهاننا أن هؤلاء الجند هم جميعا  
 من التتار . اذ أنهم على العكس يأتلف معظمهم من اهالى  
 ولاية كاتاي . فاما التتار فهم على وجه الجملة فرسان راكبة ،  
 والراكبة لا يمكن أن تعمكر بالقرب من تلك المدن التى  
 تقوم بالأجزاء المنخفضة المستنقعية من الولاية ، ولكنها  
 تقيم فقط فى المواقع ذات الأرض الجافة المتماسكة ، حيث  
 يمكن تدريب هذا النوع من الجند تدريباً سليماً . فاما  
 المناطق المنخفضة ، فيرسل الامبراطور اليها الكاثائيانيين ،  
 كما يرسل من يبدى ميلا عسكريا من أبناء ولاية مانجى ،  
 اذ جرت عادته بأن يجرى اختيارا سنويا بين جميع رعاياه  
 لأحسن ذى أهلية لحمل السلاح ، فيلحقهم بالخدمة فى  
 حامياته العديدة ، التى يمكن اعتبارها جيوشا بالغة الكثرة .  
 وهو لا يستخدم الجند المختارة من ولاية مانجى للعمل  
 بمدنهم الأصلية ، التى بها ولدوا ، وانما هو بضد ذلك  
 يسيروهم الى مدن أخرى ، ربما كان بعدها رحلة عشرين يوما ،  
 حيث يظلون أربع أو خمس سنوات بلا انقطاع ، يسمح

لهم بعد انقضائها بالعودة الى مواطنهم ، ثم يرسل غيرهم للحلول محلهم \* وتنطبق هذه القاعدة على اهالى كاتاي أيضا \* ويخصص الشطر الأكبر من ايرادات المدن التى تدفع فى خزانة الخان الأعظم ، للانفاق على هذه الحاميات \* فاذا حدث أن كانت مدينة فى حالة عصيان ، ( وليس ذلك بالحدث النادر بين هؤلاء القوم ، حين يبلغ بهم السخط المفاجيء ، أو السكر الشديد فيعمدون الى قتل حكامهم ) ، أرسلت اليها على الفور مفرزة ( آلاى ) من حامية باحدى المدن المجاورة مع أوامر بتدمير المكان ، الذى ارتكبت فيه تلك الاعمال المتهورة ، وذلك لانه يكون من العمليات المرهقة تجريد جيش من ولاية أخرى قد يستغرق شهرين فى مسيرته ، ومن أجل هذه الأغراض ، تعول مدينة كن سائى على طول المدى حامية من ثلاثين ألف جندى ، كما أن أقل عدد ينزل بأى مكان لا يقل عن ألف جندى ( ٣٦ ) \*

ق - ٩ - : بقى علينا الآن أن نتحدث عن قصر بديع البنين ، كان فيما سلف مقرا لحكم الملك فقفور ، الذى أحاط أسلافه بالأسوار العالية قطعة أرض محيطها عشرة أميال وقسموها الى ثلاثة أجزاء \* فالمنطقة الواقعة فى الوسط يدخل اليها بواسطة بوابة عالية ، يقع على كل جانب منها صف أعمدة فاخر ، يقوم على شرفة ( تراس ) مسطحة ، قد دعمت سقوفها صفوف من أعمدة ، زخرفت بوفرة بأجمل زخارف اللازورد والذهب - على أن صف الأعمدة المقابل للمدخل ، فى الجانب الآخر من الفناء ، كان أفخم من الصفوف الأخرى ، حيث كان سقفه مزينا زينة غنية وأعمدته مذهبة وقد زينت الجدران من الداخل بتهاويل : ( تصاوير بالزينة والنقوش الملونة ) بديعة ، تمثل تواريخ من خلا من الملوك ( ٣٧ ) - وهنا ، كان الملك فقفور يعقد كل عام بلاطه ، فى أيام معينة ومكرسة لعبادة أوثانهم ، كما كان يدعو كبار نبلائه الى وليمة ومعهم كبار الحكام والأثرياء من أهالى

مدينة كن ساي • وربما اجتمع تحت أبهاء الأعمدة هذه فى وقت واحد عشرة آلاف شخص يجلسون الى الموائد جلوسا يناسب مقام كل منهم • وكانت هذه الاحتفالات تدوم عشرة ايام أو اثنى عشر ، وكانت الفخامة والترف اللذان يتجليان فى تلك المناسبة ، من الديباج والذهب والأحجار الكريمة ، يفوقان كل خيال ، وذلك لأن كل ضيف كان بدافع المباهاة ، يحاول أن يجلى من ألوان الترف والزينة كل ما تستطيع موارده السماح به •

وكان هناك خلف بهو الأعمدة • سالف الذكر ، أو مثيله المواجه للمدخل الأكبر ، جدار له ممر ، يفصل هذا الفناء الخارجى للقصر عن فناء داخلى ، كان يشكل ضربا من رواق معمد (Cloister) ضخيم ، صفوف أعمدته تحمل سقيفة معمدة Portico تحيط به وتؤدى الى أجنحة مختلفة لاقامة الملك والملكة • وقد زينت هذه العمدان بنفس الطريقة ، مثلها مثل الجدران أيضا • ومن هذا الرواق المعمد ، كنت تدخل الى ممر مغطى أو دهليز ، عرضه ست خطوات ، وهو من الطول بحيث يصل الى حافة البحيرة • وعلى جانبى هذا الدهليز مداخل متناظرة تؤدى الى عشرة أفنية ، جعلت بشكل أروقة أعمدة طويلة ، تحيط بها سقائفها المعمدة ، ولكل رواق أعمدة أو فناء خمسون جناحا ، لكل منها حديقته الخاصة ، وهى مسكن ألف شابة ، كان الملك يحتفظ بهن فى خدمته (٣٨) • وجرت عادته أن يخرج التماسا لبعض اللهو والتسلية على صفحة البحيرة ، مصحوبا بملكته أحيانا ، وبجماعة من هؤلاء النسوة فى أحيان أخرى ، فى ذهبيات مغطاة بالحريز ، ولزيارة معابد الأبداد (الأوثان) المقامة على شواطئها • فأما القسمان الآخران من سراى الحريم تلك فقد نسقا غياضا وبساتين ، وحياضا من الماء وحدائق جميلة زاخرة بأشجار الفاكهة ، وكذلك أيضا تحويطات

حاوية لجميع أنواع الحيوانات التى تتخذ هدفا للقنص ،  
كالظباء والغزلان والوعول والأرانب البرية والمنزلية .

وهنا كان الملك يسلى نفسه أيضا ، بصحبة فتياته ،  
بعضهن فى عربات وبعضهن على صهوات الخيول . ولم يحن  
يسمح لأى شخص ذكر بالوجود بين هذه الجماعات ، على ان  
هؤلاء البنات كن مدربات على فن السباق مع الكلاب ومطاردة  
الحيوانات التى أوردنا ذكرها . فاذا مسهن التعب من هذه  
الرياضة ، انسحبن الى البساتين القائمة على ضفاف البحيرة ،  
وهناك يتجردن من ثيابهن ويندفعن الى الماء فى عرى تام ،  
وهن يسبحن هنا وهناك بروح رياضية ، فيتجه بعضهن  
ناحية ويتجه البعض الآخر وجهة أخرى ، بينما يظل الملك  
مشاهدا للعرض كله . فاذا انتهى ذلك عدن الى القصر .  
وكان الملك يأمر أحيانا بتقديم طعامه اليه فى هذه الرياض ،  
حيث كانت أوراق الأشجار الباسقة تلقى ظلا ظليلا ، وهناك  
يقوم على خدمته هؤلاء الفتيات أنفسهن . وهكذا كان يضيع  
وقته فى استمتاعه بمفاتن نسائه الموهنة للقوى ، وهو فى  
جهل تام بكل ما يتصل بالشئون العسكرية ، وكانت عاقبة  
ذلك أن عاداته المنحلة وجبته مكنا الخان الأعظم من حرمانه  
من ممتلكاته الفاخرة وطرده من عرشه مصحوبا بالمهانة  
والعار كما أسلفنا اليك .

وقد روى لى كل هذه التفاصيل وأنا بتلك المدينة ،  
تاجر غنى من كن ساي ، علت به السن كثيرا فى ذلك الحين ،  
وكان خادما موضع ثقة الملك فقفور ، كما كان عليما بكل  
ظرف من ظروف حياته (٣٩) . ولمعرفته بالقصر فى حالته  
الأصلية ، فانه أبدى رغبة فى مصاحبتى لمشاهدته . ونظرا  
لأن القصر فى الوقت الحاضر هو مقر حكم نائب الملك للخان  
الأعظم ، فان صفوف الأعمدة ظلت على حالها الذى كانت  
عليه فيما سلف ، ولكن غرف الحريم أهملت حتى تخربت ،

ولم يبق منها ظاهرا للعيان الا أساساتها • ودب البلى بالمثل الى السور الذى كان يحيط ببستان القنص والحدائق • ولم يعد يوجد بها حيوان ولا شجر •

ق - ١٠ - : ويقع البحر على مسافة خمسة وعشرين ميلا من هذه المدينة فى اتجاه شمالى بشرق ، وتقع بالقرب من البحر بلدة تسمى جان بو ، توجد بها ميناء مفرطة الامتياز ترتادها جميع السفن التى تجلب البضائع من الهند (٤٠) • ويكون النهر الذى يمر أمام مدينة كن ساي هذه الميناء ، عند النقطة التى ينتهى فيها الى البحر • وتستخدم الزوارق بلا انقطاع فى حمل البضائع أعلى وأسفل النهر • والبضائع المعدة للتصدير تشحن فى السفن المتجهة الى مختلف أرجاء الهند وكاثاى •

ولما تصادف أن كان ماركو بولو بمدينة كن ساي فى الوقت الذى يجرى فيه كتابة التقرير السنوى الى مندوبى جلالته بمقدار الايرادات وعدد السكان ، فقد أتاحت له فرصة ملاحظة أن السكان سجلوا على أنهم مائة وستون « تومانا » من الأفران أو المواقد ، أعنى من العائلات المقيمة تحت سقف واحد ، ولما كان التومان « Toman » الواحد عشرة آلاف ، استتبع ذلك انه لابد أن المدينة بأكملها كانت تضم مليوناً وستمائة ألف عائلة (٤١) ، ولم يكن بين هذا الخضم الزاخر من الناس الا كنيسة واحدة للنصارى النسطوريين • ويطالب كل والد عائلة ، أو كل رب بيت ، بأن يضع على باب بيته مكتوباً ، يحتوى بدقة على اسم كل فرد فى عائلته ، فكذا كان أو أنشئ ، وكذا عدد ما يملك من خيل • فاذا مات شخص أو غادر المكان شطب اسمه ، واذا ولد مولود أضيف الى القائمة • وبهذه الوسائل يصبح كبار ضباط (أو موظفى) الولاية وحكام المدن على علم فى جميع الأوقات بعدد السكان بالضبط • وتراعى نفس التنظيمات بكل أرجاء ولاية كاثاى



وكذا مانجى (٤٢) \* وبالمثل ، يلزم جميع أصحاب الخانات  
والفنادق العامة بأن يكتبوا فى سجل أسماء من ينزلون  
عندهم بصفة مؤقتة ، محددين يوم وساعة نزولهم ورحيلهم ،  
حيث تسلم صورة من هذا البيان يوميا الى حكام ( مأمورى )  
الناحية الذين أسلفنا اليك أنهم يقيمون فى ساحات  
الأسواق \* وجرت العادة بولاية مانجى ، عند طبقة الأهالى  
الأصليين ، الذين لا يستطيعون اعالة عائلاتهم ، أن يبيعوا  
أطفالهم للأغنياء حتى يجدوا الطعام والتربية على وجه  
أفضل ، مما يتيح لهم املاقهم \*

## الفصل التاسع والستون

### عن إيرادات الخان الأعظم •

سنتحدث الآن عن الإيراد الذى يحصل عليه الخان الأعظم من مدينة كن ساي والأماكن الواقعة داخل دائرة اختصاصها، وهى التى تؤلف القسم (أ أو المملكة) التاسع من مانجى • ونقول ابتداءً أنه يجبى على الملح - وهو أشد المواد إنتاجاً - رسوماً سنوية مقدارها ثمانون توماناً من الذهب، وكل تومان يعادل ثمانين ألف ساجيو، كما أن كل ساجيو يعادل تماماً فلورينا فلورنسيا ذهبياً، وبذا يصل الدخل إلى ستة ملايين وأربعمائة ألف دوقة (١) •

ونجم هذا الانتاج الهائل عن قرب الولاية من البحر، وكثرة عدد البحيرات الملحة، أو المستنقعات، التى تتبلور فيها المياه أثناء حرارة الصيف، ومنها يستخرج مقدار من الملح، يكفى حاجة خمسة من الأقسام الأخرى بالولاية (٢) • وهنا تزرع وتصنع مقادير ضخمة من السكر (٣) • وهى تدفع شأن أنوع البقالة الأخرى ثلاثة وثلاث فى المائة ضرائب • وتجبى الضريبة نفسها على النبيذ، أو الشراب المخمر المصنوع من الأرز •

وبنفس هذه الشاكلة تدفع طبقات الصناع الاثنتا عشرة، التى تحدثنا عنها آنفاً، بأن لكل منها ألف دكانة، وكذلك التجار، ومن يستوردون البضائع إلى المدينة ابتداءً، عدا من يحملونها منها إلى المناطق الداخلية، أو من يصدرونها

بحرا ، رسما قدره  $\frac{31}{100}$  فى المائة ، على أن البضائع الواردة بحرا من الأقطار والأقاليم النائية كالهند مثلا تدفع عشرة فى المائة .

وهكذا بالمثل شأن جميع السلع المحلية بالبلاد ، كالماشية وما تنتج الأرض من خضر ، والحريير ، فانها تدفع مكسبا قدره العشر للملك . ونظرا لأن الحساب تم اجراؤه بحضرة ماركو بولو ، فقد أتاحت له فرصة الاطلاع على أن ايراد جلالته ، بفض النظر عن الدخل الناتج من الملح آنف الذكر ، بلغ فى السنة مبلغ مائتين وعشرة تومان ( حيث يبلغ كل تومان ثمانين ألف ساجيو من الذهب ) ، أو ستة عشر مليونا وثمانمائة ألف دوقية (٤) .

## الفصل السبعون

عن مدينة تابن زو \*

إذا أنت غادرت مدينة كن ساي ، ورحلت رحلة يوم واحد نحو الجنوب الشرقي ، مارا على الدوام ببيوت وفيلات وحدائق ذات بهجة ، يزرع بها كل أنواع الخضر بوفرة ، تصل الى مدينة تابن زو ، وهي مدينة بالغة السعة والجمال وتقع في دائرة اختصاص كن ساي (١) \* ويعبد السكان الأوثان ، ويستخدمون العملة الورقية ، ويحرقون جثث موتاهم ، كما أنهم رعايا للخان الأعظم ، ويحصلون على معاشهم بالتجارة والحرف اليدوية \* والآن ، وليس هذا المكان بحاجة الى أى مزيد من التفات خاص ، فسنتحول الى الحديث عن مدينة أوجويو \*

## الفصل الحادى والسبعون

### • عن مدينة أوجويو •

ومن تابن زو ، تصل متى رحلت لمدة ثلاثة أيام فى اتجاه الجنوب الشرقى الى مدينة أوجويو (١) ، فان زدت توغلا فى الاتجاه نفسه ، بمسيرة يومين ، مررت على مجموعة جملة ومتعاقبة من المدن والقلاع والأماكن الآهلة بالناس ، ويبلغ من شدة قرب احداها من الأخرى ، أن تبدو لعين الغريب كأنما هى مدينة واحدة ممددة • وكلها تابعة لسكن سائى • والناس هناك عبدة أوثنان ، كما أن القطر يقدم ضروريات الحياة بوفرة زاخرة • وهنا توجد أعواد خيزران أعظم ضخامة وطولا ، مما سبقت ملاحظته ، فمحيطها أربعة أشبار وارتفاعها خمس عشرة خطوة (٢) •

## الفصل الثانى والسبعون

عن مدن جن جوى وزن جيان  
وجييه زا •

لو تقدمت أماما مسيرة ثلاثة أيام فى نفس الاتجاه ،  
لبلغت مدينة جن جوى (١) ، فاذا لم تبرح تتقدم نحو الجنوب  
الشرقى ، لم تكف قط عن الالتقاء بمدن مملوءة بالسكان ،  
الذين يعملون فى أشغالهم والذين يزرعون الأرض •  
ولا توجد أغنام فى هذا الجزء من ولاية مانجى ولكن توجد  
ثيران وأبقار وجواميس وأعناز كثيرة ، كما يوجد من  
الخنازير عدد لا يحصى (٢) • وعند نهاية اليوم الرابع تصل  
الى مدينة زن جيان ، وهى مبنية على تل يقف منعزلا وسط  
مجرى النهر ، وهو يبدو - اذ ينقسم الى فرعين - كأنما  
يضمها بين ذراعيه • ويتخذ هذان المجرىان المائيان طريقين  
متضادين ، حيث يواصل أحدهما طريقه الى الجنوب الشرقى  
ويتجه الآخر الى الشمال الغربى (٣) • والمدن آنفة الذكر  
تقع هى أيضا تحت سلطان الخان الأعظم ، كما أنها تتبع  
كن ساي • ويعبد الناس الأصنام ويعيشون على التجارة •  
والبلاد زاخرة بالصيد الوفير ، ما بين بهيمة وطير • فاذا  
تقدمت أكثر مسيرة ثلاثة أيام وصلت الى مدينة جييه زا  
المترامية الفخمة ، وهى آخر مدينة تدخل فى زمام سلطة  
كن ساي الادارية (٤) • فاذا أنت غادرت هذه المدينة ، دخلت  
مملكة أو نيابة ملك أخرى تابعة لمانجى ، تسمى كون تشا •

## الفصل الثالث والسبعون

**عن الملكة أو نيابة الملكة في  
كون تشا ، وعاصمتها المسماة  
فوجيو .**

عند مغادرة آخر مدينة بمملكة أو نيابة مملكة كن ساي  
وهي المسماة جييه زا ، تدخل قرينتها كون تشا (١) ، التي  
قصبته ومدينتها الكبرى هي فوجيو (٢) . وفي مدى رحلة  
سنة أيام عبر هذا الاقليم ، باتجاه جنوبي بشرق ، فوق تلال  
وعلى امتداد وديان (٣) فانك لا تبرح تمر على بلدان وقرى ،  
تتوافر بها ضروريات الحياة ، كما أن هناك الكثير من حيوانات  
الصيد وبخاصة الطيور . والناس من الوثنيين ومن رعايا  
الخان الأعظم ، كما أنهم يشتغلون بالتجارة والصناعة .

وتوجد بهذه الاصقاع نمور ( ببور ) عظيمة الحجم  
والقوة . ويزرع بها الزنجبيل وأيضا يزرع بها (٤) الخلنجان  
بمقادير وفيرة ، فضلا عن عقاقير أخرى (٥) مقابل ما يعادل  
في القيمة غروتا بندقيا فضيا من العملة الصينية يمكنك  
الحصول على زنة ثمانين رطلا من الزنجبيل ، اذ ما أكثر  
ما تشيع زراعته هناك . وهناك أيضا نبات له جميع صفات  
الزعفران الحقيقي ، فله نفس الرائحة ونفس اللون ، ومع  
ذلك فهو ليس زعفران حقيقيا . وهو يجد من القوم تقديرا  
عظيما ، ولما كان عنصرا لا يخلو منه طبق من أطباقهم ، فان  
له ، بسبب ذلك ، سعرا مرتفعا (٦) .

وبسكان هذا الصقع من البلاد ولع شديد بأكل لحم  
البشر ، حتى ليعدونه أشهى من أى لحم آخر ، شريطة ألا

يكون سبب موت الشخص ، هو المرض ، وعندما يتقدمون  
 للمقتال ، يرخون شعرهم مرسلا على آذانهم ، ويصبغون  
 وجوههم بلون أزرق زاه \* ويتسلحون بالحراة والسيوف ،  
 ويزحفون سيرا على الأقدام جميعا فيما عدا قائدهم الذى  
 يمتطى حصانا \* وهم جنس بشرى بالغ الغاية فى التوحش ،  
 حتى لقد يحدث أنهم عندما يقتلون أعداءهم فى المعارك ،  
 يحرسون على شرب دمائهم ثم يعمدون بعد ذلك الى التهام  
 لحومهم واذا نترك هذا الموضوع ، فاننا سنتحدث الآن عن  
 مدينة كوى لن فو \*



## الفصل الرابع والسبعون

عن مدينة كوى لن فو •

... اذا تمت رحلة الأيام الستة ، ( الوارد ذكرها في الفصل السابق ) ، تبلغ مدينة كوى لن فو ، وهي مدينة عظيمة السعة ، بها ثلاث قناطر جميلة جدا ، يربو طول كل على مائة خطوة ، وعرضها ثمانى خطوات (١) • ونساء هذا المكان على جانب كبير من الجمال ، ويعشن فى حالة من اليسر المترف • وينتج هنا قدر كبير من الحرير الغفل ، كما أنه تصنع منسوجات حريرية مختلفة الأنواع • وتنسج أقمشة القطن بها أيضا ، من خيوط ملونة (٢) ، وهي تحمل لتباع الى كل أجزاء ولاية مانجى • ويشتغل الناس أوسع اشتغال بالتجارة ، ويصدرون مقادير من الزنجبيل والخلنجان • وقد أبلغت ، وان لم أر الحيوان رأى العين ، أنه يوجد بهذا المكان نوع من الدجاج المنزلى ، ليس له ريش ، اذ يغطى جلده شعر أسود ، يشابه فراء القطط (٣) • ولا مرأ أن شيئا كهذا يكون خارقا • فان تلك الدجاجة تبيض كغيرها من الدجان كما انها شهية لذيذة الطعم • ثم ان كثرة الببور تجعل السفر عبر البلاد محضوفا بالخطر ، ما لم يخرج فى الرحلة عدد من الناس مجتمعين •

## عن مدينة أون جوين \*

عند مغادرتك مدينة كوى لن فو ، ورحيلك ثلاثة أيام ،  
لا تبرح أثنائها تمر أمام بلدان ومعاقل ، يسكنها وثنيون ،  
وبها من الحرير مقادير موفورة ، ويصدرونه بمقادير  
ضخمة ، تبلغ مدينة أون جوين (١) \* ويشتهر هذا المكان  
بصناعة سكر عظيمة تقوم فيه ، ومنها يرسل الى مدينة  
كانبالو ليتزود به البلاط الامبراطورى \* وقبل وقوعها تحت  
سيطرة الخان الاعظم ، لم يكن الناس على دراية بصناعة سكر  
ممتاز النوع ، وكانوا يفلونه بطريقة بعيدة كل البعد عن  
الكمال ، بحيث انه متى برد ظل فى صورة عجينة بنية  
قاتمة (٢) ولكن تصادف أنه فى المدة التى انتقلت فيها  
هذه المدينة الى حكم جلالته ، أن كان بالبلاط بعض أشخاص  
من بابل (٣) ، حذقوا تلك الصناعة ، فلما أن أرسلوا الى  
المدينة تولوا تعليم الأهالى طريقة تكرير السكر بواسطة  
رماد بعض أنواع من الخشب (٤) \*

## الفصل السادس والسبعون

### عن مدينة كان جيو

بعد قطع خمسة عشر ميلا أخرى بنفس الاتجاه ، تبلغ مدينة كان جيو ، التى تتبع مملكة أو نيابة مملكة كون تشا ، وهى احدى الأقسام التسعة فى مانجى (١) \* ويرابط فى هذا المكان جيش جرار يتولى حماية البلاد ، ويكون دائما على استعداد للعمل ، فى حالة اقدام أية مدينة على اظهار أدنى بادرة عصيان \* ويمر فى وسطها نهر عرضه ميل واحد ، تمتد على ضفتيه من الجانبين عمائر متسعة ورشيقة \* وتشاهد أمام هذه العمائر أعداد كبيرة من السفن راسية وهى تحمل مقادير ضخمة من البضائع ، وبخاصة السكر ، الذى تصنع منه هنا أيضا مقادير ضخمة \* وتصل الى هذا الميناء سفن كثيرة من الهند ، قد شحنها بالبضائع التجارية ، الذين يحضرون معهم تشكيلات ثمينة من الجواهر والآلى ، التى يحصلون من بيعها على مكاسب عظيمة \* ويصب هذا النهر مياهه فى البحر ، غير بعيد من الميناء المسمى زائى تون \* والسفن القادمة من الهند ، تصعد فى النهر حتى تلك المدينة ، التى تمتلئ بكل أنواع الميرة والتمويث ، وبها حدائق بهيجة تنتج فواكه ممتازة \*

## الفصل السابع والسبعون

عن مدينة ورفا زائى تون ومدينة  
فن جوى \*

عند مغادرتك مدينة كان جيو وعبورك النهر بغية  
التقدم فى اتجاه جنوبى شرقى ، تسافر لمدة خمسة أيام عبر  
منطقة أهلة جيذا بالسكان ، بينما أنت تمر بمدن وقلاع  
ومساكن ضخمة ، مزودة بوفرة بجميع أنواع الأطعمة \*  
ويمر الطريق فوق التلال ، وعبر سهول ومن خلال غابات  
يوجد بها كثير من تلك الشجيرات ، التى يستخرج منها  
الكافور (١) \*

وتزخر البلاد أيضا بالقنائص والسكان وثنىون \* وهم  
من رعايا الخان الأعظم ، كما أنهم يقيمون فى زمام كان جيو \*  
وبعد مسيرة خمسة أيام تبلغ مدينة زائى تون الفخمة  
والجميلة ، التى لها مرفأ على ساحل البحر ، يشتهر برسو  
السفن ، المحملة بالبضائع ، التى توزع بعد ذلك بكل أرجاء  
ولاية مانجى (٢) \*

ومقادير الفلفل المصدرة هناك ، هى من بالغ الضخامة ،  
بحيث ان ما يحمل الى الاسكندرية ، لتزويد الأصقاع  
الغربية من العالم بما يلزمها من فلفل ، يعد قدرا تافها  
بالمقارنة ، ولعله لا يزيد عن واحد فى المائة \*

ومن المحال علينا نقل فكرة عن احتشاد التجار ، تراكم  
البضائع ، بهذه الميناء التى تعد واحدة من أعظم موانئ

العالم وأشدّها سعة ويسرا • ويحصل الخان الأعظم من هذا المكان على دخل ضخّم ، وذلك نظرا لأن على كل تاجر ان يدفع عشرة في المائة ضريبة على مقدار ما يستثمر من الاموال ، وهم يدفعون نولون السفن يواقع ثلاثين في المائة على البضائع الممتازة وأربعة وأربعين على القفل ، فاما خشب الصبر ، وخشب الصندل ، وغير ذلك من العقاقير ، فضلا عن السلع التجارية عامة ، فعليها أربعون في المائة ، بحيث انه عندما حسب التجار حسابهم ، وجدوا تكاليفهم ، بما في ذلك رسوم الجمارك والنقل ، ترتفع الى نصف قيمة البضاعة ، ومع هذا فان مكسبهم من النصف المتبقى لهم هو من الضخامة ، بحيث تراهم يميلون دوما الى العودة الى السوق نفسها محملين بمقادير أخرى من البضاعة •

والبلاد بهيجة جدا والقوم من الوثنيين ، ولديهم من لوازم الحياة الضرورية الكثير الوفور ، وهم قوم مسالمون ، كما انهم مغرمون براحة البال والتنعم بأنواع المتعة • ويصل الى هذه المدينة أشخاص كثيرون من داخل بلاد الهند بقصد تزيين أجسامهم بالوشم بالابر ( على الشاكلة التي سبق وصفها ) ، لأنها مشهورة بكثرة عدد فنانيها المهرة في هذا العمل (٣) •

والنهر الذي يجري قدام ميناء زائي تون كبير وسريع ، كما أنه فرع من النهر الذي يمر الى جوار مدينة كن ساي (٤) ، وعند المكان الذي ينفصل فيه عن المجرى الرئيسى ، تقوم مدينة تش جوى •

وليس لدينا مزيد من الملحوظات حول هذا المكان عدا أن الفناجين أو السلاطين والصحون المصنوعة من خزف البورسلين انما تصنع هناك (٥) وقد فسرت العملية بأنها تتم على النحو التالى : فانهم يجمعون نوعا معينا من الثرى ، من منجم ، ثم يكومونه كومة كبيرة ويتركونه معرضا للريح

والمطر والشمس ، مدة ثلاثين أو أربعين عاما ، لا تمتد إليه يد أثناءها . وبهذه الطريقة يصبح ناعما ولائقا وصالحا لأن تصنع منه الألوانى سالفه الذكر .

تم يطلّى بما يروونه مناسبا من ألوان ويحرق الفخار بعد ذلك بأفران وقمائن . وتبعاً لذلك فإن الأشخاص الذين يقومون بمشروع استخراج الثرى ، يجمعونه لأولادهم وأحفادهم وان مقادير كبيرة من ناتج تلك الصناعة لتباع بالمدينة كما انك تستطيع الحصول على ثمانية فناجين خزفية مقابل غروت بندقى واحد .

والآن ، اليك نيابة مملكة كون تشا ، احدى الأقسام التسعة بمانجى ، ومنها يحصل الخان الأعظم على ايراد وافر يكاد يعادل ايراده من كن ساي . فأما الأقسام الباقية الأخرى فلن نتعرض لها بحديث ، لأن ماركو بولو لم يزر بنفسه أية واحدة من مدنها ، كما فعل مع مدن كن ساي وكون تشا .

وينبغي أن يلحظ أن لغة عامة واحدة تسود بكل أرجاء ولاية مانجى ، كما تعمها طريقة كتابة مشتركة واحدة ، ومع هذا فإن هناك اختلافا فى اللهجات بمختلف أجزاء البلاد ، يماثل الاختلاف الواقع بين اللهجة الجنوبية والميلانية والفلورنسية ولهجات الولايات الايطالية الأخرى ، التى يمكن سكانها أن يتفاهموا فيما بينهم ، وان كان لكل منهم لغة حديثه الخاصة .

واذ لم يتمكن ماركو بولو حتى الآن من اتمام الموضوعات التى انتوى الكتابة عنها ، فانه سيختتم هذا الكتاب الثانى ، ويبدأ كتابا آخر يحمل أوصاف أقاليم بلاد الهند وولاياتها ، مقسما اياها الى الهند الكبرى ، والصغرى والوسطى ، التى زار منها أجزاء وهو يعمل فى خدمة الخان الأعظم ، الذى

أمره بالشخص إلى هناك في مناسبات مختلفة للعمل ، كما  
زارها فيما بعد ، مصحوبا بأبيه وعمه ، في رحلة عودتهم ،  
عندما قاموا بمرافقة الملكة الموجهة إلى الملك أرغون .  
وستتاح له فرصة رواية كثير من الظروف الخارقة التي  
شهدها بنفسه شخصيا بتلك الأقاليم ، ولكنه لن يفوته في  
الحين نفسه ملاحظة أحوال أخرى أبلغه نبأها أشخاص  
جديرون بالثقة ، أو أشير له إليها على الخريطة البحرية  
لسواحل الهند (٦) .





# هوامش الجزء الثانى



## ● هوامش الفصل الأول

(١) كان لقب كا آن Kaan هو اللقب الذي وجّهه جنجيز وبده وخليفته أو غداى ( أو كتاى ) الى التلقب به ، والذي تفسره القواميس كما يفسره نصنا هنا ، بعبارة خان الخانان أو أمير الأمراء .

(٢) الأرجح أنه كان الامبراطور الخامس وليس السادس . اذ يبدو أن مؤلفنا أدخل باطو فى تعداده للإباطرة . وكان أكبر أحفاد جنجيز سنا ، ولكنه تنازل عن حقه فى الحكم ايثارا مانكو ابن أخيه .

(٣) ان حكم قبلاى امبراطورا للصين ، لم يكن مفهوما أنه بدأ حتى عام ١٢٨٠ ، عندما تم فتح الولايات الجنوبية ، وأدلى من الأسرة القديمة وقضى عليها .

(٤) ان الحق فى وراثة الملك ( حسب أفكارنا المعاصرة ) كان ينبغي أن يكون محصورا فى أحد أبناء مانكو ، الذى كان اسم أكبرهم آسوتاي ، ولكن هذا الادعاء الوراثى كان يتعدل عند المقول حسب الظروف ، كما أن الملك المحتضر كان يعين على الجملة ، اسم فرد العائلة الذى كان يراه أكثر أفراد العائلة أهلية ، من ناحية سنه ومواهبه ، لحمل مقاليد الحكم أو بعبارة أدق « لقيادة الجيوش » ، وهو تعيين لم يكن بد من أن يخضع لموافقة أو رفض رؤساء القبائل ، الذين تنعقد منهم جمعية عظمى أو مجلس « دايت » ، تسمى كورولتاي Kurultai . وتبعاً لذلك فاننا نجد أنه بينما كانت وراثة العرش موضع نزاع الى حين بين قبلاى وأخيه الأصغر . فان أبناء مانكو ، بدلا من تأكيد حقوقهم الفعلية ، انضموا الى من ظهر فى النهاية أنه أضعف العمين .

(٥) يعنى بذلك منذ فترة توليه عرش امبراطورية الصين ، فى ١٢٨٠ أو بعبارة أدق ، عقب وصول مؤلفنا الى بلاطه ، اذ حدث فى ١٢٦٣ ، أنه خرج بشخصه لملاقاة أخيه ارتيجيوجا أو أرتجيجا

(٦) تعبر الترجمة اللاتينية عن علاقة القربى بين نايان وقبلاى بكلمة . باترويس Patruus وهى فى الخلاصات الايطالية Avo ( فى نسخة رومانوسينو باربا . tarba وهى كلمة تخبرنا القواميس أنها المصطلح فى اللومباردى الدال على العم « Zio » لكن لما كان أصغر منه بثلاثين أو أربعين سنة .) حينما ورد ذكره هنا ) فإنه يكاد يكون من المستحيل أن تكون

بينهما تلك الدرجة من القرابة ، كما يصبح من المعقول الظن بأن العبارة الأصلية لابد أنها تعرضت لسوء الفهم من المترجمين • وربما كان - مع قدر أكبر من المعقولية الظاهرية التي يمكن اساعتها - يدعى ابن أخ له ، على أن القرابة الواقعية كانت أبعد من هذا كثيرا اذ كان سلفهما المشترك هو والد جنجيز خان • وكان قبلاى حفيدا لذلك العاهل ، ونايان ابن حفيد بلكاتاي شقيقه • وبناء على هذا فانهما كانا أبناء عمومة من الدرجة الثانية متباعدين درجة واحدة ، حسب طريقة التعبير الانجليزية •

(٧) كانت الممتلكات التي ورثها هذا الأمير عن سلفه ، الأخ الرابع لجنجيز خان ، تقع ببلاد التتار الشرقية ، وكما كانت ممتلكات فايدو تشمل على الجملة المنطقة الواقعة غرب الصحراء الكبيرة وجبال آلتاي في اتجاه قشغر • وكان هؤلاء الرؤساء ملزمين ، بطبيعة الحال ، بتقديم ولائهم الاقطاعي للشخص الذي كان يعد رأس العائلة ، ولذا يقال عنهم انهم كانوا الأتباع الاقطاعيين لقبلاى •

(٨) انها بلاد التركستان ، أو الاقليم الذي تملكه القبائل التركية ، الذين أطلق عليهم اسم التتار هم وحدهم في الآونة الأخيرة •

(٩) ان استخدام جند من هذا الوصف ( المقابل لبستانيه السراي السلطانية التركية ) ، ليدل على الانحطاط الواضح فعلا الذي تطرق الى ذلك النظام القوى الذي مكن للتتار اخضاع جيرانهم المتدينين والمترفين ، ولكنه لم يكن محيص من أن يصبح مسترخيا قد ران عليه الخمول والانغماس في النعيم شأن الشعب المغزو سواء بسواء •

(١٠) ينبغي لنا أن نفهم أن المقصود بهذه الولايات الصين الشمالية والجنوبية ، اللتين يفصل بينهما نهر هوانج هو الكبير في الجانب الشرقي ، كما تفصلهما الحدود الجنوبية لشن سي في الجانب الغربي

(١١) لم يكن الأمر قاصرا على أن شطرا كبيرا من السكان، سيما سكان الصين الجنوبية ، كان شديد التعلق والولاء للعترة العريقة للملوكهم ، بل أيضا أنه كان يقيم بجميع الولايات الغربية ، متشيعون عديدون للفروع المتناقسة من أسرة قبلاى عيها ، وكلهم متلهف على انتهاز جميع الفرص لاثارة الفتن •

(١٢) ان هذه التفاصيل ، القوية الأرجحية في حد ذاتها ، لا يمكن ، في اعتقادي ، العثور عليها عند أى كاتب أصيل آخر • ولابد أن قبلاى اتبع سياسة الاحتفاظ بجنده التتارية منفصلة ومتميزة جهد الطاقة عن الصينية ، ولذلك ، فبدلا من انزالهم بالمدن الكبرى ، كانوا يعسكرون

على مسافة بضعة أميال منها ، وبذلك يحتفظ لهم بحالة مشابهة على الأقل لحياتهم الرعوية السابقة ، بينما تحيط بهم أسراهم وقطعانهم •

(١٣) ولم تجر العادة قبل ذلك أبدا باستخدام الفيلة بالصين ، لا في معترك القتال ولا مواطن الاستعراض ، ولكن لابد أنه ( في أثناء العمليات التي أتمها قبلاى وهو قائد في جيش أخيه ) بولاية يونان ، المتاخمة لآفا ، وفي أقطار أخرى تكثر بها هذه الحيوانات الكريمة ، أصبح ضريا تماما بالخدمات التي يمكن أن تؤديها هذه الحيوانات أداء نافعا ، كما أنه يتجلى في فصل تال ، أنه حدث قبل المدة التي نتحدث عنها بثلاث سنوات فقط ، أن قبلاى أخذ عددا من الفيلة من ملك مين أو آفا ( وهو الملك الذي هزمه قواده في ١٢٨٣ ) واستخدمها في جيوشه • وهذا التوافق بين الظروف شيء يجدر ألا تفوتنا ملاحظته •

(١٤) على أن تفاصيل المعركة ، كما وردت في النص ، لا تتفق تماما مع البيان الذي أورده ده جنى ، ولكن لا عجب في ذلك متي وضعنا في اعتبارنا ، كم يندر أن يتطابق وصفان لأية معركة كبيرة • وربما جاز لنا أن نقرر أنه يبدو أن ماركو بولو كان موجودا هناك •

(١٥) ان مثله هذا التظاهر بتجنب سفك الدم أثناء عملية ازهاق روح شخص ذي مكانة عالية وحرمانه من الحياة ، مسألة تلاحظ في كثير من الحالات ، ولعلها هي مرد استخدام وتر القوس في السرائ السلطانية التركية •

(١٦) ليس في الامكان في أية خريطة عصرية أو بيان معاصر عن بلاد التتار الشمالية تحقيق أسماء هذه القبائل ، التي لعلها توقفت منذ أمد طويل عن الاحتفاظ بنفس تسمياتها • ومما زاد الأمر عسرا ، التحريف القبيح للكلمات في الترجمات والاصدارات المختلفة •

(١٧) هذه هي أول مرة يتحدث فيها مؤلفنا عن اليهود ببلاد التتار أو الصين • فأما عن وجودهم بالصين ، في زمن مبكر ، فأمر لا مجال فيه للشك • فروايات الرحالة المسلمين في القرن التاسع ، تنبؤنا أنه في المذبحة التي حدثت بمدينة كانفو ، عندما فتحتها عنوة زعيم ثائر ، بعد حصار عنيد ، هلك كثير من أبناء تلك الملة •

## ● هوامش الفصل الثانى

(١) يستقيم هذا السلوك نحو معتنقى النظم الدينية العديدة ، تماما مع خلق قبلاى الذى كانت السياسة فيه هى الظاهرة الرئيسية • اذ كان هدفه أن تظل جميع طبقات رعاياه فى حالة مزاجية طيبة وبخاصة كل منكان العاصمة ومن يحيطون بالعرش والبلاط ، بامتاعهم بحرية انباع مناسكهم الدينية الخاصة من غير مضارة ، وباشباع غرور كل طائفة منهم باقتناعها بفكرة أنها تستأثر بحمايته الخاصة • وكانت كثير من أسـمى الوظائف فى الدولة ، المدنية منها والعسكرية ، فى أيدي المسلمين •

(٢) الواقع أنه لا من يعتنقون الاسلام يعدون محمدا الها ولا اليهود يعدون موسى ربا ، ولكن لا يجوز أن ينتظر من امبراطور ترى أن يدرك الفروق اللاهوتية بصورة بالغة الدقة •

(٣) هذه الكلمة ، التى يرجح أن النساخين جرفوها كثيرا ، لابد أن المقصود منها هو أحد الألقاب العديدة لبوذا أو فو ، الذى يشيع بين المغول ، وفى بلاد الهند أيضا ، تسميته باسم شاكيامونى ، كما يسمى فى سيام سومونا كودوم •

## ② هوامش الفصل الثالث

(١) من المحتمل أن قبلاى بتأسيسه لمجلس من هذا القبيل ، لم يكن الا متمشيا مع نظام الحكومة الصينية السابقة أو القديمة ، الذى كان يضع مختلف شئون الدولة ، تحت ادارة محاكم متميزة تسمى ( بو Pü ) كان يضاف فى أولها الى كل واحدة منها كلمة أخرى ، تعبر عن الطبيعة الخاصة للقسم أو الشعبة التابعة لها . يقول دو هالد : « كانت المحكمة الملكية الرابعة ، تسمى بنج بو ، أى محكمة الجيوش . وهى ميليشيا الامبراطورية كلها وما يلحق بها من ولايات ويخضع لهذه المحكمة ضباط الحرب العموميون والخصوصيون » . الخ . ( مج ٢ ص ٢٤ ) فان كان الملك رجل حرب ، يدين بامبراطورية الصين لسيفه ، فربما جاز فعلا أن نعد هي الأولى فى الأهمية ، وان كانت الآن أقل مرتبة من محاكم ثلاث أخرى .

(٢) انظر الهامشة (١) ص ١٦ حيث أدلينا ببيان عن هذه اللوحات أو البراءات ، التى تسمى تشى كواى « tchi-Kouei » طبقا للهجاء الفرنسى للكلمة .

(٣) الصورة الصينية التى تمثل أسدا ، شان السنجا « Singa » فى الميثولوجيا الهندوكية التى يبدو أنها نقلت عنها ، ذات شكل قبيح مشوه ، بعيد كل البعد عن شكل الحيوان الحقيقى ويحد القارىء صورة له فى كتاب استاوتون « Acc. of Macartis Embassy » ( مج ٢ ص ٣١١ ) كما أن الشكل ليس غريبا عن مجموعتنا الخزفية .

وسنتحين عما قليل فرصة لاطهار انه حيثما تحدث مؤلفنا عن الأسد بوصفه حيوانا حيا ، وهدفا لرياضة الصيد ، فينبغى أن يكون المقصود هو « الببر Tiger » .

(٤) لما كانت « ساجيو » البندقية معادلة لسدس أوقية ، فان هذه البراءات كانت تزن اذن عشرين أوقية ، كما تزن الأخريات نسبيا الى وزن يصل الى خمسين أوقية .

(٥) فى كثير من أجزاء الشرق ، تعد الشمسية أو المظلة ذات النصاب الطويل ، التى يحملها تابع من علامات رفعة الشأن ، بل انها تدل على السيادة والولاية متى كان لها لون معين ، ويعد دوهالد فى وصفه لمركب لسونج تو احدى الولايات أو نائب الملك فيها ، يعدد بين الشارات : « شمسية من الحرير الأصفر ذات ثلاث طبقات » .

(٦) يذكر دوهالد النسر بين الحليات الزخرفية الشعارية التى يرتديها كبار الضباط ، ولكن ربما كان المقصود بذلك هو السنتر ، وهو طائر يلقي تقديرا أكثر بوصفه أداة للرياضة الملكية .



## ● هوامش الفصل الرابع

(١) يقول ده جنى انه : « تزوج زوجات كثيرات ، تحمل خمس مذهب لقب الامبراطورة » ، ولكن الراجح أنه لم يكن يجتمع له فى وقت واحد ( مهما كثر عددهن ) ، أكثر من أربع ، كما أن شرعية العدد الأخير ، الذى لا يبدو أن النظم الصينية القديمة تقره ، ربما أوحى بها العرف الإسلامى ويذكر البروفيسور ماجالهايز ثلاث ملكات ينسبهن الى الامبراطور كانسيج هى ، كما أن قصر الامبراطور السابق كيين لونج كان يتألف ، بالمنزل ، من سيدة واحدة تحمل لقب الامبراطورة ، وملكيتين من الدرجة الثانية . وست من الدرجة الثالثة .

(٢) وطبقا لقوانين الصين ، كما ينبئنا دوهالد ، فإن أسن الأبناء ( أو ابن الزوجة العليا ) ، وإن كان له حق ادعاء الأفضلية ، إلا أن حقه فى وراثة العرش ليس غير قابل للإلغاء . وأنا لنجد بين أسلاف قبلاى ، كذلك ، فى الامبراطورية المغولية ، أمثلة للتجاوز عن الحق الوراثى واهماله ، كما أن أوغداى ( اقطاعى ) نفسه عينه أبوه خانا أعظم ، مؤثرا له على جاغتاي ، الابن الأكبر من هنا ينبغى أن يكون مفهوما أن مؤلفنا يريد أن يقول ، ان الابن الأول الذى يولد لأية واحدة من الامبراطورات الأربع كان يعتبر الوارث العتيد فرضا ، ولما كانت فى الواقع هى الحال فيما يتعلق بأكبر أبناء قبلاى ، الذى كان خلافته على العرش لو أنه عاش بعد أبيه ، أمرا لا شك فيه ، فإن المشاعر السائدة فى البلاط ربما أسى فهمها بطبيعة الحال ، فزعم أنها هى العرف المقرر فى الامبراطورية .

(٣) يبدو أن هذا العدد جسيم جدا ، ولكن لا يصح لنا أن نقبس الاسرافات الصادرة عن السلطان الهائل المطلق الذى لا يحده شيء ، بأى معيار لأفكارنا المعاصرة . فربما كان كل ما فى الأمر بالاضافة الى التابعات الانثويات والطواشية ، صغارهم وكبارهم - أن حرس شرف عسكرى كبير العدد ، ربما كان ملحقا ببلاط كل امبراطورة . ومع ذلك فإن طبعة البندقية المبكرة تذكر عددا أخفض كثيرا Ciascuna de queste « quattro donne » ويذكر العلامة مارتيني ، أنانا عديدات ، دون مرتبة السراى المحظيات ، يوجدن لخدمة القصر .

(٤) الاقليم الذى يدعى هنا أنجوت يسمى فى نسخ أخرى بأسماء أوريجياش ، وأوريجياث وأنجراس . وليس هناك شك فى أن المقصود به

هو بلاد شعب اغور أو ايغور أو يويغور ، الذين كانوا يمتلكون فى زمن جنجيز خان أقاليم تورغان وهامى أو كاميل ، وكانوا يعتبرون على الدوام متفوقين من حيث أشخاصهم ومزاياهم ، على جميع أمم بلاد التتار الأخرى .

(٥) ان كان المقصود بوزن الذهب ذاك القيراط المكون من أربع حبات ، فلا شك أن القيمة المقدرة للجمال كانت خفيفة جدا فى ذلك العصر والقطر ، وذلك لأن عشرين قيراطا من الذهب ، أى ثمانين حبة ، مقدرا بأربعة جنيهات استرلينية للأوقية ، لا ترقى الى أكثر من ثلاثة عشر شيلنا وأربعة بنسات . ولكن أغلب الاحتمال أن كلمات مؤلفنا تعبر عن بعض الأوزان الصينية ( هى التايل أو الميس فيما يحتمل ، وهو وضع يرفع التقدير الى حوالي ثمانية أو تسعة من الجنيهات الاسترلينية ) ، ولعل الاصطلاح الأجنبي ترجم خطأ إلى كاراتو . ( ويقول المترجم : ان هذا هو تقدير نسبي على أساس التقدير الشرقى المقوم بأربعة وعشرين قيراطا أى منتهى غاية الكمال ، وهى مسألة نسبية تنسب الى هذه الأربعة والعشرين ولا دخل للذهب ولا قيمته المادية فى هذا الموضوع مطلقا ) .

(٦) من هنا يتضح أن قبلاى وان تبني العبادة الصينية من استخدام الخصيان مرافقين أو حراسا لنسائه ( أنثياته ) ، فإنه رغم ذلك لم ينس طباعه الرجولية الأصلية ، بحيث يدنيهن من شخصه .

## ● هوامش الفصل الخامس

(١) على أن جوبل وده جنى يسميان هذا الأمير تشنجنكن وتشنكنز ، وربما كانت هذه هي الطريقة التي كان الصينيون ينطقون بها الاسم ، وهم يختمون كل أحاديث المقطع - في لغتهم اما بحرف علة أو حركات (vowel) واما بحرف أنفى (nazal) ، ولكن الاسم كما ورد في معظم ترجمات مؤلفنا أصبح كما هو واضح ، لأنه هو نفس اسم السلف الأكبر للأسرة ، كما أنه قيل نصا في الخلاصة البندقية المبكرة ما يلي :  
« Soprimo hebbe nome Chinchis Chan per amor de Chinchis ».

(٢) واضح ان الاسم المكتوب هنا تيمور وتيمور في نسخ أخرى ، هو الاسم التتري الشهير تيمور ، وان لم يحرز الفاتح العظيم المسمى بذلك الاسم قمة شهرته الا بعد انقضاء قرن من الزمان .

(٣) ويعدد ده جنى عشرة من أبنائه ولدوا له من خمس امبراطورات ، ويذكر أن ولايات شنسى وستشيويين والتبت يحكمها منجكولا ، الابن الثالث . ويلاحظ البروفيسور ماجالهايز عادة ارسال أمراء العائلة الملكية الى الولايات بلقب ملوك ، ولكن سلطتهم كانت في أثناء حكم كانج هي سلطة اسمية محضه .

## ٢١٤ هوامش الفصل السادس

(١) الذى جرى بصورة نسبية مع الامتداد الشاسع للامبراطورية بأكملها فى تلك المدة ، هو ان كائى أو الصين الشمالية ، سماها مؤلفنا ولاية ، وان كانت فيها عاصمة تلك الامبراطورية ومقر الحكم .

(٢) ان هذه الأبعاد ، حين تطبق على قصر وان كان لامبراطور للصين ، لتبدو لأول نظرة مبالغاً فيها ، ولكن الصعوبة الظاهرية انما تنشأ من الخطأ فى تطبيق أحد المصطلحات حيث سُمى بالقصر ، ذلك المكان الذى كان فى واقع الأمر تحويطة حول حديقة ملكية ومعسكر .

(٣) تشمل المساحة المخصصة للأجناد فى هذا المسطح ثمانية وعشرين ميلاً مربعاً . ولأن عددهم كان بطبيعة الحال عظيماً جداً ، ولأنهم كانوا فى الأغلب الأعم من الفرسان ، فان الثكنات أو الظلل اللازمة لايوائهم كان لابد أن تشغل متسعاً هائلاً من الأرض وفى الجزء الأول من القرن الماضى كانت الخيالة العسكرية فى مدينة بيكين وما حولها تقدر بثمانية آلاف . فعلى فرض أنها كانت تقارب ١١٢ ألفاً فى عهد قبلاى ، فان هذا التقدير لن يسمح الا بميل مربع واحد لكل أربعة آلاف فارس .

(٤) ولما كانت هذه التحويطة الثانية لا تحتوى مستودعات الأسلحة ( الترسانات ) ، الملكية فحسب ، وعددها ثمانى ، وهى اللازمة لكل نوع من أنواع المخازن العسكرية ، وانما كانت تشكل أيضاً حديقة للمزلاى ، فليس ثم أى عجب فى اتساعها . ومع هذا فليس من السهل التوفيق بين موقعها بالنسبة للمدينة وبين بعض الظروف المذكورة هنا ، على أنه ينبغى لنا أن نظن أن التحويطة الجوانية ( الوارد وصفها بعد ) ، التى كانت تحوى السراى الحقة ، كانت تقع صوب الجانب الشمالى لتلك الحديقة ، كما كانت فى الوقت نفسه مجاورة للسور الجنوبى للمدينة .

(٥) لاتزال عادة الاحتفاظ ببوابات خاصة ليستخدمها الامبراطور وحده فقط مرعية الى اليوم .

(٦) ينبغى أن يقصر اسم « السراى » على هذه التسوية الأخيرة ، وعندما نقرأ وصف « ميدان أصفهان » ، أو قصر الاسسكورىال بأفقيته الاثنين والعشرين ، فاننا لن نعد مساحة الميل المربع الواحد اتساعاً شاذاً لكى تشغله المباني المتنوعة اللازمة لمنشأة كمقر قبلاى وينبغى أن يلاحظ

فى الحين نفسه أن هناك اتفاقا عجيبا بين المقياس المذكور هنا وبين المقياس  
المخصص للقصر الحديث فى الأوصاف التى حصلنا عليها من الجزويت •  
( الآباء اليسوعيين ) •

(٧) من المشهور أن من عادة ملوك الشرق ، منذ أقدم العصور ، أن  
يهبوا خلعاً من الثياب لمن يريدون أن يخصصوه بالتكريم والاصطلاح الفارسى  
« الخلعة » يطبق فى الجملة على هذه الثياب ، التى تتألف فى الأجزاء  
الشمالية من آسيا من معاطف فراء ، وثياب من قماش أو حرير ، فى  
المناخات المعتدلة والدافئة وانا لنقرأ عن توزيع أعداد ضخمة منها فى  
مناسبات الانتصارات العظيمة ، أو توديع سفارات مهمة ، وربما كان هذا  
هو السر فى ضخامة خزائن الملابس أو المبانى الضرورية لما يسمى هذا  
ثياب الامبراطور النفيسة « Paramenti » ، التى قد تضم أيضا الشعائر  
والرموز الملكية التى تحمل فى مواكبتهم الفاخرة •

(٨) وسيتجلى فى اللوحات المصورة المصاحبة لبيانات السفارات  
المختلفة الى بكين ، أن أرضية السرايات وان كانت مرتفعة عن مستوى  
الأرض ، فانها تتألف من طابق واحد فقط وارتفاع السقف المزخرف انما هو  
ظاهرة عجيبة فى فن عمارة هؤلاء الناس •

(٩) تقول نسخة راموسيو ان ارتفاع الشرفة يبلغ « عشرة أشبار  
Dieci Palmi أى حوالى سبعة أقدام ( لأن الشبر تسع بوصات ) ، ولكن  
الارتفاع فى الخلاصات هو : ذراعان ونصف « doi brassa emezo » ، أى  
حوالى ضعف ذلك الارتفاع ، وذلك ما يتفق على أفضل وجه مع الأوصاف  
الحديثة • وتؤدى جميع بيانات المشرىين والرحالة الى إظهار أنه من حيث  
التشييد ، والمواد المستخدمة وأسلوب الزخرفة ، قد وجدت مشابهة تامة  
بين مبانى قبلاى ، كما وصفها مؤلفنا ، وبين مبانى كانج هى وكيين لونج ،  
فى القرنين السابع عشر والثامن عشر •

(١٠) ويضيف دو هالد : « ان طول هذه القاعة هو حوالى مائة وثلاثين  
قدماً ، كما أنها مربعة تقريبا • وكسوة الجدران مشكلة كلها نحانب  
مبرقة باللون الأخضر ومملوءة بالأفعوانات الذهبية : والأعمدة التى تدعم  
السقف من الداخل يتراوح محيطها من أسفل ما بين ستة وسبعة أقدام •  
وهى مكسوة بطبقة من عجينة ذات صباغ أحمر صقيل » • (مج ١ ص ١١٧) •

(١١) تغطى الأسقف دائما بالزليج ( القرميد ) المحروق ، وهو فى  
المبانى الرئيسية ذو صقال متزجج له لون زاه • فأما المستخدم منه فى  
القصور فى أيامنا هذه فهو مقصور على اللون الأصفر وحده ، غير أن هذا  
البروتوكول ربما لم يكن يستمسك به بدقة فى ظل أسرة يوان • «والجميع

مغشى بزليج مزيج (Glazed tiles) بلون أصفر بالغ الجمال ، بحيث لا يبدو من بعيد تقريبا أقل بريقا ، مما لو كان مذهبا » . انظر دوهاد ميج أ ص ١١٦ .

(١٢) يستخدم راموسيو لفظة Vitreate التي ترجمناها Glazing أى تركيب الزجاج مع أنه ليس هناك سبب يدعو إلى الظن بأن الزجاج كان يستخدم فى النوافذ ببلاد الصين فى ذلك الزمن . وربما كان المعنى هو أن المادة الصافية المستخدمة زجاجا ( وربما كانت هى الطلق أو صفائح المحار ) كانت تعالج برقة ومهارة بالغة (così ben fatte e così sottilmente) بحيث تصبح لها شفافية البلور . ويقول ده جنى : « تزود نوافذ المنازل بالمحار الرقيق والشفاف الى حد ما ، أو بالورق » . ( ميج ٢ ص ١٧٨ ) ويذكر استونتون أن قمرات بعض اليخوت أو الصنادل كان لها أنواع من الزجاج ولكن من المحتمل أنها كانت صناعة أوروبية .

(١٣) على أنه فى السراى العصرية ، توصف المباني المعدة لهذا الغرض ( وان كان ذلك وصفاً غير صحيح ) بأنها محيطة بالفناء ، أمام قاعة الاستقبال الكبرى ، على أنه ينبغي ألا ندهش لأى اختلاف أو تغيير يتعلق بترتيب هذه المباني ، عندما نعلم أن القصر بأكمله دمرته النيران عدة مرات .

(١٤) وفى شرق الفناء نفسه يقوم قصر آخر ، يسكنه ولى العهد . عندما ينادى بأحد الأمراء ولىا للعهد . انظر ده ليل De Lisle, Descr. de la ville de Péking ص ١٦ . ولن يغيب عن القارىء أن مؤلفنا لاحظ فى صفحة سابقة وفاة ذلك الأمير المبكرة ( انظر ص.ص 166/1/5 ) ، ومع هذا ، فهو يذكره هنا على أنه انسان حى يرزق . وواضح أنه ينبغي أن ننسب ذلك الى الظروف التى أحاطت بوضع الكتاب حيث تكون ، لا من الذاكرة فحسب ، بل من مذكرات أو ملحوظات كتبت فى فترات مختلفة ، ربما كان من أقدمها وصف للمقصور . زد على هذا أن قبلاى ، الذى تروى حادثة وفاته فى ثنايا رحلة العودة ، يدور الحديث حوله فى العمل من أوله لآخره ، على أنه الامبراطور الذى يتولى الحكم فعلا .

(١٥) لا يزال هذا التل ( أو الجبيل أو الجبلية ) الصناعى موجودا الى وقتنا هذا ولا يزال يحتفظ باسمه الأصلى كنج شان أو الجبل الأخضر . ولكن يبدو من الروايات العصرية أن أربعة جبال أخرى من حجم أصغر أضيفت اليه منذ ذلك التاريخ .

## ● هوامش الفصل السابع

(١) ان اسنم هذه المدينة الذائعة الصيت ، الذى يكتبه مؤلفنا كامبالو ( بدلا من كانبالو ، حيث تحل النون محل الميم فى آخر أحد المقاطع ، فى الايطالية القديمة ، فضلا عن طريقة الهجاء البرتغالية ) ، يكتبه العرب والفرس خان باليك و خان باليغ ، ومعناها فى احدى لهجات بلاد التتار « مدينة الخان أو العاهل » وليست هذه اللاحقة الاضافية بالنادرة ، لأننا نجدها فى كاباليغ وبش باليغ ، وهما مدينتان بالتركيستان ، وفى أوردو باليغ ، أحد أسماء مدينة قراقورم ، وفى موباليغ ، أو « مدينة الخراب » وهو اسنم أطلق على مدينة باميان ، بأرض بلخ ، بمناسبة تدميرها على يد جنجيز خان .

وفيما يتعلق بالموقع الخاص الذى تحتله المدينة ، فانه يقال منه على لسان راموننتيو انه : « *Sopra ungran fiume* » ولكن الوارد فى النص اللاتينى « *Juxta magnum fluvium* » وهو أمر يسمح بمدى أرحب . وينبغى أن يكون المفهوم من هذا النهر هو بى هو ، وهو نهر صالح للملاحة للسفن المحملة حتى مدينة تونج تشيو على مبعده اثنى عشر ميلا من العاصمة ، ولكنه يبدو فى الجزء الأعلى من مجراه كأنما يضيق أكثر . ومع ذلك فمصرفنا بالمنطقة المحيطة بكين مع رفقة قاصرة الى أقصى حد ، وكذلك لا تتفق الخرائط المختلفة فيما يتعلق بعدد أو مجرى الجدول ، التى تبدو ، فى نزولها من جبال بلاد التتار المجاورة ، كأنما تتحد عند تونج تشيو أو فى أعلاها . وينبغى ان يلاحظ أن مدينة ين كنج القديمة أو خان باليغ ، ربما كانت تقوم أقرب الى بى هو ببضعة أميال من موقع مدينة بكين العصرية .

(٢) لعل هذا يبدو كأنما ينطوى ضمنا على نقل العاصمة الى ضفة أخرى من نهر بى هو ، أو النهر الأكبر الوارد ذكره توا ، ولكن ربما ذهبنا الى أن الأرجح هو أن مؤلفنا لا يتحدث هنا الا عن النهر ، الذى يمر فى الوقت الحاضر بين المدينتين المسمايتين بالصينية والتتارية ، ( وهو مجرى تمر عليه قنطرة جميلة تخدم المواصلات مهما يبلغ من تفاهة شأنه . ويميز مارتين فى *Atlas Sinensis* ( الأطلس الصينى ) الذى وضعه نهرين يسهمان فى تزويد المدينة بالماء .

(٣) ان معنى اسم تاي دو ( الذى يكتب بطريقة أصح تاتو ) هو « البلاط العظيم » ، وكان هو التسمية الصينية للمدينة الجديدة ، التى

واصل التتار والغربيون بوجه عام تسميتها باسم خان باليغ ، وربما خاמרنا الشك في هل كانت مدينة ين كنج ، التي هجرها قبلاى بدافع الخرافات أو السياسة تشغل موقع أختها التي تسمى الآن المدينة القديمة أو الصينية ، التي لا يفصلها عن الأخرى الا نهر صغير ، والا سور المدينة الثانية بيد أن هناك أدلة من نوع ايجابي تشهد بأنهما شيء واحد ، وذلك لأن يونج لو مجدد بناء مدينة يكن ، بعد أن دمرتها الحروب السابقة أو كادت ، بنى داخل حدود ما كان يسمى بالمثل في زمانه المدينة القديمة ، والتي لا يمكن أن تكون الا تلك التي أخلاها قبلاى من سكانها قبل ذلك بقرن ونصف ، ( بنى ) معبدين عجيبين ، وهب أولهما « للسماء » والاخر « للأرض » والمعبدان كلاهما مذكوران في لوحات دوهالد وده ليل ، ويوجدان بالمدينة الصينية في الوقت الحاضر ، وجميع أعمال هذا الملك العظيم ، وهو ثالث ملك في الأسرة التي طردت المغول ، كما أنه كان المتربع على العرش في أيام سفارة الشاه رخ ، بدأت في عام ١٤٠٦ - تقريبا وتمت حوالى ١٤٢١ .

(٤) وأنا لنجد العبارة التالية في « Mémoires concernant les Chinois » عن امتداد أسوارها بمختلف العصور « في عهد أسرة كن ( وهى الأسرة التي انتزع منها جنجيزخان الملك ) وكانت عاصمة لهم أيضا ، كان محيطها خمسة وسبعين ( ميلا صينيا ) أى سبعة فراسخ ونصف . ولم تعطها أسرة يوان ، الذين جعلوها أولا عاصمة المنطقة المحيطة بها ، ثم جعلوها العاصمة الكبرى ، الا محيطا قدره ستة فراسخ ، وأحد عشر بابا ، عندما أصلحوا خرائطها فى ١٢٧٤ . وهدم مؤسس أسرة منج اثنين من هذه الأبواب يقعان جهة الجنوب بقصد تخريبه ، كما أن يونج لو الذى أعاد بناء الأسوار فى ١٤٠٩ ، لم يعطها سوى محيط قدره أربعة فراسخ ، وذلك هو مقياسها فى أيامنا هذه ، نظرا لأنها بقيت على حالها . أما بالدمية للمدينة الصينية ، فان تشن تسونج ، أحد ملوك الأسرة السابقة ، هو الذى أمر بتحويلها بسور من الثرى عام ١٥٢٤ . ولم يتم لها الا فى عام ١٥٦٤ ، شرف الادماج فى المدينة القديمة ، فضلا عن شرف الحصول على أسوار وأبواب من الطوب » . مج ٢ ص ٥٥٣ .

(٥) ان الشكل المربع كثير الانتشار بين مدن الصين وبلدانها ، كلما سمحت بذلك طبيعة الأرض ومسرى المياه . والراجع أن الأصل فى هذا هو مبادئ فن تخطيط المعسكرات ، وأبعاد المدينة التتارية الحالية هى ، فيما يروى ده ليل ، أحد عشر ميلا صينيا فى الطول الممتد من الشمال الى الجنوب ، وتسعة أميال عرضا من الشرق الى الغرب أى بمساحة مقدارها أربعون « ليا » ( ميلا صينيا ) أو خمسة عشر ميلا فى الاتساع كله . وهو يضيف الى ذلك أنه فى زمن قبلاى كان الاتساع ستين ليا أى اثنين



وعشرين ميلا ونصف ، وهو مقدار لا يختلف اختلافا جوهريا عن المقاييس الواردة في النص . ومن ثم يبدو أنه متى جدد يونج لو بناء أسوار المدينة المدمرة ، فإنه ضيق حدودها ، وهو أمر كان من الطبيعي أن يفعله .

(٦) عندما يقال ان أسوار المدينة كانت من الثرى (di terra) فاني أميل الى الظن أن المقصود هو الطوب المحزوق « terra cotta » وذلك لأن هذا الطوب كان شائع الاستخدام عند الصينيين منذ أقدم العصور ، وكما أنه استخدم في تشييد السور العظيم . وربما كان من الصائب ملاحظة أن التسميات المميزة هنا بين المدينتين التترية والصينية لم تحدث في عهد أسرة يوان أي الأسرة المغولية ولا هي حدثت حتى يوم تم اخضاع لامبراطورية على يد أسرة تسنج أي الجنس الحلي من تثار المانشو التي خلفت سرمة منج أو الأسرة المالكة الصينية ، وطردت السكان الوطنيين مما يسمى عادة باسم المدينة الجديدة أو الشمالية ، الى المدينة القديمة أو الجنوبية ، ليخلوا مكانا لأنباعهم من التثار .

(٧) هذه المزاغل أي المنفرجات بأعلى الأسوار Merli لابد أنها كانت تبني من مواد صلبة ( اما أن تكون هي الطوب الأبيض أو الحجر ) ، وهو أمر يبدو كأنها لا يستقيم مع الافتراض بوجود استحكام طيني أو ترابي ، ما لم تكن هناك على الأقل تكسية من المباني . ويقول استاونتون: كانت فتحات الاستحكام عميقة التسنين ولكن لم تكن به فتحات Embrazures منتظمة . مج ٢ ص ١١٦ .

(٨) تتضح استقامة شوارع بكين من خريطة ده ليل ، كما تؤيدها بيانات جميع من زاروا تلك المدينة .

(٩) يقول استاونتون : « توجد أمام معظم البيوت القائمة في هذا الشارع الرئيسي ، دكاكين مطلية بالألوان ومذهبة ومزخرفة مثل دكاكين تونج تشوفو ، ولكنها ذات طراز أفخم . وكانت تمتد فوق بعضها شرفات عريضة مغطاة بالشجيرات والأزهار . وكانت تعرض للبيع خسائر الدكاكين ، فضلا عن داخلها ، أضرب عديدة من البضائع » مج ٢ ص ١١٨ .

(١٠) لا تزال عادة إبتناء مستودعات للأسلحة فوق البوابات موجودة حتى يومنا هذا .

(١١) يبدو أن هذا هو العدد الذي يشكل عادة حرس البوابات المهمة بتلك البلاد . يقول جون بل : « بعد أن سافرنا مسافة تقارب ستة أميال أو ثمانية ، بلغنا سور الصين الشهير . فدخلنا بوابة ضخمة ، تغلق كل ليلة ، ويقوم على حراستها دائما ألف رجل » . مج ١ ص ٣٢٦ .

(١٢) يقول دوهالد : « يوجد بكل مدينة أجراس ضخمة ، أو طبل ذات ضخامة جبارة تساعد في تحديد نوبات سهر أو عسس الليل . وكل نوبة عسس ساعتان ، تبدأ الأولى منهما حوالي الساعة الثامنة مساء . وفي أثناء ساعتى هذه النوبة الأولى من الشهر ، يدقون بين حين وآخر دقة واحدة أما على الجرس أو على الطبل . فاذا انتهت النوبة الأولى وابتدأت النوبة الثانية ، جعلوا الدقات طوال النوبة دقتين : ثم يعودون فيدقون ثلاثا في النوبة الثالثة ، وهكذا دواليك بالنسبة لجميع الأخرى » ( مج ٢ ص ٥٠ ) . وهذه نوبة العسس الثالثة أو نوبة منتصف الليل ، هي التي يشير إليها مؤلفنا ، عندما تدق دقة ثلاثية . ويتحدث استاودنزون أيضا : « عن المبنى الكبير ذي الارتفاع الشاهق ، الذي يحوى جرسا ذا حجم جبار وشكل اسطوانى اذا دق من الخارج بدقماقة ( مدقة ) خشبية أصدر صوتا يسمع بوضوح بكل أرجاء العاصمة » . ( مج ٢ ص ١٢٢ ) .

(١٣) والشوارع الضيقة التي توصل الى الشوارع الكبيرة ، لها أبواب من الخشب مزودة بشعرية Lattice بحيث لا تمنع رؤية من يمشى بها . وتتولى هيئات الحراس اغلاق الأبواب ذات الشعرية ولا يسمحون بفتحها الا نادرا ، للأشخاص المعروفين ، الذين يحملون مصباحا بأيديهم ، والذين يخرجون لسبب وجيه ، مثل استدعاء طبيب . انظر دوهالد مج ١ ص ١١٥ .

(١٤) يلاحظ تريجولت عرضا هذه المؤسسات المعدة لاستضافة ونزول الأشخاص الوافدين من أقطار بعيدة (Hist. du Roy. de la Chine) حيث يتحدث عن « سرائى الأجانب بمدينة بكين . على أنه يبدو أن تلك الفنادق توجد داخل أسوار المدينة الصينية لا في الضواحي .

(١٥) من الواضح أن هناك خطأ في هذه النقطة في نسخة راموسيو ، من حيث ان جميع المصادر العصرية الثقة في شأن العاهرات ، لا تتفق فحسب في أنهن يستبعدن من المدينة ويقصرن على الإقامة في الضواحي ، بل ان ذلك مذكور بالنص في جميع الترجمات الأخرى لمؤلفنا . يظهر أن هذا التنظيم الذى وضعت الشرطة كان معمولا به بالمثل في عهد الاسر المالكة التالية . يقول دوهالد : « هناك بغايا ومومسات ببلاد الصين كما كان الشأن فى سابق الأوان ، ولكن لما كان هذا النوع من الأشخاص فى بعض الأحيان سببا فى بعض القلاقل ، فليس مباحا لهن الإقامة فى قلب المدينة : اذ يجب أن يكون مقامهن خارج أسوارها ، هذا الى أنهن لا يمكنهن أن يمتلكن بيوتا خاصة بهن ، فهن يقمن معا كمجموعة ، وكثيرا ما يعشن تحت رئاسة رجل ، يكون مسئولا عن أى اضطراب اذا حدث ، وفوق هذا فان هؤلاء النساء الماجنات لسن الا أشخاصا لا يسمح بوجودهن

الا بطريق الاغضاء عنهن كما أنهن يعتبرن مردولات » ( مج ٢ ص ٥١ ) •  
ما فيما يتعلق بأعدادهن ، فى عهد الامبراطور كانج هى ، فان الارساليات  
الدينية لا تزودنا بأية معلومات •

( ونقرأ هنا فى النص اللاتينى المبكر لماركو بولو ، الذى طبعه  
« الجمعية الجغرافية الباريسية » ما نصه :

Et istae mulieres quae fallunt pro pecunia sunt bere viginti milliai et  
omnes habent satisfacee, propter multam gentem quae illuc con-  
currit de mercatoribus et allis forensibus.

(١٦) انهم لا يسمحون لأحد بالمشى ليلا ، ويستجوبون حتى من قد  
يرسلهم الامبراطور فى بعض الشئون ، فاذا أدى جوابهم الى أقل شك  
اعتقلوا بمقر الحرس ٠٠٠ ويفضل هذا النظام الجميل ، الذى ينفذ بأقصى  
دقة ، يسود السلام والسكون والأمن ، أرجاء المدينة كلها • ( دوهاليد  
مج ١ ص ١١٥ ) •

(١٧) لقد لاحظنا أننا أن كهان بوذا ، الذين يسمون باللامات ببلاد  
التبت ، يدعوهم العرب والفرس ياكشى ، ومن المعلوم أن الامتناع عن  
سبك الدم ، وبخاصة عن الذبائح الدموية ، هو السبب المميزة لتلك  
الطائفة ، التى يقول البراهمة : ان تلاميذه يرون أن الفضيلة والدين  
يتوقفان عليها •

## ● هوامش الفصل الثامن

(١) كان اسم هذا الوزير العربي القوي والمنحرف ، الذي يسميه الصينيون أماما ، وهو بلا شك أحمد ، وهو اشتهرت عند مؤرخينا الأتراك .

(٢) ان المصطلح الذي استخدمه راموسيو هو بايلو Bailo وهو لقب كان يطلق بصفة خاصة على الشخص الذي كان يمثل جمهورية البندقية بمدينة القسطنطينية لا بوصفه سفيرا ( عندما تم التعيين لأول مرة ) وإنما كملك شريك للامبراطور اللاتيني : وليس من السهل العثور على مصطلح يعادل هذا في لغتنا ، كما ان اللقب الصيني « كولاو Calao » لا يحمل الفكرة التي يراد اعطاؤها عن سلطاته التي لا حد لها . وربما كان العرب يسمونه حقا بالخليفة وهي كلمة معناها البديل أو الوكيل أو النائب .

(٣) لقي منبته في ١٢٨١ ، كما أن عمله كوزير المالية لاحظه ده جني في : (Hist. des Mongols de la Chine) في ١٢٦٢ ، وهو تاريخ يتضمن فسحة من الزمن طولها تسعة عشر عاما . ولكنه ربما ظل في العمل مدة ما قبل أن تصم ابتزازاته أموال الناس اسمه بالشنعة .

(٤) اعتقد أن هذه لم تكن امرات (قيادات) عسكرية ، وان توزيع الاختصاص المدني بالبلاد ، كان يقوم على أسس تشابه أسس الجيش . وفي الوقت الحاضر يعد كل مواطن صيني عاشر مستولا ( بقدر ما يتعلق الأمر بالسلام العام ) . عن تسعة من جيرانه . وذلك كان بالمبدأ المبدأ الذي تقوم عليه دوائر العشرة ودوائر المائة الادارية لدينا ببلاد الانجليز . ومن الجلي أن هؤلاء المتآمرين كانوا مدنيين ، لا جندا عسكريين .

(٥) وسيتجلى ، طبقا للمصادر الصينية ، أن فرصة غياب الامبراطور الدورية انتهرها المتآمرون بالفعل .

(٦) ليس الواقع على وجه الدقة أن الصينيين مجردون من اللحم ، على انهم شأن سكان الملايو ، لهم لحم خفيفة ، كما انهم لا يشجعون اطلاق اللحم ، الا في حالات خاصة .

(٧) يقول البروفسور جون بل : « يبالغ المؤرخون الصينيون في أخطاء هوبيليه ( قبلاي ) ، ولا يكادون يتحدثون عن فضائله . وهم يكثرون من الانحاء عليه باللائمة واتهامه بالعناد ، كما يلومونه على الخرافات

وتعازيم اللامات السحرية ، ويشكون من أنه فرط في اغداق السلطة في  
يد رجال من بلاد الغرب » . انظر . Obscrv. Chronol. ص ٢٠١ .

(٨) لوحظت الغيرة التي يراقب بها هذا الأمير سلوك الوزير في  
عدة مرات متكررة .

(٩) لابد أن الوزير ، وهو في طريقه من المدينة القديمة لقي هذا  
التحدى عند البوابة الجنوبية ، من الضابط قائد الحرس وذلك بينما أن  
الأمير ، لو انه وصل كما ادعوا عليه ، ما كان يدخل الا من البوابة الشمالية  
أو الغربية ، وهما اللتان تفتحان في اتجاه القصور الريفية . واذن  
فينبغي أن يفهم أن كلمات الضابط انما تعبر فقط عن دهشته من أنه  
لم يتلقى تقريراً فوراً من الضابط المختص ، وليس على انها تتضمن  
مناقضة مباشرة لما حدث ، ويتبين مما تلا ذلك أن ذلك الضابط ومعه  
اهاما قدما على زعم أن الأمير موجود بالقصر فعلا .

(١٠) لم يفتح قبلاى عينيه على سلوك أهاما الا بعد اعدامه ، فأمر  
بانتهاش جثة الوزير أهاما من قبره وتمزيقها ودفع كل ممتلكاته  
للناهبين » ( ص ١٧٤ ) والطريقة التي يذكر مؤلفنا انه تم التصرف بها في  
الثروة ، تتوافق مع كل من خلق قبلاى نفسه ومع ما جرت به العادة  
بصورة عامة في البلاد أكثر منها مع تسليمها ليد النهب والناهبين .

(١١) ليس من المحتمل أن تلاحظ الحوليات الصينية أوامر منع من  
هذا القبيل ، مما يتعلق بالأجانب فقط ، وليس لدينا مرجع آخر عدا  
مؤلفنا أشار الى هذا الاذلال الذي حاق بالمسلمين . اذ حدث بعد ذلك أن  
كثيرا منهم كانوا يعملون في الرتب العليا للجيش .

## ❶ هوامش الفصل التاسع

(١) لا أستطيع تعقب هذه الكلمة ( ولعل تحريفا كثيرا ألم بها )  
في أى معجم مغولى كما لا أجرؤ على الاعتماد على المتاهات المريبة للهجاء  
الصينى ، الذى يكون المرشد فيه هو الصوت وحده . ( واللفظ الوارد  
في النسخة اللاتينية المبكرة هو : « Quiesitani » ) .

## ● هوامش الفصل العاشر

(١) لكن الحفلات الصينية العصرية لا تظهر فيها النساء مهما تكن طبقتهم ، على أنه حدث أثناء حكم قبلاى أن امتزجت العادات التترية بالصينية فى البلاط الامبراطورى ، وطبقا لهذه العادات كان الاناث يعتبرن أعضاء أكفاء فى المجتمع . وحتى فى أيامنا هذه ، تتمتع النساء التتريات ( اللاتى يتميزن بوصفهن كذلك ، وان انحسرن من عائلات استقرت بالصين عدة أجيال ) بدرجة من الحرية لا شك أن النساء الصينيات محرومات منها . وحدث لعهد الأسرة المالكة التى خلفت فى الملك أسرة يوان أى الأسرة المغولية ، أن نساء الطبقة الراقية كن يشاهدن الحفلات بأعينهن ، وان لم يظهرن للعيان .

(٢) يبدو أن سياسة البلاط الصينى كانت على الدوام أن يرحبوا استقبال السفراء وهذا ياهم حتى يحين موعد بعض الحفلات العسامة ، وبذلك يتمحقق هدف مزدوج ، اضافة أبهة اضافية على مظهر اليوم ، والتسكن فى الوقت نفسه من طبع تأثير قوى فى نفوس الأجانب بفخامة الاحتفال المرافق لتقديم أوراق اعتمادهم . على أنه يمكن بالمثل أن نلاحظ فى البيانات المتعلقة بجميع السفارات الأوروبية ، أن تقديمهم للامبراطور كان يصحبه تقديم مبعوثى أو مندوبى الدول المجاورة أو التابعة .

(٣) ان عصير العنب وان كان يعتصر ببعض أجزاء الصين ، فان ما يسمى عادة باسم النبيذ الصينى انما هو شراب مخمر مصنوع من الحبوب . يقول جون بل : « حتى اذا انتهت هذه المحادثة قدم الامبراطور للسفير بيده قدحا ذهبيا مملوءا بالتاراسون الدافىء ( وهى كلمة كنبت ديراسون Dirasoun فى يوميات سفارة الشاه رخ ) وهو شراب حلو مخمر ، مصنوع من أنواع مختلفة من الحبوب ، وهو على نفس نقاء وقوة نبيذ جزر الكنارى ، وله رائحة منفرة وان لم يكن طعمه غير مستساغ » . ( مج ٢ ص ٨ ) . ويقول استاونتون : « وفى أثناء الوليمة أرسل اليهم ( أى الى الانجليز ) أطباقا عديدة من مائدته الخاصة ، حتى اذا فرغوا من طعامهم أرسل اليهم وقدم اليهم بيديه كأسا من النبيذ الصينى الدافىء ، لا يختلف عن خمر ماديرا وان كان أقل منه جودة » . ( مج ٢ ص ٢٣٧ ) . ويقول بالاس ان التاراسون يمكن تشبيهه بخليط من البراندى والجمعة الانجليزية . انظر : ( Reise, dritter Theil ) ص ١٣١ . ويقول دوهالد :

« انه لا يدعهم يشربون كثيرا من النبيذ ، وهم يصنعونه من نوع خاص من الأرز ، يختلف عن النوع الذى يغتذون به » . ( مج ٢ ص ١١٨ ) .

(٤) ان كون اللبن هو المشروب المحبب لدى التتار أمر معروف مشهور ، ولما كان البلاط والجيش يتألفان فى تلك المدة التى نحن بصدددها من أبناء تلك الأمة بصورة كاملة تقريبا ، لم يعد ينبغى لنا أن ندهش ، اذا وجدناه يقدم فى حفل يقام بعاصمة الصين . أما فيما يتعلق باهتمام وجود لبن النوق هناك فان استاوتون يلاحظ استخدام الجمال أو الهجن بأعداد كبيرة جدا ، لنقل البضائع ، فى أجزاء بلاد التتار المتاخمة للولايات الشمالية من تلك البلاد ، كما أن دوهالد يعبد « الجمال ذات السنامين » بين الحيوانات الصينية .

(٥) ثم يعود فيستخدم لفظة Vernigua اسما للناء . على أنى أشتبه فى وجود شيء من اللبس . فان معنى Venicato d'oro من Vernice ( أى البرنيقى وهو الورنيش ) هو المذهب أو المطلب بالذهب ، ويبدو أن لفظة Verniqua ذات ارتباط بهذا المعنى . فضلا عن ذلك فان من الواضح أن الأوعية ، القادرة على احتواء الشراب اللازم لثمانية أو عشرة أفراد ، تكون ، لو صنعت من الذهب الخالص ، مفرطة الثقل بحيث يصعب استخدامها .

(٦) ان الموائد بالولائم الصينية صغيرة كما انها معدة عادة لشخصين فقط .

(٧) ليس من المستغرب أن أسرة جنجيزخان يكون لها بعد انتهابها ثروات شطر عظيم من العالم ، - قدر من المعادن النفيسة هائل حقا بالنسبة لما يجرى تداوله فى أوروبا أو آسيا ، قبل استكشاف مناجم الكسبك وبيرو . وكثيرا ما ورد ذكر الكؤوس أو الأقداح الذهبية ، ويتحدث بل عن أطباق كبيرة من خالص الذهب ، أرسلها الامبراطور الى الفسرف التى نزلوا بها .

(٨) ينبغى لنا ، بصدد درجة الحضارة التى تدلنا عليها ضمنا هذه الرعايات الموجهة للضيوف ، أن نسلم بفضل الأعراف المستقرة الثابتة من زمن طويل بين الشعب المقهور ، لا أن ننسبها الى أية تنظيمات أدخلنها الأسرة المتربعة آنذاك على العرش . ويتفق جميع رحالينا الأوروبيين فى وصفهم للنظام والسداد المرعيين فى هذه الحفلات ، حيث يسود سكون يكاد يقارب الرهبة .

(٩) لاحظ وجود هذه الخرافة بين التتار كل من بلان ده كاربان وروبروكس .



(١٠) ان هذا هو أحد أمثلة مالا حصر له من السذاجات أو البساطة  
الأمينة في روايات مؤلفنا وملحوظاته . فالسكر الشديد كان الرذيلة الأثيرة  
عند التتار ، وفي تلك الفترة لم يكن تم اصلاحها الا جزئيا تأثرا بالأسرة  
الصينية الأكثر اتزانا وبعدا عن الخمر .

(١١) تصحب الموسيقى دائما هذه الحفلات . ويقول جون بل :  
« كانت الموسيقى تعزف طوال وقت المأدبة والآلات الرئيسية هي الاناي  
والقيثار والعود ( الفلوت والهارب والفلوت ) ، وكلها قد ضبطت وفق  
النوع الصيني » . مج ٢ ص ١٢٠ .

(١٢) ان هذه العروض المسرحية والرياضية والحوائية ، التي كانت  
ولاتزال تماثل كثيرا بعضها بعضا ، وصفت وصفا تفصيليا في بيانات  
البعثات المدينة التي أوفدت الى بكين ، ابتداء من بعثة الشاه رخ ، في  
بداية القرن الخامس عشر ، الى سفارات الانجليز والهولنديين في النصف  
المتأخر من القرن الثامن عشر .

## ❁ هوامش الفصل الحادى عشر

(١) طبقا لما ورد فى «Hist. Gén. de la Chine» ( ص ٢٨٢ ) ، فان قبلاى أو هوبلاى ( كما ينطق الصينيون الاسم ) ، ولد فى القمر الثامن من السنة المقابلة لسنة ١٢١٦ ، وهو أمر يتجاوب على نحو معقول . كما سييجلى فى هامشة تالية تتعلق بموعد ابتداء السنة الكاثائية ، مع شهر سبتمبر ، كما ذكر ذلك مؤلفنا .

(٢) مع أن اللون الأصفر ظل أمدا طويلا هو اللون الامبراطورى ببلاد الصين ، فانه يقال انه لم يكن كذلك فى جميع الفترات ، حيث ارتدت بعض الأسر المالكة القديمة اللون الأحمر وغيره من الألوان . وربما جاز لنا أن نتصور أن تتعلق بهذا اللون جاء من أنه هو اللون الذى يلبسه طائفة اللامات المتسلطة ببلاد التبت ، التى كان أباطرة الصين يستمسكون بحماسة بخرافاتها ، وان جاز أيضا أن طائفة اللامات هذه لعلها هى التى تبنت اللون الامبراطورى . وينسب بعض الناس الى قبلاى ( وفى الواقع أنه كذلك ) ، انه هو مؤسس هيئة كهانة اللامات ، على الأساس الحالى ، كما يقال انه هو الذى عين أول دالاي لاما . على أن آخرين يظنون ان لقبى دالاي ويانتشان لاما لم يمنح قبل عهد هيوون تيه ، خامس أباطرة أسرة منج . ويبدو أن كلا من الأسرتين ، كانت شديدة الحرص والدأب فى تشجيعها لهؤلاء الكهان ، الذين تمكنوا بفضل نفوذهم من حكم الولايات الغربية بسهولة أكثر .

(٣) وكل من له شأن ، يقول الأب جروسسييه رئيس الدير : « لا يخرج الى الشوارع قط بغير حذاء ، وهو فى العادة مصنوع من الساتان » . ويرد ذكر هذا الملبوس للمرة الثانية فى الفصل ٢٦ .

(٤) يبدو أن هذه الكلمة لفظة ايطالية دخيلة ، وهى اسم فاعل اشتق من فعل : « Quiescere » وربما أمكن أن تدل على الأشخاص الذين يستخدمون ، بكل أرجاء الشرق ، للقيام بطرق شتى بتهذئة أنفس الشخصيات الكبيرة .

(٥) ويعلق ده جنى الأصغر قائلا ان التقويم الحادى يقسم السنة الى شهور قمرية » . انظر : Voy. à Péking مج ٢ ص ٤١٨ .

(٦) ليست هذه الوحدة فى ثياب البلاط متبعة فى الأزمنة الحديثه ، بل على العكس من ذلك ، فان اللون الامبراطورى مقصور على أسرة العاهل .

(٧) من هنا يمكن أن يستنتج أن جميع الامارات الاقطاعية والحكومات الوظائف العامة ، كانت تمنح لمن يحضرون أئمن الهدايا ، أو بعبارة أخرى كانت تباع لأعلى مزايد . ويبدو أن ما كان على هذا العاهل من نفقات لا حدود لها ، من ناحية ، وما كان يعير به من ميل الى الجشع الشديد ، قد تولد عنها نظام عام من الانتهاك ونزعة الى سلب الأهالى . على أن من المحتمل أن وصفه بالجشع ربما لم يستنتج الا من الابتزاز .

## ● هوامش الفصل الثانى عشر

(١) يقدم مؤلفنا بهذا البيان أشده مالا سبيل الى دحضه من البراهين على موثوقيته وصدقه . وينبغى أن يلحظ القارئ أنه فى اشارته الى أن السنة تحسب بدايتها من شهر فبراير (del mese di Fibraio) يحدد تلك البداية فى أى يوم محدد فى تقويمنا ، وهو أمر لم يكن ليستطيع أن يفعله فى الواقع مع الصحة ، ومع أن راموسيو فى عنوان الفصل يذكر اليوم اءول من الشهر ، كما أن الترجمة اللاتينية تتضمن نفس الشئ بما نصه : « in die calendarum Februarii » فان الوضع مختلف فى الخلاصات الايطالية ، كما أن النصين تؤيدهما الظروف الواقعية . اذ يثبتنا كتاب « Epochae celebriories » تأليف أولوغ بك ( ابن الشام رخ ) ، الذى ترجمه العلامة جريفز ، أن السنة الشمسية عند الكائناتيين والايجوريين تبدأ فى ذلك اليوم الذى تبلغ فيه الشمس منتصف برج الدلو ، وهذا شئ نجد فى تقويمنا الفلكى أنه يتراوح بين الثالث والخامس من فبراير ، حسب العام الكبيسى لدينا أما فيما يتعلق بسنتهم المدنية ولا بد أنها هى التى يتحدث عنها مؤلفنا ، فانا نعثر على بيان واف عنها فى : « Voyage de la Chine » تأليف البروفسور تريجولت ، الذى صنفه من كتابات الوجيه ماتيورتشى الذى يقول : « عند كل عام جديد ، يبدأ عند ظهور الهلال ، الذى يسبق أو يعقب عن قريب اليوم الخامس من فبراير ، الذى يحسب فيه الصينيون بداية الربيع ، يرسل من كل ولاية سفير ليزور الملك زيارة رسمية » . ص ٦٠ : وهو أمر ينبغى أن نفهم منه أنه الهلال الذى يقع أقرب ما يكون ( قبل أو بعد ) من وقت بلوغ الشمس منتصف برج الدلو ، ومن هنا لا يمكن تحديد أى يوم للعيد فى أى يوم معين من التقويم الأوربى .

(٢) ان خرافة اعتبار اللون الأبيض ، الذى هو بالطبيعة رمز النقاء ، ذا تأثير فى جلب الحظ السعيد ، خرافة واسعة الانتشار بكل أرجاء العالم ، وذلك على عكس الأسود ، الذى أصبح ، لارتباطه بعدم النقاء والظلام والقبر ، يعتبر نذير الحظ السيئ . وصار طابع الحزن . على أن الصينيين الذين تتناقض عاداتهم فى كثير من الأوجه مع عادات غيرهم من الشعوب ، رأوا من الصواب جعل اللون الأبيض بدلا من الأسود لونا لثياب حدادهم ، ولكن قبلاى ، وان اقتبس معظم النظم المدنية لرعاياه الجدد والاكثر تحضرا ، لم يقدم ، ولعله لم يقدر حتى لو شاء ذلك — على ارغام

شعبه وبنى جلده على تغيير خرافاتهم القديمة . وتبعاً لذلك يبدو أنه فى أثناء حكمه على الأقل ، وربما طالما احتفظت أسرته بالعرش ، كان يحتفل بالسنة الجديدة فى ثياب بيضاء ، وكانت الخيول البيضاء من أشبه الهدايا قبولاً لدى الامبراطور . وعندما خلفت أسرة منج ، وهى صينية قحة ، أسرة المغول ، حرم للمرة الثانية استخدام البياض فى تلك المناسبة .

(٣) ويلاحظ بارو : « أن اليوم الأول من السنة الجديدة ، مع بضعة أيام بعده ، هى العطلات الوحيدة ، على وجه الدقة ، التى تتخذها الفئة العاملة فى المجتمع ، وفى تلك الأيام يعتبر أفقر فلاح أن من الأساسيات الحصول على ثياب جديدة لنفسه ولأسرته ، وهم يقومون بزيارة أصدقائهم وأقاربهم ، ويتبادلون التحيات والمجاملات ويقدمون الهدايا ويتلقونها ويقوم موظفو الحكومة وأصحاب الرتب العليا ، اللواتم وحفلات السمر » . ( انظر : Trav. in China ص ١٥٥ ) . يقول الاب جروسبييه رئيس المدير : « انهم يفضون وقتهم كله فى اللهو والتسلية واللوازم . وتقفل الدكاكين فى ذل مكان ، ويذهب جميع الناس ، متزينين بأفخم ثيابهم ، لزيارة والديهم وأصدقائهم . وليس ثمة شئ أقرب من هذا مشابهة بزيارنا فى اليوم الأول من السنة الجديدة » . مج ٢ ص ٣٢٣ .

(٤) يفصل استراهلنبرج تفصيلاً شديداً فى وصف الفكرات الخرافية المنتشرة بين شعوب بلاد التتار حول خصائص هذا العدد ، وعن كتابه الشهير ، نقلنا الفقرة التالية التى ستجدون فيها الكفاية وفوق الكفاية فى تبرير ما ذهب اليه مؤلفنا . يقول ذلك الرحالة القوى الملاحظة والمجد فى بحثه : « وبناء على هذا سأتحول الى قص ما شهدته أنا بنفسى فى هذه الأصقاع الشمالية الشرقية ، فضلاً عما لاحظته عند غيرى من الكتاب ، الذين عالجوا شئون هذا الجزء من العالم ، خاصاً بهذا الموضوع . وبصفة خاصة فيما يتعلق بالرقم تسعة وهو الشئ الذى مازال موجوداً بين سكان هذه الأصقاع . ويخبرنا « تاريخ الخان الأعظم » تأليف المسيو بتيه ده لأكرواه ص ٧٩ ، أنه عند انتخاب تيموجين خاناً أعظم وسمى جنجيز خان ، جثا الناس جميعاً على ركبهم له تسع مرات ، اعراباً عن تمنيتهم له دواماً رغيداً للملكة : ولا تزال هذه العادة مرعية مع أباطرة الصين التتريين ، الذين يرغب السفراء عند مثولهم بين يديهم بتقديم انحناءات احتراماتهم جاثين « تسع مرات » عند الدخول ، وتسعى أخرى مثلها عند الانصراف . ولا يزال نفس التقليد مستخدماً عند تتار الأوزبك ، وذلك أنه عندما يكون لفرد شئ ذو أهمية يلتمسه من الخان ويتعامل فى شأنه معه ، فانه لا ينبغي له فحسب أن يقدم هدية مؤلفة من تسعة أشياء .

أو تحفا معينة ، ولكنه عندما يقترب منه لتقديمها يجب عليه الانحناء  
تسع مرات ، وهو تقليد ( أو رسم ) يسميه التتار باسم المثل  
الزغاطاني » . المقدمة ص ٨٦ .

(٥) لما كان قبلاي أخضع آفا وولايات جنوبية أخرى ، مما يوجد  
فيها القبيلة بأعداد كبيرة ، وهنا اعتضت جيوشه في المبارك ، فان من  
الطبيعي أن يجنح الى ضم هذه الحيوانات القوية الى دولته ، ان لم يكن  
من أجل أغراض عسكرية ، فعلى الأقل من أجل الاستعراض في المواقب ،  
أو لتكون دواب حمل ، ومن ثم سلمت اليه الأفيال جزية من الأمراء  
المهزومين . ولا تزال الأسرة المتربعة على العرش اليوم تحتفظ بقليل منها ،  
ولكن يبدو أن ذلك من أجل الأبهة الرسمية . .

(٦) أسلفنا اليك أن الجمال والهجن ، وبخاصة ما له سنامان  
شائعة ببلاد الصين .

(٧) ليس عند الصينيين ولا التتار نبلاء وراثيون ، ويستخدم هذا  
الاصطلاح هنا وفي أماكن أخرى من الكتاب ، لعدم وجود ما هو أفضل منه ،  
للتعبير عن تلك الطبقة أو المرتبة من الأشخاص الذين يتولون المناصب  
الكبرى في الدولة ويسمون ببلاد فارس والهندوستان بالأمراء . وينبغي  
أن يكون القارئ على بينة تامة من أنه جرت العادة في غضون الاختلاط  
الحديث بين الأوروبيين وبين الصين ، بأن يسمي بالماندرين بدون تمييز  
جميع الموظفين من جميع الدرجات والوظائف المدنية والعسكرية ، ابتداء  
ممن يديرون الشؤون العليا للامبراطورية ، الى من يوضعون في زوارق  
لمنع التهريب ( أو التغاضي عنه : ) ، على أنى لا أستخدام هذا الملقب ، وان  
كان في الأغلب مريحا في الترجمة ، وليس سبب ذلك فقط هو غموض  
تطبيقه ، ولكن لأنه ، نظرا لأنه لم يكن معروفا في أيام مؤلفنا ، فالحق أن  
ادخله في نصوصه بعد ضربا من الخلط التاريخي .

(٨) نظرا لدواع كثيرة لا تتعلق بالأمن السياسي فحسب ولكن تتعلق  
بسرعة ويسر تحصيل « فرضة الرؤوس » وغيرها من الضرائب ، كان الناس  
يحصون ويقسمون الى فئات ، على معيار عشري متدرج ، من عشرة الى عشرة  
آلاف ، يرأس كل فئة منهم ضابط ( أو منوط ) مسئول ، ولما كان ايراد  
الأرض يجمع عينا ، كان الامبراطور يعين ضابطا ، أى موظفين ، لا يختلفون  
عن زمندارية Zemindars ( أعنى ملتزمي ضرائب ) الحكم المغولي ببلاد  
الهند ، وذلك بقصد مراقبة المحاصيل ونقلها الى مخازن الحبوب الملكية  
قرب بكين .

(٩) كان لقب فانج Vang الصينى ، الذى هو عند البرتغاليين  
ريجولو Regula ، وعند الجزويت الفرنسيين نائب ملك Roitelet وملك  
Roi ، ينعم به عادة على الأمراء التابعين بكل أرجاء بلاد التتار .

(١٠) يبدو أن مصطلح « المطران » *Prelato* ، الذى لا يوجد  
شئ مقابله فى النسخ الأخرى ، أورده راموسيو بلا مسوغ . ونص  
الكلمات فى نسخة بال : *Surgit unus in medio* وفى الخلاصات الإيطالية  
« *else Leva uno huomo in mezzo* » والكلمات فى أحسن نص إيطالى ، وهو  
الذى نشره بونى : *Sileva un grande paralto* .

(١١) يقول ده جنى الأصغر : « ان رئيس التشريفات ، الذى هو أحد  
المندرين العظام فى « لى بو *Ly-pou* » ، أى محكمة الشعائر يصبح بصوت  
مرتفع ونفاذ وقد وقف قرب بوابة أو من *Ou-men* : « انتظمو !  
استنديروا ! » اركعوا على ركبكم ! » اضرىوا رؤوسكم بالأرض ! »  
واضرىوها ثانية ! » اضرىوها من جديد ! » انهضوا ! » ثم يركعون  
ثانية على ركبهم ، ثم يعودون فيبدءون التحية من جديد مرتين ، وهكذا  
يتألف الاجلال من القيام ثلاث مرات بثلاث تحيات . وبعد التحية الأخيرة  
يصيح المندرين : « انهضوا ! » استنديروا ! » انتظمو ! » ، ثم  
يجشوا هو نفسه على ركبتيه أمام الباب ويقول : « مولاي ، انتهى الاحتفال »  
( انظر *Voy. à Péking* الخ ٠٠ مج ٣ ص ٤٤ ) يجد القارئ بياناً يتفق  
تماماً فى مادته مع الوارد أعلاه ، ولكنه أكثر تفصيلاً فى كتاب *Nouv. Relat*  
تأليف البروفسور ماجالهايز ص ٣٠٤ . يقول جون بل : « أعاد رئيس  
التشريفات السفير ، ثم أمر جميع الحضور بالركوع وتقديسهم انحناءات  
الاحترام للامبراطور تسع مرات . وكنا عند كل انحناءة ثلاثة نهض على  
قدمينا ثم نركع ثانية . وبذلت جهود عظيمة لتجنب هذا الجزء من مراسم  
الاجلال ولكن بغير طائل . وكان رئيس التشريفات يقف على جنب ويصدر  
أوامره باللغة التتارية ، بنطق كلمتى مورجو وبوس *Morgo and Boss* ومعنى  
الأولى الانحناء والثانية الوقوف . وهما كلمتان « لن يمكننى أن أنساها  
سريعا » ( مج ٢ ص ٧ ) . وتتفق جميع طبقات عمل مؤلفنا فى الإشارة  
الى أن هذا المرسوم كرر أربع مرات ، بينما من المعلوم جيداً أن التكرارات  
انما هى ثلاثة وتسعة . فاما أن تكون ذاكرته خائنه واما ، وهو الأرجح  
أن النسخ ربما أخطأوا فى أرقام مخطوطة قديمة .

(١٢) يظهر أن موسم عمليات السجود أمام العرش الخاوى أو أمام  
لوحة خط عليها اسم الامبراطور يحدث فى الاحتفال بعيد ميلاده ، لا فى  
الاحتفال بالعام الجديد .

(١٣) كثيراً ما يرد ذكر الأسود ( التى لا تعيش فى الصين ولا فى  
بلاد التتار الصينية ) حيث ترسل على سبيل الهدية من الاقيال  
الغربيين .

## ● هوامشى الفصل الثالث عشر

(١) كثيرا ما قام الرحالة بوصف طريقة الصيد هذه باحاطة الصيد داخل حلود شديدة الاتساع ، ثم تضيقها تدريجيا .



## ● هوامش الفصل الرابع عشر

(١) سبق أن لاحظنا أن مغول الهندوستان يحتفظون بفهود صغيرة ،  
الكى تستخدم فى الصيد . ويبدو مع ذلك أن أكبر الحيوانات من هاه  
الفصيلة كانت تؤنس أيضا من أجل رياضة الامبراطور . وتوصف الأولى  
بأنها تحمل على ظهور الخيل ، وراء حراسها ، فأما الأخرى فتحمل داخل  
أقفاص على نوع من العربات . ويسمىها قوم آخرون من الكتاب الايطاليين  
القدماء باسم « أسود الصيد المؤنسة » « Leonze domestice cacciare » .  
واضح من هذا الوصف ، ومن السياق العام بأكمله ، أن الحيوان الذى  
يحدثوننا عنه هنا بأنه الأسد ، ليس فى الواقع الا الببر . Tiger  
وكان ينبغى أن يسمى بهذا الاسم ، ولكن سواء أنسبت الغلطة الى مؤلفنا  
ذاته ، ولعله نسى بعض مصطلحات لغته القومية ، أم الى مترجميه الأوائى ،  
فذلك أمر ليس لدينا وسيلة لاصدار الحكم فيه . ومعلوم أن الأسد ذو  
لون أسمر مصفر ، ومتسق تقريبا ، بينما الببر يتميز بالألوان المذكورة  
أعلاه ، لولا أنه ينبغى لنا أن نتبدل بالأحمر اللون الأصفر المحمر ، وليس  
من المستبعد أن الخلط بين هذه التسميات ، ربما نجم عن اختلاط مؤلفنا  
بالفرس وغيرهم من المسلمين ، أثناء رحلته من الصين الى أوروبا ، اذ أن  
من المعلوم جيدا لعلماء الدراسات الشرقية ، أن هذه الشعوب تطلق هذه  
الأسماء بغير تمييز تقريبا على هذين النوعين من الحيوان كليهما .

## ❁ هوامش الفصل الخامس عشر

(١) ربما كان هذا الرجل هو الشخص الذى يحمل نفس الاسم... والذى ميز نفسه ببالح الجدارة والكفاية قائدا عاما لجيوش قبلاى ، والذى ورد ذكره فى فصل تال فاتحا للصين الجنوبية • وكتب أسماء الأثريين فى الخلاصات الايطالية المبكرة باكصام وميتيجام •

(٢) ان ما لدينا من معاجم اللغة المغولية من بالغ النقص ، بحيث افه حتى لو كانت الكلمات الواردة فى النص صحيحة الكتابة لم يمسحها تحريف ، فلربما فشلنا فى محاولاتنا التعرف على حقيقتها ، ولكن لما كانت الكلمات محرفة على ما نعلم بواسطة النسخ والنساخين ، صارت المحاولة عبثا • فالكلمة التى ترد فى ترجمة راموسيو سيفيس Civici ( أو تشيفيتشى Chivichi طبقا لهجاننا ) تكتب فى الخلاصات الايطالية المنسوخة فى ١٤٩٦ سيفتري Civitri وفى أقدم نسخة لاتينية سينييسى Cynici ، كما ترد فى مخطوطى المتحف البريطانى ومتحف برلينه كانييسى Canici ومن هذه الكلمة الأخيرة • يصح لنا أن نظن - اذا لم يحرف الهجاء خيال النساخ - أن الكلمة مشتقة من كلمة كاني Cane الايطالية ومعناها كلب • ( والكلمة فى النسخة اللاتينية التى أصدرتها الجمعية الجغرافية الفرنسية ، وردت سينيوتشى Cinuchi ) .

(٣) ليس من الشائع ورود أى ذكر لكلاّب الصيد عند الصينيين أو التتار الصينيين ، ولكن وجودها يزودنا عنه بل Bell ببرهان مباشر ، حيث يقول : « بعد تقديم هذه التسلية ، حملنا الاليجادا (Colao) على رؤية كلاّبه أولا ، وكان لديه منها أضرب كثيرة جدا • وقد لاحظت من قبل أن هذا السيد الوجيه رياضى عظيم • وكان الحديث عن كلاّب الصيد أمتع لديه كثيرا من حديث السياسة ، وان أوتى فى نفس الحين طباع وزير كفاء عظيم الاقتدار ورجل أمين نزيه » • • • • • مج ٢ ص ٢٢ •

## ● هوامش الفصل السادس عشر

(١) ان التركيب البسيط الذى وردت عليه الكلمات فى نسخة راموسيو ونصه :

« indi partendosi il mese di Marzo, va verso Greco al mare oceano, il quale da li à di scocta per due giorante ».

ليبدل ضمنا على انه تقدم من العاصمة الى المحيط ، الذى كان يبعد عنها مسيرة يومين ، على انه اما أن يكون معنى المؤلف أسىء فيه ، عندما قصد أنه يقول ان الطريق كان يمتد الى اقليم يقع على مسيرة يومين من المحيط . ثم أنه لابد أن تكون هناك غلطة جسيمة فى عدد الأيام ، التى كان ينبغي أن تقرأ « شهورا » ، وذلك لأن السياق بأكمله يدل على أنه انما يتحدث عن إحدى مسيرات الامبراطور البعيدة من خلال اقليم المانشو ، الى مجاهل بلاد التتار الشرقية ولم يكن يتحدث بأية حال عن رحلة صغيرة الى شاطئ البحر الأصفر ، الذى لا يبعد عن بكين سوى بضعة مراحل .

(٢) النهر الذى يدور الحديث هنا عنه قد يكون اما نهر سونجارى ، الذى كان آخر حد لحملة كانج هى ، واما أن يكون هو « ليوسورى » ، الأمر الذى أميل الى ترجيحه ، نظرا لأنه أشد الأنهار توغلا فى الشرق ، فهو من ثم بالنسبة الى المحيط أقرب النهر الكبرى التى تصب فى ساجالين يولا ، وتسهم فى تكوين نهر عامور الذى هو الحد الفاصل بين الأراضى الروسية والصينية بتلك المناطق .

(٣) لم أستطع ارجاع هذه الكلمة الى أية لغة معروفة ، وذلك لأنها تتخذ فى النسخ المختلفة أشكالا منها : توسكاؤل وردسكانور وروسشاور وروستاور ، كما أنها وردت تاستورى فى الخلاصة الايطالية المبكرة . وترجمت فى نسخة بال « كاستودس » ، وترجمت عن راموسيو : « huomini che stanno alla custodia ».

(٤) كذلك أيضا ذهبت جميع المحاولات للتحقق بواسطة علم دراسة أصول الكلمات ( الاتيمولوجيا ) من الهجاء الحقيقى لهذه الكلمة ، أدراج الرياح . وقد وردت فى النسخ المختلفة هكذا : - بولانجازى وبالأجوجى وبولارجوسى ، وبوجنامى وبوجريم . وربما أمكن افتراض أن الهجاءين الأولين أقرب الى الصحة أو يكادان ، وذلك لأن جميع الأسماء التى تدل على الرطائف فى لغة الكالموك المغولية ، تنتهى بالمقطع ارتشى izchi وذلك

وفق كتابة استراهلنبرج الألمانية ، التى هى معادلة لمقطعى Zi و Ci  
الايطاليين . وانشاء مثل هذه الوظيفة يعد فخرا لشرطة معسكر تترى .

(٥) لابد أن مؤلفنا ، الذى يبدو من هذه العبارة وكثير غيرها من  
العبارات الواردة فى صلب عمله ، انه كان مولعا ولعا حارا بالرياضة العراء ،  
زكى نفسه كثيرا وحظى برضاء مولاه بسبب هذا التجانس فى الذوق .

(٦) لا يبدو ان أحدا من أباطرة الصين المحدثين استخدم هذه  
الحيوانات الضخمة فى انتقاله وحمله شخصيا . يقول بل : « انه » .  
( يعنى الامبراطور كانج هى ) ، « كان يجلس متربعا ، فى جهاز مكشوف ،  
يحملة أربعة رجال ، على أعمدة طويلة مستقرة على أكتافهم . وقد وضعت  
أمامه بندقية خفيفة للطيور ، وقوس وكنانة من سهام . وظل هذا هو  
عتاده فى الصيد . أمد عدة سنوات ، منذ أن أقلع عن ركوب الخيل ، ولكنه  
كان فى شبابه يذهب عادة كل صيف ، فيخرج خارج السور الطويل فى  
رحلة أيام عديدة ، وكان يحمل معه كل الأمراء أبناءه وكثيرا من ذوى  
المكانة البارزة من الناس ، فى أعداد تبلغ أحيانا بضعة آلاف عدا ،  
لكى يصيد فى الغابات والصحارى ، حيث كان يظل أمدًا طويلا يمتد الى  
شهرين أو ثلاثة » . انظر Tavel مج ٢ ص ٧٦ .

(٧) أعنى جلود الببر أو الفهود ، التى معلوم أن جلودها شائعة  
الاستخدام فى تكسية المقاعد ، وفى أغراض أخرى مماثلة ، عند ذوى  
المكانة من وجهاء الصين ، وذلك لأن الحيوان نفسه يكثر وجوده ببلاد  
التبت ، كما أنه موضوع الرياضة الملكية ، وذلك على حين يتفق جميع  
الرحالة على توكيد أن الأسد ليس من حيوان تلك المنطقة .  
انظر ص ١٩٤ هـ أ .

(٨) فى هذا الاسم ، كاكزارمودين ، ( الذى يكتب فى المخطوط  
اللاتينى فى المتحف البريطانى والخلاصة الايطالية المبكرة كاتشيا مودين ) ،  
بعض المشابهة باسم تشاكيرى موندو ، الذى يقع حسب خريطة الجزويت ،  
عند منبع نهر بوسورى ( الذى يصب مياهه فى نهر عامور ) ، وفى منتصف  
المسافة تقريبا بين بحيرة ضخمة تقع بين الجبال والبحر . ( الاسم فى  
النص اللاتينى للجمعية الجغرافية الفرنسية كاكشيا تريودم وفى  
نسخة بونى الايطالية تاركارمودو ) .

(٩) يبدو أن الخيالة Cavalieri ، المذكورة هنا هى الطبقة العسكرية  
التي يصفها فان برام تحت اسم تشيووايس Chiauais ، وبخاصة من كان  
منهم فى المرتبة الثالثة . ويقوم جند تشياو Chiauoux فى البلاط التركى  
أو العثمانى بواجبات تماثل واجبات الحجاب Huissiers بفرنسا .

(١٠) قد يبدو هذا العدد ضخما ، ولكنه ليس الا حشدا مكونا من مائة رجل مصطفين طوليا في مثلها مصطفين عرضيا ويمكنهم أيضا بتضييقهم صفوفهم الأمامي ( جبهتهم الأمامية ) الاصطفاف تحت ظلة طولها خمسون ياردة في مائتين عمقا . وجرت العادة بأن تحسب جيوش التتار والفرس بالطومانات ، أى بفرق عشرة الآلاف . اذ يسجل لنا التاريخ عن تيمورلنك أنه اعتاد تقدير قوة جيشه ، لا بعدد الأفراد ، وانما بكمية الرحال الذين يستطيعون الوقوف داخل مساحة معلومة ، يحتلها الجند بالتعاقب ، حتى يتم احصاء الجميع .

(١١) يولع أهل الصين الشمالية شغفا بالفراء وينفقون فيها الأموال الطائلة ، فان أول جلود القنندس البحرى التى اجتلبت من الشاطئ الشمالى الغربى لأمريكا ، اشتريت بأثمان فاحشة ، وان لم تبلغ مقدار المبلغ المذكور فى النص . والمظنون أن البيزنطى كان معادلا للسكوكين الايطالى ، والدوقاتى البندقى والدينار العربى ، أو ما يقارب تسعة شلنات انجليزية .

(١٢) لم يمكن الوصول الى كلمة روندىز ( ولعلها كلمة محرفة ) فى معجم استراهلنبرج ولا غيره من المعاجم المغولية ، ولكن من الواضح أن معناها هو السمور . وقد ورد ذكر هذا الحيوان بتفصيل أدق فى الكتاب الثالث الفصل الرابع والأربعين ( والوارد فى النسخة الايطالية المبكرة هو ليرويد ، وفى اللاتينية لينويد أى بلوناي Lenoidae pellonae ) .

(١٣) أسلفنا اليك أنه لا قيود على نساء التتار ، بل انهن على العكس ، يقال عنهن انهن فى مخيماتهن هن المتجرات الرئيسيات فى الماشية وغيرها من السلع .

(١٤) يعد هذا والحق يقال جمعا خارقا استثنائيا بالنسبة لحملة صيد ، ولكن كانج هى اعتاد فى مناسبات مماثلة أن يكون فى حاشيته بعض المبشرين الأوروبيين الذين كان من بينهم الفلكيون والرياضيون ، وكان يسلى نفسه بأن يرصد معهم تكبد النجوم ( تأوجها ) وأن يقيس بواسطة جهاز الربع ارتفاع الجبال والمباني بل حتى ارتفاع التمثال الهائل للوثن فو . وربما دار بخلدنا مع هذا ، فان فلكيى قوبلاى لم يكونوا الا منجمين أو شامانيين (Shamans) .

(١٥) أما وقد كانت الأعياد الكاثائية ، تنظم شأن أعيادنا ، وفق الأهلة والبدور قبل أو بعد بلوغ الشمس نقاطا معينة من السماء ، فليس عجيبا أن تبدو تحركات الامبراطور كأنما ينظمها تقويمنا . جرت العادة فى المذكرات اليومية لبلان ده كاربان وروبروكس ، بتدوين جميع أحداث رحلاتهما وفق الأعياد والأصوام وأعياد القديسين من واقع دليل الصايات لديهما ، بدلا من أيام الشهر .

## ● هوامشي الفصل السابع عشر

- (١) يقول دوهالد : « من المحظور عند الصينيين دفن موتاهم داخل نطاق المدينة ، والمدن التي يسكنها الناس » مع ٢ من ١٢٥ .
- (٢) العادة المرعية عند الصينيين هي دفن الموتى الا احراقهم ، ولكن الحال بخلاف ذلك عند التتار ما تمسكوا بعباداتهم الأصلية .
- (٣) ان كميات الحرير الهائلة التي تنتج ببلاد الصين شيء مشهور .

## ● هوامش الفصل الثامن عشر

(١) لعل هذه هي المرة الوحيدة التي يتخلى فيها مؤلفنا عن الوقار العام لأسلوبه ، ويتنازل بأن يكون صاحب نكتة وملحة • وهذه النقطة ليست في النسخ المبكرة •

(٢) تختلف بيانات الرحالة عن النبات والمواد الأخرى التي يصنع منها الورق ببلاد الصين ، اختلافاً بيناً ، كما أنه يبدو أن المواد التي تستخدم تختلف باختلاف الولايات وأشيع تلك البيانات وأقلها احتمالاً في الحين نفسه ، هو أن الورق يصنع من اللحاء اللين الداخلي لأعواد الخيزران (arundo bambos) ، ولكن دوهالد ينبؤنا ، أن الورق لا يصنع من اللحاء ، بل من مادة الخيزران نفسها • وينقل دوهالد عن كتاب صيني ، يروى أن امبراطورا قديما معينا أمر فصنع له ورق ممتاز من القنب • وأنه يصنع في ولاية فوكيان من الخيزران اللين ، وأنه في ولايات الشمال ، يستخدمون في صنعه لحاء التوت » • ص ٢٤٠ •

(٣) ان الجروسو أو الجروس ( بمعنى الغرش أو القرش ) هو الدراخما أو الدرهم ، وهو يعادل ثمن أوقية من الفضة وينبغي أن تعادل هذه العملة ان كانت وافية الوزن ، ما يقارب ثمانية بنسات انجليزية • والتورنيزى الصغير (picciolo tornese) هو الدينير ، أو عشر درهم من الفضة ، فهو من ثم معادل لأربعة أخماس البنس الانجليزى • ولما كان الأول - ( الجروسو ) هو التسيين tien أو ماس mas ، فان الثاني ( الدينير ) هو الفن (fen) أو الكندورين ، في حسابات الصينيين وعلى أساس المبدأ نفسه ، يشكل عشرة جورسات أو تسين قيمة المنج leang أو التايل tael الذى تقدر قيمته بستة شلنات وثمانية بنسات ربما كان من الضرورى ملاحظة أن المبشرين الفرنسيين يطلقون اسم دينير على العملة الصينية الصغيرة المصنوعة من المعدن الخسيس ، التى يسمونها البرتغاليون كاكسا Caxa ويسمونها الانجليز كاش cash ، وتعادل ألف منها تائيل واحد • ويعادل البيزنطى ، وهو عملة ذهبية لامبراطورية الروم الشرقية ، كما لاحظنا سابقا • السكويين البندقى •

(٤) يقول ده جنى الابن : « ان المادة التى تستخدم فى الصنع بالاختتام ، تتركب من اللون الأحمر ، المخلوط بالزيت ، وهم يدهفونونه

في وعاء من الخزف مخصص لذلك الغرض ، ومنطى بعناية خشبية أن  
يجف : « . انظر : Voy. à Péking, etc. مج ٢ ص ٢٣٠ »

(٥) تقول الكتابة المخطوطة على العملة الورقية التي أصدرتها أسرة  
منج : « كل من زور سوف تقطع رأسه » . انظر دو هالد ، مج ٢ ص ١٦٨ ،  
لوحه .

(٦) وفي اعتقاد البرونسور جوبل ، أن النقود الورقية كانت  
مستخدمة فعلا في بكين ، في عهد العنان الأعظم أو غاداي ، الذي لم يزد  
هو نفسه عن أن قلدها كانت تمارسه الأسرة التي سبقت في العرش  
أسرة يوان أو أسرة جنجيزخان . وهذا العام ( ١٢٦٤ ) هو الذي صنعت  
فيه النقود الورقية . وتسجي أوراق النقد تششأو . ويظهر خاتم  
« بوتشن سو » أى وزير الخزانة العام للولاية ، في أسفل . ويوجد منها  
أوراق من جميع القيم . وقد تدولت هذه النقود فعلا في عهد امراء  
أسرة كين » . ( انظر Observ. Chronol. ص ١٩٣ ) . وينبئنا دو هالد ،  
أنه جرت محاولة أخرى لاصدار هذه العملة من أول أمير من الأسرة التي  
خلفت المنغال ( المغول ) ، وقد نقل اليها صورة للأوراق النقدية ، عن  
نماذج وعينات كانت لا تزال محفوظة لدى الصينيين بعناية خرافية ،  
بوصفها آثارا للملك خلصهم من نير أجنبي . ولكنه عندما يضيف : « وفاء  
استعملت مع قدر ضئيل من النجاح في عهد أسرة يوان » ، يمكن المسك  
فيما يؤكد . وذلك لأن نجاح اجراءات قبلاى الماية ، وهى على ما هي عليه  
من الجور ، ما كانت لتندون بعد تحيز عدائى فى السجلات الصينية ،  
لو ورد ذكرها اطلاقا . وسيتجلى بالاحالة الى الهامشة ٤ ص ١٦ ،  
أن حاكما مغوليا لفارس ، هو حفيد أخى قبلاى ، قام بمحاولة لادخال  
نظام العملة الورقية فى دولته ، فى نفس الفترة التي أقامت فيها يدرته  
أسرة بولو ، أثناء عودتها من بلاد الصين ، وأنه ، عندما شبت ثورة خلعتة  
عن عرشه ، كان هذا الاجراء أحد التهم الجنائية الموجهة اليه . وسيمجد  
القارىء فى Hist. of Persia تأليف مالكولم ( مج ١ ص ٤٣٠ ) ، حقائق  
عجيبة كثيرة وملحوظات حكيمة تتصل بهذا الموضوع ، وكلها تنزع بنوة  
لتأكيد ما أدلى به مؤلفنا من بيانات ، وفيها يتجلى بما لا يدع مجالا للشك ،  
من واقع أقوال المؤرخين الوطنيين ، أن وزيرا من قبل امبراطور الصين  
وانتار وصل الى بلاط فارس قرابة تلك الفترة ، وأنه استشير حول  
العملة الورقية .

(٧) يعد اصدار العملات الورقية فى معظم الدول المنجأ الذى تلجأ  
اليه خزانة مرهقة ، ولكن يبدو أن خطة قبلاى لم تكن بقاصرة على اطلاق  
الورق محل الدفع نقدا فى الانفاقات العامة ، بل لقد سارت اعمالا



بعيدة ، اذ حاولت ، بواسطة عملة مفروضة قهرا ، سحب كل ما فى البلاد من نقد مسكوك وسبائك ذهبية وفضية الى خزانة دولته ، وذلك لأنه ، وان لم يعبر عن ذلك صراحة ، ليس بمستبعد أن التجارة التى كان يشتكرها على الصورة السابقة وصفها ، وانتهى تدفع أثمانها بأوراقه المالية ، كانت يتصرف فيها على يديه فى تقابل الذهب والفضة . ولا تنس أن الملك فى سيام وأقطار أخرى كثيرة غيرها فى الشرق الأقصى ، هو التاجر الرئيسى بأرض دولته ، وما يستطيع فرد شراء حمل بضاعة ، حتى يمارس مندوب جلالته حق الأولوية فى الشراء .

(٨) يظهر أن مؤلفنا يعد هذه غرامة الثلاثة فى المائة مقابل تجديد العملات المستهلكة ، شيئا لا يخرج عن المعقول ، وأنه يفسر مجموع عملة الابتزاز بأكملها بهدوء تام ، بأنها آية على السياسة الممتازة والبراعة العظيمة لمولاه . ويبدو أن أسرة منج كانت أقل جشعا فكانت لا تتطلب الا اثنين فى المائة فقط . وقد حدث أن جوسافات باربارو ، عندما كان فى أزوف ببلاد القرم ، حوالى عام ١٤٥٠ ، أبلغه تترى ذكى كان يقوم بسفارة الى كتابو أى الصين أنه : « فى ذلك المكان تستعمل العملة الورقية التى تستبدل كل سنة بأوراق بنكنوت جديدة ، والعملة القديمة تؤخذ ، ويعطى الى من يستبدلها نفس القيمة بعملة جديدة وجديدة - على أن يدفع ما قيمته اثنان فى المائة عملة فضية - ثم تعمد بعد ذلك أوراق البنكنوت القديمة » .

« in quel luogo si spende moneta di carta, laquale ogni anno è mutata con nuova stampa et la moneta vecchia in capo dell'anno si porta alla zecca.

انظر : ص ٤٤ ، ١٢ .

(٩) لما تجنح اليه هذه الخطة فى تدبير المالية من حرمان صناعات الذهب والفضة من المواد اللازمة لحرفتها ، وهى المعادن التى كانت تمتصها من السوق تلك الدوامه ، صار لزاما وضع التماس علاج لمثل هذه المضايقة الباغية الخطورة ، ومن ثم فان الحزانة كانت تبعا لذلك نزود السوق بطلباتها منها .

## ❁ هوامش الفصل التاسع عشر

(١) من الواضح أن ناي هي ناي ( رقم ١١٢١ ) من قاموس دى جنى للكلمات الصينية وهو يترجمها بعبارة « الهيئة العليا » « eminns, altus » يدل المصطلح الصينى العادى لهذه المحكمة على وظائفها العسكرية ، ولكن الاسم الوارد بالنص قيل قصدا للاشارة الى مكانتها العليا كمحكمة ، وهو المعنى الذى تدل عليه مباشرة كلمة ناي أو ناي .

(٢) يظهر أن هذه المحكمة العليا للإدارة المدنية للإمبراطورية وجدت فى عهد قبلأى أغراض اثنين من تلك المحاكم الستة التى تشكل الآن الحكومة الرسمية . « ووظيفة المحكمة الأولى من هاتين المحكمتين الملكيتين ، التى تسمى ليچ بو « Li pou » وهى تزويد جميع ولايات الإمبراطورية بالمندرين ، والسهر على سلوكهم ، وفحص صفاتهم الجيدة أو السيئة ، وتقديم بيان عنها الى الإمبراطور ، الشيخ » . والمحكمة الملكية الثانية ، المسماة هو بو houpou أى وزير الخزانة الأعظم للملك ، تقوم بالإشراف على المالية ، والعناية بالممتلكات الحكومية ، وخزائن المال ، والمصروفات ، وإيرادات الإمبراطور ، الخ . وبمساعدها فى هذه التفاصيل الهائلة ، توجد بها أربع عشرة محكمة فرعية ، اختصت بشئون الولايات الأربع عشرة التى تتألف منها الإمبراطورية ، وذلك لأنه نظمها لكون ولاية بى تشيه لى هى ولاية المحكمة ، فانها تبشر أشياء كثيرة من حقوق وإمتيازات البلاط والبيت الإمبراطورى « ( دوهلد مج ٢ ص ٢٣ ) . وبالإضافة الى هذه الولايات الخمس عشرة للإمبراطورية الحديثة ( أو الست عشرة بإضافة جزيرة هاينان ) ، كانت تحت حكم قبلأى أيضا جميع الممالك التى تملكته أسرته قبل فتحها للصين . وبهذا المعنى يتحدث مؤلفنا عن أربع وثلاثين ولاية باعتبارها تقع فى دائرة اختصاص هذه المحكمة .

(٣) المصطلحات الصينية التى تبدو للاسماع كأنها هى متقابلة فى الصوت مع لفظة سنخ Singh ، ولها فى الحين نفسه دلالة وهزى مناسب للمقام ، هى سنخ Sing ( رقم ٢٩٣٨ من القاموس ) وهى تترجم « Advertere cognoscere » أى يعان ويصدر الحكم ، ولفظة سنخ Sing ( ٦٦٠٦ ) التى تترجم « examinare, considerare » أى الفحص والتأمل ، وكلماتهما ، ان جاز القول باختلافهما فى المعنى ، يمكن تطبيقهما تماما

على طبيعة العمل في محكمة عليا للمعدل ، وذلك ربما بشكل أقوى من انطباقها على لفظة تسنج tsing ( ٣٩٤٧ ) أى الوضع والبريق « Claritas, Splend or » أو لفظة tsing ( ٧٦٦٨ ) ، أى الاستقامة والطيبة والكمال « Rectum, bonum, perfectum » فأما أنه كان ينبغي لها أن تتلقى تسميتها ، تبعا للعبارة الواردة في نسخة راموسيو ، من واقع نونها الثانية بالنسبة لأية محكمة أخرى ، فليس أمرا محتملا في حد ذاته ، ولا يبرره أى تماثل صوتي .

(٤) وعلى عكس ذلك ، فإن الأسبقية تعطى في الزمن الحاضر ، للدوائر المدنية ، ومن ثم فإن ترتيب البنج بو Ping Pū أى المحكمة العسكرية ، ليس إلا في المرتبة الرابعة من المحاكم العليا الست . أما أنه كان ينبغي أن تكون الحال غير هذا في حكم عاهل يحكم امبراطورية الصين بحد السيف ، وينبغي في تقديره أن تكون دائرة الجيش فوق كل ماعداها فهو الوضع الذي قد يتوقع .



الأجانب ، الذين نقصر ذلك المصطلح عليهم وحدهم فى هذه الأيام ، بل ينسحب أيضا على كل « مقطع » صغير بالامبراطورية ، أو مندوب لذلك المقطع ، يمس شطر البلاط متشحا بطابع عمومى . واعتساد أفراد الطبقة الأولى ، أن يأخذوا معهم فى ظل حمايتهم ، كجزء من اتباعهم ، مجاميع ضخمة من التجار ، تسمح لهم بهذه الوسيلة فرصة ادخال بضائعهم الى البلاد ، بطريقة منافية للقواعد المتبعة ، ولكنها كما هو واضح تهر بشغاضى حكام مدن الحدود ، بل حتى باغضاء من البلاط نفسه . وهو أمر اعترف به سفراء النشاه رخ ، كما وصفه بوجه خاص بندكت جويز ، الذى سافر هو نفسه بصفة تاجر .

(٥) يتجلى فى هذا المكان تضارب فى الأعداد ، ليس من السهل التوفيق بينهما معه ، فانه لو كان الكاتب يقصد بقوله عشرة آلاف مبنى ديوتا لبريد بهذا العدد ، فان المجموع الكلى للخيل لا يكون مائتى ألف ، بل أربعة ملايين . واذن فمن المحتمل أنه ينبغي أن يلغى صفر من الرقم الأول وأنه بدلا من قولك عشرة آلاف ينبغي أن تقرأ ألف دار بريد فقط ، وهو وضع يجعل الخلطة داخل حدود الاعتدال أو لعل المقصود به أن يتضمن المحطات المعدة على مسافات قصيرة متقاربة من أجل السعاة المائتين على أقدامهم .

(٦) البيانات الحديثة لتعدد الزوجات و التسرى بين الصينيين ، تؤدي بنا الى الاعتقاد بأن ذلك لم يكن شيئا شائعا فى الطبقات الدنيا من المجتمع .

(٧) على أن نسبة انتاج الأرز فى سومطرة بالمرتفعات تقدر بشمانين وبالمنخفضات بمائة وعشرين لكل حبة . وفى رأى أن هذه الزيادة ، وهى غير المتناسبة الى حد بالغ مع ما هو معروف فى أوربا ، ترجع بالأكثر الى الاقتصاد فى الحبوب فى طريقة البذار لا الى أية خصوبة متفوقة فى التربة - ( انظر Hist. of Sumatra الطبعة الثالثة - ص ٧٧ . وانظر أيضا : Voy. à Péking, etc. تأليف ده جنى الابن ) . مج ٣ ص ٣٣٢ .

(٨) يقول بل Bell : « مررنا فى الطريق بأبراج صغيرة كثيرة ، تسمى دور البريد ، قد بنيت على مسافات معينة أحدها من الآخر . . ويحرس هذه الأماكن عدد قليل من الجنود ، يخرجون على أقدامهم سعيًا من دار الى دار ، بسرعة عظيمة حاملين خطابات أو رسائل تخص الامبراطور . والمسافة بين دار بريد وأخرى هى فى المعتاد خمسة ليات صينية أى أميال . وفى تقديرى أن خمسة من أميالهم تقارب ميلين ونصفا انجليزية » . مج ١ ص ٣٤٠ .

(٩) الظاهر نقلا عما رواه ده جنى ان اسستخدام الأجراس لهذا الغرض ، أصبح الآن مقصصورا على الرسل من راكبي الخيل . ( مج ٢ ص ٢٢٣ ) . ومع هذا فان من المحتمل أن لسعاة القدم الراجلين وسيلة أخرى مماثلة للاعلام عن اقترابهم .

(١٠) يستطيع رجل نشيط الجسم أن يجرى بغاية اليسر ثلاثة أميال بسرعة ثمانية أميال فى الساعة وتبعاً لذلك ، يمكن أن يتم قطع مسافة طولها مائة واثنتان وتسعون ميلا على يد سعاة متعاقبين فى مدى أربع وعشرين ساعة ، أو ما يقارب أربعمئة ميل فى يومين وليلتين . ولكن لو فهم من قوله ( الطريقة العادية ، عشر مراحل كل منها ثلاثون ، يكون من الضروري عندئذ أن تقطع ثلاثمئة ميل فى ذلك الزمن ، وهذا معناه أن السرعة هى ستة أميال فى الساعة .

(١١) ليس من السهل أن نفهم من المقصود بعبارة أن هذه المؤسسة لم تكن تكلفه أية نفقات . فان كانت تخصم من قيمة الضرائب التى كان على السكان دفعها بطريقة أخرى ، فانها فى خاتمة المطاف تقع على عاتق دخل العامل . ولا شك أن الموضوع كله أبعد ما يكون عن الوضوح ، على أن المعنى المرجح هو أن نفقتها لم تكن - خاتمة المطاف - واجبة على الأفراد الذين كانوا يقومون بالعمل .

(١٢) ( ورد ببعض المخطوطات الأخرى أن المسافة خمسة وثلاثون ميلا ) .

## • هوامش الفصل الحادى والعشرين

(١) يقول استاونتون : « فى مثل هذه الأوقات ( العجاف ) يأمر امبراطور الصين بفتح مخازن الحبوب ، ويرفع الخراج عن مستخدم المصائب ، ويمنحهم المساعدات ليقبل عثرتهم وعسرتهم » ( مج ٢ ص ٨٩ ) . ويقول بارو : « ليس بالصين فلاحون كبار يختزنون الحبوب ليلقوا بها فى السوق أيام ندرتها . ففى مثل تلك الحالات لا ملجأ للناس الا الحكومة التى تروح تفتح مخازنها ، وترد للناس ذلك النصيب من محصولهم الذى طالبتهم به ائمتنا لحمايتها لهم » . ولم يفت رحالة آخرون ملاحظة هذه الظروف نفسها .

(٢) تحفل مراسيم الأباطرة الصينيين ، حتى الأباطرة الذين كان يحجبهم خصيانهم والمقربون منهم ، تماما عن العلم بأحوال امبراطوريتهم ، بالعواطف التى تعبر عن أرق دروب الانشغال والقلق البين على رفاهية شعبهم الذى يسمونه فى المراسيم أبناءهم . والغالب أن تصرفات قبلاى لم يكن بها أى أثر لتصنع حب الناس والانسانية ، ولكن يمكن أن يشتم من طبعه العام أن الدافع الذى كان يحرك فيه نوازع الاحسان نحو رعاياه الصينيين - الذين كان يتجلى فيه على الدوام الارتياح فى ولائهم هو رعاية مصلحته الخاصة .

(٣) لم يردنا برهان مباشر على وجود هذه الخسرافة ببلاد الصين . أما أن البرق والرعد كانا ينظر اليهما برعب خارق لا حد له ، فهو واضح من الصور المخيفة التى تمثل الاله المعبود الذى يحكم فى العلا ، والذى يظن أنه هو المحرك لآلة الغضب الالهى هذه .

## ❶ مزامش الفصل الثانی والعشرين

(١) يقول دو هالد : « هناك ولايات بعينها تكون فيها الطرق الكبرى أشبه بكثير من الممرات العريضة ، المحفوفة بالأشجار الباسقة » .  
 ( ديج ٢ ص ٥٢ ) . ويصف ده جنى الطرق الكبرى للولايات التي من منها ، بأنها على الجملة مزروعة بالأشجار . ( مج ٢ ص ٠ ص ، ٢١٥ ، ٢١٦ ) ،  
 ينبغي أن يكرن مقيما أن الخطوات التي يقدر بها مؤلفنا المسافات الفاصلة بين الأشجار ، انما هي الخطرات الهندسية أو الرومانية التي طولها خمسة أقدام ، وحتى على هذا المقياس فإن المسافة تكون صغيرة جدا . وليس بعيد أنه قد يكون في هذه الحالة ، وكذا في أجزاء أخرى من العمل ، يعبر عن نفسه بمقاييس البلاد ، التي تترجم بالمصطلح الإيطالي الذي لا يتقابل وإياها . . بدقة ، أو ربما دخل على الفقرة شيء من التحريف ، والكلمات التفسيرية الموجودة بين أقواس أضيفت أثناء الترجمة .



## ● هوامش الفصل الثالث والعشرين

(١) لا شك أن هذا البيان التفصيلي عن استخدام الصينيين لفحم المناجم أو الفحم الأحفوري ، في وقت كان العلم بخواصه ضئيلا جدا بأوروبا ، يستحق أن يعتبر تسجيلا ممتعا لهذه الحقيقة ، كما أنه يعد أيضا برهانا على ما يتمتع به مؤلفنا من صدق وأصالة - يقول دوهالد : « تكثر مقادير مناجم الفحم الحجري كثرة. هائلة بالولايات ، بحيث أنه لا توجد مملكة واحدة بالعالم يوجد بها بمثل هذه الوفرة البالغة . وهو يوجد بمقادير غير محدودة في الجبال بولايات شن سي وشان سي وبية تشي لي : وهم يستخدمونه في جميع أفران الصناعات وفي جميع مطابخ البيوت وفي جميع أفران التدفئة السفلية لغرف المنازل ( والحمامات ) ، التي يشعلونها أثناء الشتاء كله . وبغير هذه المعونة والنجدة ، لم يكن هذا الشعب مستطيعا العيش الا بالكد بمثل هذه الأقاليم البالغة البرودة ، التي نندر فيها أخشاب التدفئة ، فهي من ثم فادحة الثمن ( مج ١ ص ٢٩ ) . ويقول استاوتون : « تشيع المواقد بالمباني الكبيرة . وهي تعلى من الخارج بالفحم الأحفوري ( أى الحجري ) ، الموجود بوفرة بالمناطق المجاورة » . مج ٢ ص ٣٣٨ .

## ❁ هوامش الفصل الرابع والعشرين

(١) ان صناعة الأقمشة الصوفية ببلاد الصين في الوقت الحاضر طفيفة جدا ، ولكن لعلها تأثرت ، على انصرام عدة قرون بالاستيراد من أوروبا ، الذي نعلم جميعا أنه زاد زيادة مطردة . فأما عن وجود تلك الصناعات في القرن السابع عشر فان لنا فيه سند المبشرين .

(٢) يترجم برشاس كلمة اسكوديل Scudelle بكلمة « كراون » (écus) ( وهي عملة فرنسية ) ، ويعتقد أن حبوبا تبلغ قيمتها عشرين ألفا من تلك العملة كانت توزع يوميا ، ولكن المعاجم تنبئنا أن الاسكود الايطالية هي الايكول écuelle الفرنسية ، وأنها قدر أو قصعة وهذا المعنى أبسط المعنيين وأقربهما الى الطبيعي . ( وبدلا من هذا ، فان النصوص اللاتينية المبكرة والفرنسية ، التي نشرتها الجمعية الجغرافية الفرنسية تقول ببساطة ان ثلاثين ألفا من الناس كانوا يطعمون هكذا داخل القصر ، كما أن نسخة بوني الايطالية تجعل عدد الأفراد ثلاثمئة ألف ) .

(٣) يقول ستاونتون : « انه ليبدو في عين رعاياه كأنما يكاد يقوم مقام « العناية » الربانية في العطف عليهم » مج ٢ ص ٩٠ .

## ● هوامش الفصل الخامس والعشرين

(١) ينبغي لنا تعليلا لهذا العدد الخارق من المنجمين ، أن نفترض أن الكهنة بجميع أنواعهم ونعوتهم كانوا يحدقون فن الخفايا ( أو ما وراء الطبيعة ) .

(٢) حدث فيما بعد ذلك من أزمان أن أصبح نشر التقويم الصيني من شئون الحكومة وحدها ، ولا يجوز نشر أى تقويم الا بتصديق امبراطور . حيث أصبحت النواحي الفلكية حساسا يقوم به الأوروبيون ، وفى حين يخرج الصينيون النواحي التنجيمية .

(٣) يبدو أن منجمي بكين لم يكونوا مبرئين من تهمة اللجوء أحيانا الى استخدام وسائل شائنة لجعل الأحداث تتوافق مع تنبؤاتهم ، وهو الوضع الذى تذكر يوميات سفراء الشاه رخ حالة فريدة منه . فهم يلاحظون : « كان منجمو خاتاي تنبأوا بأنه فى تلك السنة ستدمر النيران قصر الامبراطور ، وكانت تلك النبوءة موضوع هذا الحدث اللافت للنظر وبعد أن اجتمع الأمراء ( المندرين ) ، أقام لهم الامبراطور حفلا وأولم لهم وليمة » . وبعد ذلك بثلاثة أشهر نجد الفقرة التالية : « وفى الليلة التالية ، وبأمر مقدر من الله ، اشتعلت النار بالقصر الجديد للامبراطور ، بغير أن يخلو الأمر من الشبهة فى التدليس والخيانة من جانب المنجمين وكانت النتيجة أن أحرق عن آخره الجناح الرئيسى الذى طوله ثمانون ذراعا وعرضه ثلاثون » .

(٤) يقول ده جنى الأب : « لدى التتار أيضا دورة من اثنى عشر عاما . واستمدت أسماء كل عام من اسم حيوان مختلف ، وهكذا قد يقول المرء سنة الفأر ، أو العجل الخ ٠٠ تعبيرا عن السنة الأولى والثانية ، وفى نهاية السنوات الاثنى عشرة ، يعودون الى العدد من البداية بنفس الطريقة . واستخدم الصينيون هذه الدورة أحيانا » . ( انظر Hist. des Huns مج ١ ص ٤٧ ) . تختلف أسماء السنين بعض الاختلاف ، على ما وردت عند مختلف الكتاب ، ولكنها على حسب أحدث المصادر الثقة تجيء على الترتيب التالى : « الفأر ، والثور والبيز والأرنب والتنين والنمسان والحصان والشاة والقرد والديك والكلب والخنزير ، ومن هنا يظهر أن بيان مؤلفنا عن الدورة ليس معيبا ناقصا فحسب ، ولكنه خاطئ أيضا ، ان كن وضع الأسماء حقا على الترتيب الوارد بالنص . والمقصود من

الأسد ( كما أوضحنا من قبل هـ (١) ص 194 هو الببر ، على أن هذه الحيوان ، بدل أن يكون أول المجموعة ، إنما هو الثالث فقط ، وينبغي أن يجرى بعد الثور بدل أن يسبقه ، كما أنه لا التنين ولا الكلب بمنسوب لهاتين السنتين العدديتين اللتين حددتا لهما . غير أن ما أورده كاف تماماً لاعطاء القارئ معرفة عامة بالتقويم التتري ، والراجع أن ما كتبه أو أملاه بلغ هذه الغاية ، وهي أن كل سنة من السنوات الاثنتي عشرة كانت تحمل اسم حيوان ، كالأسد والكلب والثور . . الخ . بغير قصص له ، تزويدنا بقائمة مضبوطة .

## • شروئش انشيدل السادس والعشرين

(١) الواقع ان عادة تقديم العبادة الى لوحة منقوشة بدلا من صورة المعبود أو تمثاله ، عادة كاثائية لا تشريعية ، ولكنها ربما اقتبسها الشعب التتري مع غيرها من الممارسات النصيفية الأخرى ، ولا سيما الامبراطور . والكلمات المنقوشة هي ، تبين أى السماء وهوانج تبين أى - السماء ، العلى ، وشانج تى أى الرب الأعلى .

(٢) ان عبارة Sbattere i denti تترجم حرفيا صرير الأسنان أو سحقها بعضها فى بعض ، ولكن من الواضح أن هذا أسوأ فهم لما قصد به التعبير عن السجود ودق الأرض بالجبهة ومعلوم أن مرات السجود أمام عرش الامبراطور أو لوحته تسع مرات : ثلاثة فى ثلاثة .

(٣) يتحدث استاونتون عن عبادة زوجة فو وطفله فى البوتالا أى معبد جيهور : Zhehol ببلاد التتار ، ( مج ٢ ص ٢٥٨ ) .

(٤) ان ذلك هو مذهب التناسخ الهندوكى ، الذى أدخل الى الصين مم ديانة بوذا الانشقاقية (كما تنبؤنا حوليات تلك البلاد) حوالى عام ٦٥م . على أنه لم يتمكن ( حسب ما يقوله ده جنى الأكبر ) من احراز أى تقدم ضخم ، حتى عام ٣٣٥ م عندما وضعه الامبراطور الحاكم آنذاك تحت رعايته .

(٥) تبعث أرواح الرجال طبقا للاعتقاد الهندوكى الى الحياة ثانية فى أجساد جديدة « حتى تزول كل خطاياهم بتجددات الميلاد المتكررة » ، ويصلون درجة من الكمال تؤهلهم لبلوغ ما يسمى « موكتى Mukti » ، أى الخلاص الأبدى ، وهو شئ يفهم به الخلاص من التناسخ مستقبلا ، وامتصاص فى طبيعة الله الأعظم « انظر ولكن فى : Notes to Bhagvat Gita ص ١٤٠ » .

(٦) واضح أن مؤلفنا يتحدث هنا عن الكاثائيين وليس عن التتار المظاظ .

(٧) يقول ده جنى : « اذا اتهم ولد والده أو والدته ، ولو بحق ، فإنه يعاقب بالنفى » . مج ٣ ص ١١٧ .

(٨) كثيرا ما تلفت الأنظار الى التمييز في درجة العقوبة بين تنميد الاعدام في مجرم سريعا بعد صدور الحكم عليه ، أو عند انتهاء المدة المقررة ، في كتاب « Lettres édifiantes الآداب الموجبة للعبرة » .

(٩) لاحظ بل ملاحظة خاصة هذا السكون التام المطلق ببلاط بكين حيث يقول : « وبينما نحن نتقدم وجدنا جميع وزراء الدولة ، وضباط البلاط وموظفيه ، جالسين على نمارق من فراء ، مربعى الأرجل ، أمام القاعة في الهواء الطلق ، وقد حددت بين هؤلاء أماكن للسفير وحاشيته ، فظللنا على تلك الحال حتى وصل الامبراطور الى القاعة . وفي أثناء تلك الفترة . . لم تسمع أدنى نأمة ( الصوت الضعيف الخفى ) من أية ناحية » . ( مج ٢ ص ٥ ) . ثم يعود فيلاحظ التالى : « وكانت القاعة ممثلة تقريبا عند تلك اللحظة ، على أنه أدهشنى أنه لم تحدث أدنى ضجة ولا عجلة ولا ارتباك . . وباختصار ، فصصة بلاط بكين المميّزة هى النظام والاحتشام ، لا العظمة والفخامة » ص ٩ .

(١٠) يشيع هذا النوع من الوعاء بأجزاء كثير من الهند الشرقية ، ويسمى هناك عادة ، باسم المبصقة Cuspidor نقلا عن البرتغالية . وربما جاز أن يستخلص من هذا أن عادة حمل تلك العلبة شاعت بسبب مضغ مادة من قبيل نبات التنبول .

(١١) لسنا نجد فى الأوصاف المحدثّة للأثاث الصينى ورود أى ذكر للبساط والسجاجيد ، التى يبدو أن الحصر حلت محلها ، ولكن ذلك لا يستتبع ان استخدامها بطل أيضا بقصور قبلاي ، الذى كانت أسرته هى غازية فارس وغيرها من أقطار آسيا ، التى بلغت الذروة فى كمال صنع هذه السلعة الترفية . ومع ذلك فإن دوهالد فى وصفه للمدينة القصبة حاضرة ولاية شان سى يقول : « تصنع منسوجات أخرى مختلفة بهذه المدينة ، كما كان الشأن قديما ، وهم يصنعون فيها بوجه خاص أمسطه على الشاكلة التركية ، فيها شئ من الاتساع ، حسب الطاب » مج ١ ص ٢٠٤ .

## ● هوامش الفصل السابع والعشرين

(١) وردت هاتان الكلمتان في خلاصة ١٤٩٦ وطبعات البندقية التالية هكذا : Mesix أى عشرة أشهر بدلا من Dieci miglia أى عشرة أميال ، والمعنى الأخير وهو منطقي ومستقيم تتفق فيه طبعة بال مع طبعة راموسيو . وكذلك مدة رحلة مؤلفنا ، فانها تمط أيضا من أربعة أشهر الى أربعة عشر ، حيث تولدت الخلطة الثانية عن الأولى كما هو واضح .

(٢) ان هذا النهر ، الذى يكتب اسمه بصور متعددة هي : Pulisanang أو Pulisangium أو Pulisachniz أو Pulsanchimz أو Paluisangauis يبدو من الظروف هنا أنه نهر هوين هو الوارد ذكره بخريطة الجزويت وهو الذى يكون باتحاده مع نهر آخر ينساب من الشمال الغربى ، نهر بى هو أو النهر الأبيض ، وهذا النهر صالح للملاحة فى الجزء الأدنى من مجراه والى مسافة عدة أميال من البحر الأصفر الذى يصب فيه مياهه ، للسفن ذات الحمولة الضخمة ، وان كان مفرط السرعة بحيث لا يصلح للملاحة فى المنطقة التى يقطع فيها طريق مؤلفنا الى الجنوب الغربى . وربما جاز لنا أن نلاحظ أن كلمتى بولى سانجى معناها بالفارسية القنطرة الحجرية ، وليس بمستبعد أن أهالى الغرب الذين كانوا يعملون فى خدمة الامبراطور ربما أطلقوا هذه التسمية ، على مكان كانت تقوم فيه على النهر قنطرة ذات شهرة ذائعة ، وأطلقت التسمية هنا على النهر نفسه . وسيتضح للقارئ أن الاسم ورد فى Account of Caubul لالفنستون ص ٤٢٧ ، وفى ترجمة أوزلى لابن حوقل ص ، ٢٧٧ .

(٣) لا يستطيع عشرة من الخيالة أن يصطفوا جنباً الى جنب فى مسافة تقل عن ثلاثين قدماً ، بل يرجح أن يحتاجوا الى أربعين أثناء الحركة . واذن فالخطوات التى يدور الحديث حولها هنا لابد أن تكون خطوات هندسية ، وبناء على هذا الحساب يكون طول القنطرة خمسمائة ياردة .

(٤) ان حجر الحية أو Serpentinstein عند الألمان ، نوع معروف تداما ، كما أنه يعد نوعاً منحطاً من حجر اليشم .

(٥) فهم البروفسور ماجالهايز ، الذى لاحظ بوجه خاص هذا الوصف ، أن مؤلفنا انما يتحدث هنا عن المستوى الكامل الذى عليه السطح وليس عن استقامة الجوانب . فهو يترجم : « القنطرة عند

الطرفين ، أوسع منها عند قمة المطلع ، ولكن بعينه أن ينتهى المرء من الطلوع ، يجدها مسطحة مستوية كأنما عملت على خط مستقيم» • ( انظر : *Nouv. Relat.* ص ١٤ ) على أن عبارة *Uguale per lungo come se fosse tirato per linea* يبدو بالحرى أنها تشير الى التوازي العام للجانبين ، وإن تباعدا عند الطرفين ، كما هو شأن القناطر كلها تقريبا •

(٦) سبق أن أشرنا الى ان مؤلفنا عندما يتحدث عن الأسود ببلاد الصين ، كحيوانات حية ، فهو يعنى البير دون ريب ، ولكن الوضوح يختلف فيما يتعلق بالأشكال الخيالية المسخراتية *Grotesque* للامد ، سواء أصنعت من الرخام أم البرنز أو الخزف ( البورسلين ) ، النى تستخدم حليات فى المباني والحدائق العامة لهذا الشعب • وقد استعبرت فكرتا الأسد الرمزي والسلحفاة من السنجا *Singa* والكرما *Kurma* فى الأساطير ( الميثولوجيا ) الهندوكية •

(٧) من العسير علينا أن نفهم من كلمات النص ( الذى يحتمل أن غموضه كثير بسبب تكرار الاستنساخ ) موقع هذه الأعمدة الأكبر حجما بالنسبة لأجزاء القنطرة الأخرى ، ولكن يبدو أن المقصود هو أن خط الحاجز أو الدرايزين الذى كان يتكون بالتبادل من شقق الرخام والأعمدة كان فيه فى الوسط ( أو فوق الباكية المركزية أو العقد الأوسط ) عمود حجه أكبر كثيرا من باقى العمد ، قاعدته سلحفاة ، وربما أمكن الزعم ، وإن لم يعبر النص عن ذلك ، أنه كان هناك عمود مماثل فى الدرايزين المواجه فى الجانب الآخر • والحق أن مؤلفنا يبدو أنه كان يحس بهذا النوع من النقص فى وصفه عندما يقول فى ختام الفصل ما نصه : *« Et nelle discesa del pante è come nell-ascesa »* ويقول أحد المبشرين الجزويت يذكر قنطرة عبرها بهذه الناحية من الولاية : « ان الحواجز فيها مصنوعة من رخام ، ويمكننا أن نعد على كل من الجانبين مائة وثمانية وأربعين عمودا تعلوها تماثيل أشبال •• كما نرى فى نهايتى القنطرة أربعة أفيال مفرصة » انظر *Lettres édif.* مج ١٧ ص ٢٦٣ •

(٨) لا مراء أنه رغم وجسود بعض صعوبات جزئية فى الوصف ، أو شبه اعتراضات ظاهرية لقابلية تصديق القصة المدونة حول هذه القنطرة الفاخرة ، فإن هناك سندا لا يتطرق اليه الشك ، يؤيد وجود قنطرة مماثلة لها من جميع الأوجه الجوهريية ، وتكاد تقع بالتقريب بنفس الموضع الوارد ذكره ، بقدر ما يمكن تحقيقه من الأقوال الموجزة الواردة فى يوميات الرحالة من القرن السابع عشر على تأخره • على أنه يمكن الظن مع ذلك بأنه ، مع انقضاء أربعمائة عام ، لابد أن تجد تغيرات أساسية ، تحدث نتيجة للحوادث والاصلاحات بل حتى ربما التجديدات •



## ● هوامش الفصل الثامن والعشرين

(١) لا أتردد تأسيسا على الموقع النسبي والظروف الأخرى الوارد ذكرها حول هذا المكان ، أن أعتبر أن المقصود منه هو تسو تشو Tsa Cheu ، وهي مدينة من الدرجة الثانية ، دار الحديث حولها في الهامشة السابقة ، وسيبدو ذلك أمرا أكثر احتمالا ، عندما يفهم أن جوزا وان كتبت محرفة في نص راموسيو جوزا Gou-ze ، فانها وردت جيوجو (Gio-guy) في خلاصات البندقية المبكرة ووردت Gio-gui في النص اللاتيني الباريسي ) ، Gio-gui في نسخة بال و Cyongium في مخطوطتي المتحف البريطاني (B.M.) وبرلين ، وفيها كلها يقصد أن يكون الحرف الأول مخففا أو مرققا ، وأن يمثل - كما هو واضح - الصوت الصيني الذي نعبر عنه أحسن بكتابتة « تس Ts » . وقد سبق أن لاحظنا ، وسيكثر ورود الأمثلة على ذلك مرة ثانية ، - مصطلح التسمية الصينية تشو الذي يطلق على ( مدينة من الدرجة الثانية ) وكيف حرف الى جوى Gui وهي كما هو بين غلطة هجائية وقعت في كلمة جيو Giu التي تقترب تقريبا من هذا النطق الصوتي . ومدينة تسو تشو تقع وفقا ليوميات كل من فان برام وده جنى ، على اثني عشر فرسخا فرنسيا من بكين ، ولكن لما كان الأول يضيف أنها على مبعده مائة وعشرين لى صينيا ، ولما كان من المحتمل أكثر أن تكون هذه هي المسافة الحقيقية ( وذلك لأن من المحقق أن هؤلاء السادة الأفاضل لم يقوموا بقياسها ) ، فان لنا كل الحق في اعتبارها مسافة تزيد عن أربعين ميلا ايطاليا ، ( وتجعلها أقدم المخطوطات وأجودها ثلاثين ، كما هو مدون في نسختنا ) وهو الرقم الذي يحدده لها مؤلفنا .

(٢) يقرر فان برام انهم وجدوا في تسو تشو خانا ممتازا ، أي كونج كوان (Kong-Kuan).

(٣) كان هذا الطريق الأخير هو الذي سلكه الأشخاص الذين ألفوا السفارة : ( هيئة السفراء ) الهولندية في ١٧٩٥ من كانتون الى بكين ، وهو الذي يوصف هنا بأنه يوصل بامتداده خلال تسو تشو الى مانجى أو الصين الجنوبية . ويتشعب الطريق الغربى عند هذه النقطة وهو الذي أخذه البروفسور فونتاني في ١٦٦٨ ، ووصفه وصفا دقيقا في يومياته التي نشرها دوهالد .

(٤) من الواضح أن تا ان فو أو تاين فو انما هي تاى يوين فو ، عاصمة ولاية شان سى العصرية ، التى كثيرا ما كانت فى العصور القديمة مقرا لحكومة مستقلة • وموقعها يقارب الغرب الجنوبى بالنسبة لتسوتشو ، كما أنه يبدو أن المسافة تقارب عشر مراحل مريجه

(٥) ان الظروف الواردة هنا لا تزودنا بوسيلة لتعرف هذا المكان ، الذى لم يعرفه مؤلفنا الا سلفا • ويرجح أن يكون موقعه فى الشمال الغربى ، على ما يفعل بعد ذلك اذ يتحدث عن أماكن أبعد شقة ، تقع فى اتجاه جنوبى غربى ، وربما كان المقصود هنا هو مدينة تاى تونج فو ، التى تقع فى ذلك الاتجاه • ومن البين ان اسم آنش بالوتش تترى ، وهو يساعد على ايضاح أن انعدام الحرف الحلقى الأخير فى كانبالو ، الذى يضيفه الفرس اليها ، انما هو حذف عارض • ولم يرد فى الطبعاات اللاتينية ذكر لهذه المدينة •

(٦) رأينا أن حملات الصيد العادية للخان الأعظم كانت تجرى اما فى شانج تو ، التى تقع شمال بكين أو فى اتجاه بلاد التتار الشرقية ونهر عامور •

## ● هوامش الفصل التاسع والعشرين

(١) يقول البوفيسور مارتين الذى ينقل عنه دوهالد : ان مدينة تاي يوين العاصمة ، كانت توضع دائما فى مصاف أضخم المدن القديمة الفاخرة وأحسنها عمارة : ولها أسوار حصينة جدا ، محيطها يقارب الثلاثة فراسخ وهى آهلة بالسكان ، كما أنها تقع فوق ذلك بإمكان ملائم جدا وصحى جدا ٠٠ فلا غرابة اذن فى أن يوجد بها ذلك العدد الجم من العمائر البالغة الذروة فى الفخامة ، كما أنها كانت بعد هذا مقرا وسكنا للعدد الكبير من الملوك » ( انظر Thevenot مج ٢ ص ٤٨ ) . وربما وجب هنا أن نلاحظ أن ما يبدو أنه المقطع الختامى فى أسماء المدن الصينية ( ولكنه مقطع أوحده مميز ) ، يقوم بالدلالة على حجمها أو مرتبتها ، ودائرة اختصاصها الادارى. المدنى أى ما يتبعها : وهكذا يدل مقطع فو أو فو Fû or Fou على مدينة من الدرجة الأولى ، يقع تحت اشرافها عدد معين من المدن المنتمية الى الدرجات الأدنى ، ويومئ مقطع تشيو أو تشو Cheu or Tcheu الى مدينة من الدرجة الثانية ، خاضعة للاشراف الادارى لمدينة وصفها « Fû » كما ينبئ مقطع هين Hien عن مدينة أو بلدة من المدن المنتمية الى الدرجات الأدنى ، ويومئ مقطع تشيو أو تشو كل مدينة أعظم تحتوى فى داخلها دوائر الاختصاص التابعة هذه .

(٢) أقدمت فى هذه الواقعة على تصحيح نص راموسيو ، بوضع كلمة « الأعناب » بدل « النبيذ » ، وأن تطابق مع خلاصة البندقية والترجمة اللاتينية ، وذلك لاقتناعى بأنه بسبب الجهل بالحقائق ، أسئ فهم تعبير « الأصل » فجعل النساح مؤلفنا يتحدث عن الشراب بما كان المقصود منه أن ينطبق فحسب على الثمر . يقول ده جنى : « تنتج الصين العنب » . ولكنها بلاد لا تنتج النبيذ : فان الأعناب نفسها تبدو قليلة الصلاحية لصنع النبيذ ، كما أن المبشرين بمدينة بكين لا ينجحون الا بغاية الجهد فى صنع النبيذ منه » ( مج ٣ ص ٣٤٨ ) . فاما أن العنب المجفف أو الزبيب ، كان هو السلعة التجارية التى قصد مؤلفنا وصفها ، فشىء فى اعتقادى ، أنه يعد محتملا تماما بنفس الدرجة على الأقل ، وذلك بقدر ما يجعله التصحيح متمشيا مع نفسه ، ومع معلوماته ، مع مراعاة المعرفة التى حصلنا عليها منذ عهده الى اليوم .

## ● هوامش الفصل الثلاثين

(١) ان هذه هي مدينة بن يانج فو ، الواقعة فى الجنوب الغربى الجنوبى بالنسبة للمدينة السابقة وعلى نفس النهر ، وتبدو ضسفاً ، فى مجراه من أوله لآخره ، مغطاة بالمدن • ويمكننا أن نحقق تأسيساً على موقعها بالنسبة لنهر هوانج هو ، (أى النهر الأصفر) أنها المدينة التى زاوها سفراء الشاه رخ ، عندما عبروا قنطرة الزوارق الشهيرة ، والتى قالوا عنها بعد وصفهم ما عليه معبدها العظيم من فخامة : « وقد لاحظوا وجود ثلاثة مواخير عمومية بها ، وجد بها بنات هوى على جانب عظيم من الجمال البارع ، ومع أن بنات خاتاي جميلات على وجه العموم ، فانهن هناك مع ذلك أكثر جمالا منهن فى أى مكان آخر ، ومن ثم فالمدينة من أجل ذلك تسمى مدينة الجمال » • ( انظر Thevenot الجزء الرابع ص ٥ )  
ربما جاز لنا أن نزن أن هذا هو نوع الشهرة التى يشير اليها مؤلفنا بكل احتشام •

## ❁ هوامش الفصل الحادى والثلاثين

(١) اسم المكان المسمى هنا ثاى جن وتاى جن ورد فى النسخ اللاتينية تشين كوى : « Chin Cui » وكاى كوى Cay cui ، كما ورد فى الخلاصات الايطالية تشاى كوى Chai cui ( وفى اللاتينية الباريسية كاى توى Cay tui ) وهى أسماء بلغ تباعدها وعدم تشابهها ، أنه ربما ذهب المرء الى الظن أن من العصب التعرف عليها عن طريق هجائها الوارد هنا ، ولكن موقعها بين بن يانج والنهر الأصفر الكبير يبين مع بعض الاحتمال انها كياى تشيو : Kiai-tcheou الواردة فى خريطة الجزويت ، ثم ان صوت كلمة كياى ، الذى هو الجزء الجوهرى من الاسم يبدو مختلفا اختلافا شديدا عن كاى وتشاى الواردين فى الترجمات اللاتينية والايطالية المبكرة . وفيما يتعلق بالمقطع الأوحى الأخير ، سواء أكتب محرفا « جين » ( بدلا من جيو ) أم كوى ( بدلا من كيو Ciu ) ، فان ما لا شك فيه أن المقصود به هو كلمة « Chiu, tcheou, giu or ciu » ( حسب طريقة كتابتها بحروف الهجاء الأربعة المختلفة ) وهو لفظ يدل ( كما لوحظ من قبل ) على بلدة من الدرجة الثانية .

(٢) حول اسم هذا الأمير الذى يكتب دور فى نسخة راموسيو وكذا الخلاصات الايطالية ، بطريقة غير معقولة الى داريوس ببعض الطبقات اللاتينية . وانى لأعترف أنه ليس بين الكلمة الأولى أية مشابهة للغة الصينية ، كما أن مشابهتها لكلمة تترية ضئيلة جدا ، ومع هذا ، فعلى افتراض حتى أن الحكاية من أولها لآخرها ليست سوى أسطورة شعبية ، تسلى بها مؤلفنا أثناء رحلاته عبر البلاد ، الا أن أسماء الممثلين ينبغي ألا تكون غير منسجمة ولو بدرجة قليلة مع لغة سكانها ، ومن ثم فانى أجنح الى المخاطرة بحدسة تتعلق بذلك الاسم ، ربما ظنها البعض جريئة جدا ، وان كنت أعتقد أنها ستبدو قريبة الاحتمال جدا . نند أولئك القراء ، الذين يحسنون العلم بتواريخ هؤلاء القوم . فمن المعلوم أنه قبل فتوح جنجيز خان ، كانت الولايات الشمالية بالصين خاضعة لسلطان شعب من شرق بلاد التتار ، يسمى شعب نيوتشييه ( Niuche ) أطلق على أسرته المالكة اسم « كن Kin » اقتباسا من لفظة معناها « الذهب » فى اللغة الصينية . يقول مؤرخ « الهون » : « فى عام ١١١٨ نودى بأوكونا » امبراطورا فأطلق على أسرته اسم « كن » باللغة الصينية واسم آلتون بلغة شعبه ، ومعناها « الذهب » ، ومن هنا أطلق عليهم العرب اسم « آلتون

خانات » • ( مج ١ ص ٢٠٨ ) أليس من الممكن أن يكون هذا الأمير منتميا الى أسرة كن هذه ، وهم معاصرو أون خان ، ثم ألا يمكن أن يكون المقصود من لفظة دور D'or أو دورو عند مؤلفنا هو ترجمة اللفظة الصينية ؟ ان هذه الكلمة تدخل في تركيب كثير من أسماء الأعلام ، كما أنها كثيرا ما تؤدي بوضع معادلها في اللغات الأوروبية ومكانها ، كما هو الحال في كن نشان أى جبل الذهب •

(٣) يلحظ القراء أن مؤلفنا لا يعبر عن نفسه بأية درجة من الثقة فيما يتعلق بصديق هذه المغامرة الرومانتيكية فان لم تكن الاحكاية تافهة أدخلت عليه بوصفها حقيقة تاريخية فلا بد انها كانت من اختراع التتار الصينيين ، الذين ما كانوا ليسمحوا بأن يكون أمير لشان سى تابما اقطاءيا لملك تترى • بل على العكس من ذلك ، يؤكد جوبل أن حولياتهم تصف أون خان نفسه بأنه تابع لملوك أسرة كن ، وأن لقب فانج الصين ، أى أمير ، كان يلحق بلقبه الأصلي « خان » فيصبح لقبه فانج خان ، الذى حوره العرب فجعلوه أونج خان أو أون خان • ( ورد البيان الخاص باستقبال البريسترجون له بتفصيل أكثر قليلا فى النسخة اللاتينية التى نشرتها الجمعية الجغرافية الباريسية ) •

## ● هوامش الفصل الثانى والثلاثين

(١) من المعروف تماما أن هذا الاسم الذى (كتب كاروموران فى النص اللاتينى ، وكارمورو فى الخلاصات المبكرة وكاتا ميتام فى النسخة اللاتينية الباريسية ) ، ومعناها النهر الأسود ، هو التسمية التثنية لذلك المجرى العظيم ، الذى يخترق بمجره الشديد المتعرج ، بلاد الصين كلها ، تحت اسم هوانج هو ، أو النهر الأصفر ، وقد سسمى كذلك نسبة لبلون مياهه ، المحملة بالطين الأصفر \* وليس من المستبعد فى الوقت نفسه أن النهر فى الجزء الأعلى من مجراه اذ يعبر من خلال تربة أخرى مختلفة لعلها طحلبية التكوين ، - مدين بلونه ذاك الذى ربما كان مبررا أيضا لنعته بصفة الأسود .

(٢) ان بعض أنهار بلاد التتار تصب مياهها فى بحيرات ، بينما تضيع أنهار أخرى بددا فى الصحراوات .

(٣) كثر ذكر هذه الطيور ، بموضع تقع قرب النهر الأصفر .

(٤) من المعلوم أن قصب الخيزران Arundo bambo الذى هو واحد من أنفع المواد التى أمدت بها الطبيعة سكان الأقاليم الدافئة ، - نبات شائع بكثير ببلاد الصين \* ويذكر كتاب Mém. concern. les Chinois ص ٥٣٢ ، أن الشطر الأعظم من المنازل بولاية سى تشيون (se-Chuen) مبنية من الخيزران \* وخط عرض نهر كاراموران « قره قوران » أو هوانج هو الذى يدور الحديث هنا هو حوالى ٣٥° شمالا \* فأما لو توغلنا شمالا أكثر لم يحتمل نمو الخيزران بازدهار .

## ● هوامش الفصل الثالث والثلاثين

(١) لم يتمكن في خريطة دوهالد من ترسم اسم كاكيان فو أو كاتشان فو ، الذى ورد في خلاصة البندقية المبكرة كانكيان فو وفي نسخة بال كيانفو ( ولكنه لا يرد في مخطوطة المتحف البريطاني ، ولا في الطبعة اللاتينية المبكرة ) ، كما أنه لا يبدو أن هناك مدينة من الدرجة الأولى ، ( فما يعرف بدلالة المقطع الاضافى فو ) بين ذلك الجزء من نهر هوانج هو وبين عاصمة ولاية شن سى ، وهى التى يتجه اليها خط سير مؤلفنا هنا .

(٢) ان الخلنجان أو الجالنجال ، المعروف جيدا في علم الأقربازين ، هو جنود نبات من الفصيلة السعدية « Kaempferia » . وفي اعتقادى أن المقصود من كلمة سسبيكو Spico الايطالية هو سسنبيل الطيب (Nardus Indica)



## • هوامش الفصل الرابع والثلاثين

(١) المفهوم أن ولاية شن سى هى المقر الرئيسى للمسيحية ، يوم بشر بها النسطوريون فى هذه البلاد فى عهد مبكر . ونظرا لأنها أشد الولايات التى تؤلف امبراطورية الصين تغلغلا فى الغرب ، فانها كانت أسهل الولايات مدخلا على من يسافرون برا من سورية وغيرها من الأقطار الحافة بالبحر المتوسط .

(٢) لا يصح أن يفهم من كلمة التركمان « تنار الصحراء » وإنما المقصود بهم هم التجار الوافدون اما من تركمانيا بآسيا الصغرى ( وهى مملكة سلاجقة الروم ) ، واما من بخارى ، التى كانت قديما عاصمة التركستان ، وهى مكان عظيم التجارة والحضارة .

(٣) مهما اختلف اسم كن زان فو عن سى نجان فو أو سيجان فو ( وهو الاسم الشائع فى كتابتها ) فإن الظروف تدل على أن المدينة الفاخرة التى يصفها النص انما يقصد بها عاصمة ولاية شن سى ، التى يظهر أنها تبعد حوالى تسع مراحل عن منطقة عبور نهر هوانج هو . من العادات السيئة تغيير أسماء الأماكن المهمة ( وهو أمر له على الدوام دلالة ) ، عند تبوؤ أسرة جديدة للعرش ، وتبعاً لذلك فإن الأسماء المتعددة : كان تشنج وبن غنج وتشانج جان ونجان سى ، التى قلبت بظل أسرة منج ( ١٣٧٠ ) وجعلت سى نجان ، يسجل التاريخ أنها أطلقت على هذه المدينة فى مختلف الفترات .

(٤) انظر التذييل ٢ .

(٥) نجد فى قائمة بأولاد قبلاى أوردها ده جنى ( Hist. Gén. des Huns الكتاب ١٦ ص ١٨٩ ) أن الثالث فيهم واسمه مانج كولا ، كان حاكما لشن سى ، وسى تشوين والتبت .

(٦) يقول ده جنى الصغير اجتلب المغول أو اليوون ، الذين استولوا على العرش فى ١٢٧٩ وطردهوا أسرة صونج من البلاد ، — معهم عددا جما من المسلمين . وتزايد عدد هؤلاء كثيرا ، حتى عهد أسرة منج ، التى بدأت حكمها فى ١٣٦٨ ، بعد أن دمرت التتار .

## ● هوامش الفصل الخامس والثلاثين

(١) الاقليم الذى ينطبق عليه مؤلفنا هنا هو ولاية سى تشوين التى تقع الى الجنوب الغربى من سى نجان فو ، كما أنها منطقة جبلية .

(٢) سبق أن ذكرنا أن « بليخ » مصطلح يدل فى بلاد التتار على « مدينة » وأن « آق » فى لهجات التركستان معناها أبيض وهو ما يبرر ترجمة مؤلفنا للاسم ، ولكن لماذا اضطر الى التعبير عنه بالترية ، الهم الا على أساس افتراض أنه نسي التسمية الصينية ، ذلك ما لم نستطع تبينه . وانى لأعترف أيضا أنه مع المتاح من الأضواء الخافتة لا يمكنى القيام بأى تخمين أرضاه فيما يتعلق بموقعها ، وهو أمر يستحق الأسف بالأكثر لأنه كان سيمكننا من التحقق من الحدود الشمالية الغربية لمانجى ، أو الصين الجنوبية .

(٣) ربما جاز لنا أن نشك فى أن الجذور المسماة هنا بالزنجبيل ، لا يقصد منها سوى التى نسميها الجذور الصينية ، ويسميها الصينيون « الفولين » « Fulin » أى الفشاغ (smilax) والذى ينمو على أكمل وجه بهذه الولاية ، ومن أجل ذلك أصبح من الضروري ، وكان فى ذلك الحين معروفا على قلة أن كان معروفا اطلاقا فى عالم الصيدلة الأوربى ، — أن يعمل محله اسم معروف لدى الناس . يقول البروفسور مارينى : « ان الجذر الصينى الحقيقى لا يوجد الا فى هذه الولاية ، أما النوع البرى منه فينبت فى كل مكان » .

## ● هوامش الفصل السادس والثلاثين

(١) يبدو من الظروف المبينة هنا أن هذه المدينة التي تسمى في طبعة بال وكذا طبعة راموسيو باسم سن دن فو ، كما تسمى في اللاتينية الأكبر سين دى فو ، في الخلاصات المبكرة سنديفا ، هي المسماة الآن باسم شينج توفو ، الواقعة على الجانب الغربى من ولاية سيه تشوين ، التي هي عاصمتها . وليس خط الحدود الغربية لمانجى ، كما لاحظنا آنفا ، بمعروف جيدا ، ولكن من الواضح من العمليات العسكرية التي جرت فى ١٢٣٦ و ١٢٣٨ ، أو أسرة صنج التي كانت تحكمها آنذاك ، كانت صاحبة السيادة فى مدينة تشنج تو هذه . ويقال ( مع كثير من المبالغة ) ان المدينة عندما أخذها المغول عملوا السيف فى رقاب مليون وأربعمائة ألف من سكانها . ( انظر Hist. Gén. de la Chine مج ٩ ص ٢١٩ ) .

(٢) لابد أن الملك الذى جرى الحديث عنه هنا ، كان تابعا - اما لأسرة صنج أو للمغول ، وربما كان أحد الذين تلقوا لقب فانج الصينى ، وكان مستقلا الى حد ما تبعا لمدى نشاط الحكومة العمومية .

(٣) لم تكن هذه الخاصية لقناطر مدينة سى تشوين موضع ملاحظة ممن كتبوا البيانات الهزيلة التي اجتمعت لنا عن هذه الولاية ، والتي تدوب كلها فى المعلومات الأصلية التي أوردها البروفسور مارتيني فى أطلسه الصينى Atlas Sinensis ( ١٦٥٥ ) . وتذكر النسخة اللاتينية لمؤلفنا ، ان الدكاكين أو الأكشاك كانت تقام صباحا ، وتزال عن القنطرة ليلا .

(٤) ورد فى الترجمات الأخرى ان المبلغ ألف بيزنطى ( أو سكويين ) لا مائة .

(٥) تشكل الأنهار الكثيرة التي تحيط بمدينة تشنج تو ملتزاها بالتعاقب ، وتصب مياهها الموحدة فى نهر كيانيج الأعظم ، على الصورة الموصوفة هنا ، ولكن بعدها عن ذلك الملتقى أكثر كثيرا مما تدل عليه عبارة النص . أجل أن طبعة بال تقول ان نهر كيانيج يمر من خذل المدينة ، « per medium hujus civitatis transit fluviu qui dicitur Quian fu Kiang-su » ( على أن اسم النهر فى النسخة اللاتينية الباريسية هو كوينجيا فو ) ، ولكن فضلا عن ذلك فان طبيعة النهر تغند الحقيقة ،

وربما أدت القراءة الإيطالية لنفس الفقرة الى تفسير الغلطة في الخلاصات المبكرة ، حيث يجيء التعبير على النحو التالى : « Per mezo questa terra passa uno grande fiume » هنا عن Citta « أنه يمر من خلال المنطقة .

(٦) ورد فى اللاتينية انها تسعون يوما ، وفى الإيطالية المبكرة سبعةون مرحلة ( أو مسيرة يوم ) . وتعاذل المسافة من مدينة سو تشيو فو ، التى تقع عند ملتقى النهر الذى يجرى من تشنج تو بنهر كيانج ، ما يقارب أربعة أخماس عرض الصين .

(٧) تعد هذه الجملة استمرارا لحديث سن دو فو ، وكان ينبغى وضعها بجزء أسبق من الفصل . وذلك يظهر الأسلوب غير المصطنع الذى أنشئ به العمل .

## • هوامش الفصل السابع والثلاثين

(١) قد يقصر اسم (Thebeth, Thibet and Tibet) (وينطقها ابن بطوطة) التبت بضم التاء وتشديد الباء) أحيانا على ذلك القطر الواقع على الجانب الشمالى لجبال الهمالايا ، وهو تحت الحكم المباشر للدلاى لاما واليانشن لاما ، كما أنه يجعل فى بعض الأحيان بحيث يضم كل المنطقة التى يطلق عليها فى أحوال أخرى اسم تانجوت ، بما فى ذلك الأمم الحافة جنوب ولايتى سى تشوين وشن سى ، اللتين يسميهما الصينيون سى فان أو توفان . ويبدو أن مؤلفنا شرع الآن فى الحديث عن هذه الأجزاء الشرقية التى تبدأ على بعد حوالى رحلة خمسة أيام من مدينة تشنج تو .

(٢) ان الانفجار الشديد الارتفاع الصوت للخيزران المحترق معروف جيدا لكل من شهد حريقا يشب فى قرية أو سوق ، بالأقاليم التى تبني مبانيها من تلك المادة . وأشد الأشياء شبيها بذلك إطلاق الأسلحة النارية بجميع أوصافها إطلاقا غير منتظم ولكنه غير منقطع فى ليلة من ليالى الاحتفالات العامة بانجلترا .

(٣) يقول البروفسور مارتيني ، متحدثا عن ولاية بون نان ، التى تصاقب ولاية التبت ومشيرا الى سكانها : « لا يتزوج انسان بنتا بينهم ، لم يصاحبها أحد أولا قبله ، وهذه هى أقوال مؤلفنا الصينى » . ص ١٩٦ .

(٤) هذه هى المرة الثانية فى الكتاب التى تستخدم فيها كلمة القافلة أو القروان « Caravan » وهى المشتقة من لفظة Karawān الفارسية والمتبناة فى معظم اللغات الأوروبية . ( انظر الكتاب الثانى الفصل ١٨ ) . والمصطلح العربى الذى ربما ظننا أنه كان يحتمل أن يدخله الصليبيون الى لغاتهم هو لفظ « القافلة Kāfilah » ( وقد أورد ابن قتيبة فى أدب الكاتب والقاموس الوسيط لفظة القروان بمعنى القافلة ) .

(٥) ذلك مبلغ فسوق الطبيعة البشرية ، بحيث لا يقتصر الأمر على اذلال واخضاع السنن الخلقية بل والغريزية أيضا من أجل التعطش الى كسب المال أو الولع بالشهوات . ويلاحظ ترنر أثناء رحلته فى منطقة كوش بهار فى طريقه الى بلاد التبت « انه ليس هناك شئ أشيع من أن ترى أما تزين ابنتها وتحضرها الى السوق ، لا يداجيها أمل آخر ولا غرض

آخر الا زيادة الأجر الذى قد تحصل عليه عن تلك « الزينة » انظر  
Embassy to Tibet ص ١١ .

(٦) ربما اتصف « السى فان » بهذا الطبع الميال الى السرقة ، وهم  
شعب يتاخم الولايات الصينية ( وهو طبع ظل دائما يلزم كل المتأخرين  
المحدود ) ، على أن الرحالة يصفون طباع سكان التبت ذاتها ، بأنها  
تمتاز بوجه خاص بالسذاجة والأمانة .

(٧) فيما يتعلق بتأثير القمر على أفراز المسك ، يخبرنا  
استراهلنبرج « انه ليس فى كل الأحيان بنفس القوة ، ولكن ، خير  
أنواعه ما أفرز صيفا ، أثناء فترة ذروة النزو والسفاد ، وفى أيام اكتمال  
القمر بدرا » ص ٣٤٠ .

(٨) لم نثر على كلمة جودرى ولا أية كلمة قريبة منها فى أى قاموس  
من القواميس التى لدينا فى لغات بلاد التتار . والحيوان ، كما يقرر بل  
Bell يسمى بالأجزاء الشمالية كابرديا أو كابردين كما يقول  
استراهلنبرج ، هذا الى أن كركياتريك فى بيانها عن نيبول يسميه  
كاستورا . والواقع أنه ليس من المستبعد أن الجودرى أو الجادري Gadderi  
( كما ورد فى النسخة اللاتينية ) ربما كان تحريفا لكلمة « كاستوري »  
الفارسية ، وهى الاسم الشائع للعقار بكل أرجاء الشرق . والمعقول أن  
التجار المسلمين كانوا يستخدمونها حتى على حدود الصين .

(٩) ربما لم يبد محتملا أن يحمل المرجان الأحمر الثمين المنتج على  
شواطئ البحر المتوسط الى حدود الصين بمقادير كبيرة تكفى لاستخدامها  
هناك عملة ، كما أنه ليس من المواد السهلة التقسيم بحيث يناسب هذا  
الغرض ، فأما استخدامها بصفة عامة على سبيل الحل فشىء يدلنا عليه  
تافرنبيه براهين كافية تؤيد ذلك . ومما يستلقت الأنظار أن أهائى التبت  
لا يزالون حتى يومنا هذا محرومين من عملة خاصة بهم ، ولكن عملتهم  
التي يستخدمونها يزودهم بها جيرانهم سكان نيبال .

(١٠) ان كثيرا من الجداول التى تنبع من الجانب الشرقى من بلاد  
التبت ، وتكون باجتماعها أنهار الصين العظيمة ، تنتج كثيرا من الذهب ،  
الذى يجمع من قيعانها تبرا ، أو كتلا صغيرة . وهو أمر ملحوظ بوجه  
خاص فى نهر كن شاكيانج . يقول دوهالد :

« لا يستطيع المرء أن يحدد ، عن كثير من الأنهار التى يراها المرء  
على الخريطة ، أيها يزود الصين بجميع الذهب الذى يحمل إليها . وينبغي  
أن يبحث عنه الناس فى رمال كثير من هذه الأنهار : ومن المؤكد أن النهر  
الكبير كن شاكيانج الذى يدخل ولاية يون نان ، يحصل منه الكثير فى

رماله ، وذلك لأن معنى اسمه هو النهر ذو الرمال الذهبية « ( مج ٤ ص ٤٧٠ ) ، « ان بأقاليم » التوفان » ، التي تسمى نان مو ، نهرا يحمل اسم لى نيو يوجد به كثير من الذهب » انظر : Mém. concernant les Chinois مج ١٤ ص ١٨٣ .

(١١) يلاحظ الدكتور ف . بوكانان في وصفه لعادات شعب بعينه باقليم آفا أو بورما أن « بعض النساء كن يرتدين عقودا ثمينة من المرجان حول أعناقهن » . انظر Symes' Embassy ص ٤٦٥ .

(١٢) ربما بدا هذا غلوا وتزييدا ولكن رحالة آخرين يصفون كلاب التبت بأنها ذات حجم غير عادى . يقول ترنر : « كان يوجد على اليسار صف من الأقفاص الخشبية تحوى عددا من الكلاب الضخمة ، القطيعة الشراسة البالغة القوة وشدة الضجيج . وموطنها الأصلي هو بلاد التبت ، وسواء أكانت متوحشة بطبيعتها ، أم هائجة متمردة بسبب حبسها ، فانها على كل حال شמוש هائجة ، بحيث كان من الخطر ، الاقتراب من أقفاصها ما لم يكن حراسها موجودين ، ثم يقول فى مكان آخر : « لدهشتى وفى اللحظة التى دخلت فيها البوابة ، هب كلب ضخمة ، بلغ من ضخامته ان كان كفئا لقتال أسد ، لو أن شجاعته عادلته حجمه » انظر : « Embassy to Tibet » ص ( ١٥٥ - ٢١٥ ) . وبناء على هذا الاقرار ينبغي أن يلتبس لمؤلفنا العذر على هذا الغلو . وان كانت بعض البيانات الأخرى لا تحمل نفس الضخامة . يقول الكابتن رابر : « كان أحدها حيوانا جميلا بصورة لافتة للأنظار ، يعادل حجم كلب نيوفوندىلى ملىء الجسم وله شعر طويل جدا ورأس تشبه رأس الدرواس ( Mastiff ) . ولذيله طول مدعى ، يشبه فرشة ذيل الثعلب ، وهو ملوى مجمد لأعلى حتى منتصف ظهره على أنه كان من بالغ الشراسة بحيث لا يسمح لأجنبى بالاقتراب منه » . انظر : Asiatic Res. مج ١١ ص ٥٢٩ .

(١٣) عن بيان عن هذا الحيوان ، وهو The bos grunniens انظر أعلاه ص ١٣٦ (٢) و ص ١٣٧ (١) ، لم أتمكن من أن أكتشف أى أثر لكلمة بيامينى ( التى لا تظهر فى الخلاصات اللاتينية ولا الإيطالية ) . وربما كانت تحريفا لكلمة براهمينى . ويقال ان الحيوان يسمى ياك ببلاد التبت ، وتشورى chowri فى التبت وسوراجاى بالهندوستان .

## ● هوامش الفصل الثامن والثلاثين

(١) المدينة التي يبدو من ناحية الموقع وغيره من الظروف أنها تتجاوب أحسن تجاوب مع وصف كايين دو ، هي مدينة يونج ننج تو ، التي تقع على الجانب الغربى من نهر « يالونج كيانج » ، قرب خط عرض ٢٨ ، وإن جاز لنا من ناحية أخرى بناء على شيء من التماثل فى الصوت أن نظنها لى كيانج تو ، وهي مدينة لا تبعد كثيرا عن الأولى ، ولكنها تقوم على الضفة الغربية لنهر كن شاكيانج ، أعلى ملتقاء مع النهر السابق .

(٢) لم أجد فى أى مرجع آخر ما يؤيد أن البحيرة المجاورة ليونج ننج تو تخرج اللؤلؤ ، وإن كان ماتينى يعدد اللؤلؤ بين المنتجات الثمينة فى هذا الجزء من الصين : « ويستخرج أيضا من هذه الولاية ، اليانوت الأحمر des Rubis والياقوت الأزرق des saphirs وعقيق اليمان des agathes مع كثير غيرها من الأحجار الكريمة والآلء » . ( ص ١٩٤ ) ولاحظ كثير من الكتاب مصايد اللؤلؤ فى أنهار بلاد التتار الشرقية .

(٣) ويمثل هذا البديل من العملة « اللارين Larin المستخدم بخليج فارس مع فارق هو أن اللارين يحمل دمغا معيبا . وفى أقاليم سومطرة التي يحصل فيها على ثبر الذهب وترايه ، تشتري به جميع أنواع اللوازم حتى ما هبط منها الى سعر حبة بر واحدة . وفى الامكان أن يعد تشكيل المعدن قضبانا ، وبتر قطع منها حسب الحاجة لاستخدامها عملة ، خطوة نحو سك عملة وضرب نقود . ونذكر هنا أن الصينيين فى كائنون يقطعون الدولار الأسباني بنفس الطريقة ليسددوا ما عليهم من مدفوعات صغيرة .

(٤) يقول البروفسور مارتينى ، فى وصفه لمدينة يا أوجان ، الموجودة بنفس الولاية : « يوجد قرب المدينة بئر مياهها ملحة ، وهم ينزحون ماءها لاستخراج الملح منه ، وهو ملح ناصع البياض ، يستخدمونه بجميع أرجاء البلاد ، ويسمونه بيسه ين سنج ، أعنى البئر ذات الملح الأبيض » . ص ٢٠٤ .

ويظهر اسم بيه ين سنج فى خريطة دوهالد لاقليم يون نان .

(٥) كان ساجيو البندقية يعادل فى الوزن سدس أوقية ، وبناء على هذا كانت قيمة كعكة أو قرص الملح تعادل جزءا من أربعمائة وثمانين



من أوقية من الذهب ، التى لو كان ثمنها أربعة جنيهات استرلينية ، لأصبحت قيمة كل قرص أو كعكة بنسين اثنين بالضبط : وهى صدفه . لم تكن متوقعة بأية حال . ومع ذلك فان دقتها لابد أن تتوقف على مقارنة بين البنس الانجليزى وبين الدينار البندقى فى تلك الأيام .

(٦) يوجد خير أنواع المسك فى الأجزاء الغربية من بلاد الصين . والشرقية من التبت أى اقليم السى فان . ويتحدث عنه مارتين فى أطلس Sinensis ( : أطلسه الصينى ) بأنه انتاج أماكن متنوعة فى يون نان .

(٧) لعل هذه أشد الأخطاء المجردة من كل أهلية وأساس ، التى وردت حتى الآن فى العمل ، وذلك لأن القرنفل (Garofali) والدار صيني ( القرفة الصينية ) أو القرفة العادية : (Canella) لا تنمو بالتأكيد فى ذلك الصقع من العالم ، ولا هى تنمو بأى مكان يتجاوز المنطقة المدارية . والوسيلة الوحيدة لتعليل ورود بيان يناقض الحقيقة الى هذا الحد ، هى افتراض أن مذكرة منفصلة حول ما شاهده مؤلفنا بجزر ( التوابل : البهار ) ، ( وهناك احتمال كبير بأنه زارها وهو بعد فى خدمة الامبراطور ) ، - قد أدخلت فى وسط وصف لا علاقة لها به بناتا .

(٨) ورد فى بعض النسخ المبكرة انها عشرة أيام بدلا من خمسة عشر .

(٩) مهما يكن من بعد هذه الكلمة عن التشابه وأية كلمة صينية أو تترية ، فان معظم النسخ تتفق فى هجاء اسم بريوس Brius الذى أطلق على هذا النهر ، والذي يبدو أن المقصود به هو نهر كن شاكانج أى « النهر ذو الرمال الذهبية » . غير أنه لو تم - من الناحية الأخرى - اعتبار أن لى كيانج تو ، التى تقع على الجانب الجنوبي الغربى . تعد هى كيانج دو ، الواردة فى النص ، استتبع ذلك أن نهر بريوس اما ان يكون هو نهر لان تسان كيانج أو نهر نو كيانج ، الذى يظن أنه نهر ايرابانى الموجود بمملكة آفا . يقول الماحور رنل : « ان نهر نو كيان ، وهو أصغر قليلا من الجانج ( الكانج ) ، يجرى نحو الجنوب مخترقا زاوية يون نان التى تقترب الى أقصى حد من البنجال » . انظر : « Memoir » الطبعة الثالثة ص ٢٩٥ .

( وهو فى النسخة اللاتينية الباريسية ليجازين ، وفى الايطالية المبكرة برونيس ) .

## ● هوامش الفصل التاسع والثلاثين

(١) المفهوم جملة أن كارايان هي ولاية يون نان أو بقول أدنى ، جزؤها الشمالي الغربي ، الذي يحده بدرجة كبيرة نهر كن شاكيانج . وانا لنجد في Account of an Embassy to Ava إشارة الى جنس من الناس يتقابل اسمه مع اسم كارايان وربما كانوا أسرى حرب ، جلبوا من اقليم يون نان المجاور ، الذي كثيرا ما كان شعب آفا متعاديا معه ، وموزعا في أرجائه على صورة مستوطنين يقول الكولونيل سايمز محسدا عن مبشر ايطالي كريم : « أبلغني وصفا فريدا لشعب يسمى الكرايانيين ، وهم يسكنون أجزاء مختلفة من البلاد : وهو يقدمهم في صورة جنس بسيط ساذج يتكلم لغة تختلف عن لغة أهل بورما ، ويعتقد أفكارا دينية بدائية . وهم يعيشون عيشا ريفيا بحثا كما أنهم أشد رعايا الدولة كدا في العمل . وتكاد الزراعة ، وتربية الماشية والبواجن أن تكون حرفتهم الوحيدة . وينتج الكرمانيون شطرا كبيرا من المواد الغذائية المستخدمة بالبلاد ، كما أنهم متفوقون بوجه خاص في زراعة البساتين » . ( ص . ص ٢٠٧ - ٤٦٧ ) على أن الدكتور ف . بوكانان يكتب الاسم كاراين ، كما أنه يتحدث أيضا عن كاكياين ، « وهم شعب متوحش ينزل على تخوم الصين » . انظر Asiat. Res. مج ٦ ص ٢٢٨ .

(٢) يسمى هذا الأمير في مخطوطتي المتحف البريطاني وبرلين جوسنتيمور ، كما يسمى في نسخة بال اسن تيمور ، ويدعى هنسن تيمور في الخلاصات الايطالية ، وان ده جنى في كتابه Chronologiques . ليسميه ببساطة تيمور خان ، ولكن أحد خلفائه ( وهو ابن أخ له ) يظهر في القائمة نفسها تحت اسم بيسون تيمور ، وهو اسم سواء أكان صحيح الهجاء تقريبا بالنسبة لأية تسمية أخرى ، فانه من الواضح أن المقصود به نفس التسمية . ومع هذا فانه كان حفيدا لقبلاي لا ابنا له ، وقد خلفه بسبب وفاة أبيه تشنجنين المبكرة .

(٣) يقول البروفسور مارتين : « ينتج هذا الاقليم خيلا كريمة جدا ، معظمها قصير القامة ، ولكنها قوية وجريئة » . ( ص ١٩٦ ) لعل هذه هي نفس سلالة خيل التانجون أو التانيان التي تعيش باقليم التبت الأدنى ، والتي تحمل من هناك لتباع ببلاد الهند . وقد أبلغ أهالي بوتان المجاور رنل أنهم اجتلبوا خيول التانيان الخاصة بهم من مسيرة خمسة وثلاثين يوما الى الحدود .

(٤) تحمل العاصمة الحالية لولاية نان نفس هذا الاسم ، ولكن هناك فيما يظهر أسبابا تدعو الى استنتاج أنه مع أن اقليم الكاريان الذى اورد مؤلفنا ذكره جزء من تلك الولاية ، فان مدينته جاسى أو ياتشى لم تكن يون نان فو بل تالى فو ، وهى تعد الآن فى المرتبة الثانية \* وهذه المدينة \* كما يتبيننا البروفسور مارتينى ، سماها الأمير الذى أسسها يه تشو ، كما سميتها أسرة مالكة تالية ياؤتشيو ، وذلك بينما أطلق عليها اسم تالى أحد أفراد أسرة يوين أى عائلة قبلى .

(٥) ان مؤلفنا الذى يبدو أنه ذو ميول اجتماعية عشوية ، لا تفوته أية فرصة يثنى فيها على مزايا هذا الشراب ، ولكن الرحالة العصريين - ولعل مرد ذلك هو التحيز والهوى - لا يتحدثون عنه بمثل هذه العبارات المطرية \* والشراب نوع من الجعة لا من الخمر .

(٦) هذه هى الأصناف ( و الودع Kari ) المعروفة المستخرجة بالبنغال والتى يسميها علماء الحيوان ( التاريخ الطبيعى ) باسم Cyproe ae monetae ولعلها اتخذت فى الأزمان الخالية طريقها ، من خلال ولاية سلهيت ، الى الأقطار المتاخمة للصين ، ولعلها كانت متداولة فى يون فان قبل اخضاع سكانها الجبليين للحكم النظامى ، وضربهم الى الامبراطورية ، وهو اجراء سياسى عسير ومتعب للسلطات ، تم بوجه رئيسى بنقل مستوطنين من الصينيين من داخل البلاد اليها . يقول المجاور رنل : ( أبلغت فى عام ١٧٦٤ أن سلهيت ، ( وهى ولاية داخلية شمال شرقى البنغال ) كانت تنتج الودع أى الأصناف والمحار ، وأنه كان يستخرج من الأرض \* وبطبيعة الحال لم أصدق هذا القول ، ولكنى عندما كنت هناك فى ١٧٦٧ و ١٧٦٨ ، لم أجد بالبلاد عملة أخرى من أى نوع كان ، وحدث ذات مرة أن فرض على الناس زيادة فى خراج الولاية ، فجمعت عدة حمولات لمراكب ( لا تقل الوحدة عن خمسين طنا ) وأرسلت فى نهر البرامبوتر ، الى دكا والراجى أن تجميعها يرجع الى أن سلهيت كانت فى تلك الفترة ، أقصى منطقة يتداول فيها ذلك المحار كنقد ، ومنها لم يكن أمامها من مخرج الا العودة الى البنغال » . وليس من المستبعد على المطلاع أن يعتقد أن هذا الجنس من المحار ، المسمى بورسلانا Porcellana يستمد اسمه من المظهر المرقش لغلافه الصقيل ، المشابه للخزف المزجج أو البورسلين الصينى ، ولكن استخدام مؤلفنا للكلمة مبكرا ، يجعل من المحتمل أكثر أن المحارة ، وقد أطلق عليها فعلا اسم بورسلانا ( وهو تصغير لكلمة بوركو ) ، نتيجة للشكل المحدودب لظهرها كانت السبب فى أن الخزف الأجنبى صار يسمى بورسيلين بقارة أوربا ، نظرا لاحتوائه على مجموعة من أجمل صفات المحارة .

(٧) بناء على هذا التقدير ، لو أن الأرقام كانت صحيحة ، فإن قيمة المحار ، لابد أنها كانت تزيد زيادة هائلة نتيجة لحملة من البنغال الى حدود الصين . ويقال ان متوسط سعرها في السوق العمومية بكلكتا حوالى خمسة آلاف للروبية ، وهو ما يمكن اعتباره معادلا لثلاثة ساجيو من الفضة ، واذا بيعت بسعر ثمانين للساجيو الواحد ، لكان الكسب تبعا لذلك ، بربح قدره خمسة آلاف الى مائتين وأربعين ، أو أكثر من عشرين الى واحد . وبناء على هذا فربما جاز لنا بدلا من أن نقرأ ثمانين أن نقرأ ثمانمائة محارة للساجيو الواحد ، وهو وضع لا يزال يترك مجالا لفائدة قدرها مائة في المائة .

## ● هوامش الفصل الأربعين

(١) ان اسم كارازان ذاك ، الذى ربما جاز الظن بأن الصينى قد ينطقه كالاشان ، يبدو أنه ليس الا اسما لقسم آخر من ولاية يون نان ، ولما كان من غير المشكوك فيه أن الأماكن المذكورة فى الفصل التالى موجودة فعلا : ولكن معلوماتنا حول هذا الجزء من القطر من النقص والاضطراب ، بحيث تعوزنا الوسيلة التى نستطيع بها التحقق من موقعه المحدد . وفى نفس الوقت ، ينبغى أن يلاحظ أن اسم كارازان متميزا عن اسم كارايان ، لا يوجد فى النسخة اللاتينية ولا فى الخلاصات المبكرة ، وجميع الظروف المروية فى هذا الفصل تعتبر اذن منطبقة على الولاية أو الناحية المذكورة أخيرا .

(٢) لم يرد اسم كوجاتن بين أبناء قبلى الشرعيين ، وان كان له أولاد آخرون كثيرون . ومع ذلك فان الهجاء غير مؤكد بصورة أكثر من المعتاد . وكتب الاسم فى مخطوطتى برلين والمتحف البريطانى كوجا أم ، كما أنه فى الطبعة اللاتينية القديمة كوجاتوى ، وفى طبعة بال كوجراكم ( كوجراخان ) ، وفى الخلاصات الايطالية المبكرة كوكاجيو .

(٣) هذا البيان المشوه عن التمساح أقل جدارة بالانتماء الى أمانة مؤلفنا من أى وصف قدمه اليينا فى باب التاريخ الطبيعى ، وان كان تاريخه الطبيعى بصفة عامة معيبا بدرجة متفاوتة زيادة ونقصانا .

(٤) يبنى أهالى الهند مهارة خاصة وممتازة فى استحداثهم الوسائل لتدمير الحيوانات المفترسة ، ولا سيما البير ، الذى يحملونه فى بعض الأحيان على الوقوع فوق خوازيق مدببة حادة ، بعد صعوده سطحا مائلا ، ولكن التمساح يؤخذ فى أكثر الحالات وأشيعها وهو فى الماء بواسطة خطاف كبير .

(٥) علمت أن لحم انجوانة أو عظاية الأغوانة (Sguana) وهى حيوان متوسط القدر بين العظاة ( السحلية الضخمة ) والتمساح ، يأكله كل من الصينيين والأوربيين ، ويعد عند الصينيين على الأقل أكلة شهية ممتعة . وما أستطيع أن أؤكد نفس هذا الرأى عن التمساح ولكنى قرأت فى كتاب فى التاريخ الطبيعى أن : « الأفريقين والهنود يطعمون لحمه ، وهو لحم أبيض ، وله رائحة عطرية ( مسكية ) » .

(٦) يتجلى من ثم أن عادة بتر ذيول الخيل ، بفصل فقرة أو أكثر من فقراته ، وهى عادة اشتد انتشارها بانجلترا ، كانت موجودة منذ مئات من السنين عند سكان يون نان ، فى أقصى أجزاء الصين .

(٧) ربما كان هذا هو الاعتقاد السوى الشائع حول المادة المستخدمة مقيثا فى هذه الحالات ، وان جاز ألا يكون لذلك أدنى أساس شأن الفكرة التى جميع عامة الشعب الانجليزى على اقتناع بها من أن « عرق الذهب » ( وهو جذور نبات يستخدم مقيثا ومسهلا ) « Ipecacuanha » هى مسحوق من العظام البشرية .

## ● هوامش الفصل الحادى والأربعين

(١) ما يسمى هنا بولاية كارداندان ، ورد فى مخطوطتى المتحف البريطانى وبرلين والنسخة اللاتينية المبكرة مكتوبا اردندام ، وورد فى نسخة بال آر كلاوام ، وفى الخلاصات كاريدي ، ولم نتوصل الى العثور على أى اسم منها فى خريطة دوهالد ، ولكن يتضح من اسم القصبه الذى يعقب ذلك مباشرة ، ان الأماكن التى يجرى الحديث عنها موجودة مع ذلك داخل حدود ولاية يون نان العصرية . أجل ان اسم فوتشايج ( أو فوسيام فى تهجئة النسخة الايطالية القديمة ) ، كان من الممكن أن يكون بامثل غير قابل للتحقيق شأن اسم الولاية نفسه ، لولا أنه يساعدنا فى هذه الحالة ما ورد ببعض الترجمات الأخرى . فالكلمة وردت فى النسخة اللاتينية المبكرة أو نسيان ، ووردت فى نسخة بال أو فتشيام ، وفى نسخة البندقية المبكرة نوسيان ، وهو ما يشير الى أن المكان هو مدينة يونج تشانج ، فى الجزء الغربى من يون نان .

(٢) يقول مارتين متحدثا عن سكان يونج تشانج : « وهناك آخرون يرسمون أشكالا مختلفة على وجوههم ، حيث يخزونها بآبرة ويلونونها بالون الأسود ، كما اعتاد كثير من الهنود أن يفعلوا » وأصبحت البيانات المتحدثة عن ممارسة الوشم مألوفة لدينا بفضل الرحلات الجنوبية الى جزائر البحر الجنوبى ، ولكنها تنتشر أيضا بين سكان بورما بمملكة آفا ، المتاخمة مباشرة ليون نان . ولاحظ الكتاب القدامى هذه العادة ، وأكدها شهادة الكولونيل سايمز ، حيث يقول : « يشم ( البورمانيون ) أفخاذهم وأذرعهم بأشكال ورسوم متنوعة وعجيبة ، يمتدنون أنها تقوم مقام التعويذة ضد أسلحة أعدائهم » . انظر Embassy to Ava ص ٣١٢ .

(٣) يبدو أن فى هذا اشارة الى الاحترام الخارق الذى يقدمه الصينيون لأبائهم ، أو الى التبجيل الذى يقارب العبادة الوثنية ويقدمونه لأرواح أسلافهم - وهى خرافة لا علاقة لها بحسب بالمبادئ الدينية للطائفتين الغالبتين ، ولكن يرعاها بتدين كل من يمتنون عبادة الأوثان . ويبدو مرجحا انه بدلا من قول المؤلف Il piu vecchio di casa أو قوله فى رواية الخلاصة « Lo mazor de la casa » أى « أكبر أفراد العائلة » ، فانه انما كان يعنى « السلف العام المشترك لها » . وذلك لأنه وان كان الأحفاد العديدون المكونون للسلالة ، ربما عاشوا على الطيبة الأبوية ، الا أنه لا يمكن أن يفهم انهم استمدوا ممتلكاتهم منه أثناء حياته .

(٤) تكون المناطق الواقعة قرب قاعدة سلاسل الجبال العظمى وبخاصة داخل خطوط العرض المدارية ، غير صححية على الدوام . يقول ترونر : « يمتد عند سفح جبال بوتان سهل ينبسط عرضه حوالى ثلاثين ميلا ، وهو سهل لا يقال عنه انه مغطى بل مختنق بأشجار أنواع النبات وفرة . فان الأبخرة التى تتصاعد بالضرورة من الكتلة الوفيرة من الينابيع ، التى تتفجر من الجبال القريبة ، تتجمع وتنحصر بهذه الغابات التى لا تكاد تخترق وتولد جوا وخيما لم يمر منه مسافر يوما سليما بغير ضرر يناله » . ( انظر Embassy ) ص ٢١ . وتمند هذه الحالة البيئة للهواء نحو الغرب ، من خلال ما يسمى باسم اقليم المورانج ، ويمكن بالمائلة الظن بأن هذا الجو يعم الجهة الشرقية أيضا ، وذلك بأن جبال يون نان ، نظرا لأنها شاهقة الارتفاع ، بينما نهر نوكيانج العظيم ، الذى يقال انه صالح للملاحة بين تلك الولاية وولاية آفا ، ينبغى أن ينتج فيه بوجه رئيسى من خلال سهل واطليم منخفض نسبيا .

(٥) واضح ان المشعوذين أو السحرة ، الذين يدور الحديث عنهم هنا ، هم الشامانيون ، أو كهنة فو الحواة ، الذين يلتقى بهم بوجه خاص ، بمناطق التتار الأقل تمدينا ، والذين يرجح أنهم يجوسون خلال جميع أرجاء الامبراطورية الصينية .



## ● هوامش الفصل الثانى والأربعين

(١) لم يرد تاريخ ١٢٧٢ هذا فى نسخة راموسيو فحسب ، بل ظهر أيضا فى مخطوطة برلين والنسخة اللاتينية الأقدم ، بينما التاريخ فى نسخة بال ( التى اعتمدها مولروا واتبعها ) هو ١٢٨٢ • غير أن التاريخ الثانى يجد شيئا من التأييد فى فقرة وردت فى L'Histoire Gén. de la Chine مج ٩ ص ٤١١ •

(٢) يعتبر كل من البروفسور جوبل ( أو البرفسور سوسويه المعلق عليه ) ، وده جنى وجروسويه ودانفيل ، أن مين هو اسم اقليم ييجو ، ولكن الواضح ان المقصود هو اقليم بورما ، أى مملكة آفا كما نسميها عادة ، التى تكاد تتاخم ولاية يون نان ، بينما تقع الأخرى بعيدا فى اتجاه الجنوب ولا صلة لها بأى جزء من أجزاء الأراضى الصينية ، والاسم الذى يطلقه البورمانيون على بلادهم هو ميام ما ، ويسميها الكتاب الصينيون مين تين •

(٣) والكلمات فى طبعة بال هى : « ملك مين وملك البنغال » دالة ضمنا على ملكين متحدين ، ولكن الفقرة بأجمعها تدل على أن المقصود بها هو شخصية واحدة ، ربما كان فى تلك المدة يلقب نفسه باسم ملك بنجالا ( البنغال ) وكذا ملك مين أيضا ، نتيجة لأنه فتح بعض النواحي الشرقية التابعة للبنغال ، التى لا تفصلها عن اقليم آفا سوى الغابات •

(٤) ورد هذا الاسم فى نسخة راموسيو نستردين وكتب بمواطن أخرى نستشاردين ونسكاردين وناستاردين ، وكلها تحريفات للاسم الاسلامى المعروف « نصر الدين » •

(٥) لعل هذا هو السهل الذى يجرى من خلاله نهر ايراباتى ( ويكتب أيضا ايراوادى ) ، أى نهر آفا الكبير فى الجزء الأعلى من مجراه •

## ● هوامش الفصل الثالث والأربعين

(١) ينبغي أن يكون مفهوما أن هذا هو السهل الموجود عند سفح جبال يون نان ، التي سبق الحديث عنها ، والتي يقال ان النهر صالح للملاحة منها حتى آفا .

(٢) كانت نتيجة النظم والتعليمات الصينية الدقيقة ، فيما يتعلق بدخول الغرباء داخل حدود الامبراطورية أن أصبح ضروريا بالنسبة لأغراض التجارة أو تبادل السلع ، أن تقام الأسواق العامة على الحدود ، واليها يصل التجار في اوقات معينة ومعهم بضائعهم ، يقول سايمن : « ان سلعة التصدير الرئيسية من آفا هو القطن . وهو سلعة تحمل الى أعلى نهر أراوادي في زوارق ضخمة حتى بامبو ، حيث تتم المقايضة عليها بالسوق العامة « Jee » مع التجار الصينيين ، فيحملونها برا حينا ، ثم نهرا حينا آخر ، الى الممتلكات الصينية » . ( ص ٣٢٥ ) . وذلك ما يحدث أيضا بقرية توبا ، قرب سنج ، على تخوم شن سي ، يقول دوهالد : « يجد المرء هنا كل ما يتمناه من البضائع الأجنبية والصينية ، ويوجد أنواعا مختلفة من العقاقير ، والزعفران والبلح والبن ، وغيرها » . ( مج ١ ص ٤٠ ) .

(٣) يوجد عند هذه النقطة تغيير لافت للنظر في الخلاصة الإيطالية المبكرة عن جميع الترجمات الأخرى ، ونظرا لأن له شيئا من الأهمية من وجهة نظر جغرافية فأنني سأورد الفقرة بكلماتها نصا :

« Quando l'huomo se parti da la provincia de Caraian ello trova una grande desmontada par laquale ello va doe zornade pur descendendo, in laqual non è habitazione alchuna ma sige (gliè) uno logo in loqual se fa festa tre di a setemena.

ومن هنا يفهم أنه عند هبوطك من مرتفعات كارايان أو يون فان ، لا تدخل مباشرة اقليم مين أو آفا عينها ، ولكنك تصل بعد رحلة خمسة أيام الى ولاية ميتشاي ، التي من المعقول أن نظنها هي ولاية ميكلاي الواردة في خرائطنا ، ومن هناك بعد قطع مسافة خمسة عشر يوما خلال الغابات ، تصل الى العاصمة . ويقول الماجور رنل : « ان المسافة بين البنغال والصين

تشغلها ولاية ميلاي ، فضلا عن مناطق أخرى ، خاضعة لملك بورما أو آفا » .  
 ثم يقول : « يقال ان ملك بورما ، الذي عاصمته الشهيرة هي آفا ، وهو  
 الاسم الذي كثيرا ما يطلق - وان خطأ - على المملكة بأكملها ، لا يملك فقط  
 اقليم ميكلاي ، بالاضافة الى اقليمي بيجو وبورما ، وانما تتبعه أيضا كل  
 الشقة الواقعة في شماله . بين الصين والتبت وأسام » . ( انظر : Mem  
 الطبعة الثالثة ص . ص ٢٩٥ - ٢٩٧ ) .

ويضيف ذكر هذه الولاية المتوسطة الشيء الكثير الى سلامة السرد  
 واستقامته .

## ● هوامش الفصل الرابع والأربعين

(١) ان العاصمة الحالية ، وهى المسماة أومار أبورا ( بتشديد الميم ) أو امرا بورا ، مدينة حديثة العهد ، أما مدينة ميين هذه ، فلا بد اذن أن تكون اما مدينة آفا القديمة ، وهى الآن خرائب ، واما مدينة ما أخرى من أزمان أقدم ، وذلك نظرا لكثرة تغيير مقر الحكم بالبلاد . يقول سايمز : « ان ياجاهن ، يقال انها كانت قسبة حكم خمسة وأربعين ملكا متعاقبين ، وانها هجرت منذ خمسمائة سنة ، نتيجة لنصيحة قدسية : ومهما يكن مدى صحة تاريخها ، فمن المحقق أنها كانت يوما ما مكانا ذا فخامة غير عادية » . ( ص ٢٦٩ ) والتوافق الزمنى فى التواريخ مستلفت للنظر ههنا ، وذلك لأن فترة خمسة القرون المنصرمة ، تجعل تخريب ياجاهن فى ١٢٩٥ ، أو فى زمن يقارب بالضبط وقت الفتح المغولى .

(٢) ان المعابد ذات الشكل الهرمى ، بصنفيها كليهما ذوى القاعدة المربعة والدائرية ، توجد حيثما انتشرت ديانة بوذا . وكثير من هذه ، وهى ذات معيار فاخر ، يصفها الكولونيل سايمز فى سياق رحلته لآفا .

(٣) يقول سايمز : « وقد علت عدد من الأجراس حول الطرف الأسفل من الداجوبا أو المطلة (Tee) كلما حركتها الريح أحدثت صدمة مستمرة » ص ١٨٩ .

(٤) سمي هؤلاء الأفراد الذين كانوا يصحبون الجيش فى نسخة راموسيو : « Giocolari overo buffoni » .

وهو قول يعطينا معنى مفهومهما ، وذلك لعلمنا من فقرات سابقة فى الكتاب ومن سابق معلوماتنا العامة عنه عادات هذه الأقاليم ، أن العرافين أو الحواة الدينيين ، كانوا يشكلون على الدوام جزءا من هيئة قيادة القائده العسكرى ، الذى اما أن يكون واقعا تحت تأثير تكهناتهم . واما أن يتخذ منهم أداة طيعة لخطته . ويسمى بهم بيرشاس فى نسخته « بالمضحكين » ولكن مجموعة رحلات هاريس ، التى أصدرها كامبل ، وبعض المنشورات الحديثة ، أوردت مكانها بحكمة كلمة « Cavalry » ، أى الفرسان ، بوصفها كلمة أنسب . ومع هذا فيبدو أن بالقصة شيئا من العيب ، وأن جملة قد سقطت ، كان ينبغى أن ترد بعد الجملة التى ذكر فيها تعيين

« ضابط مغوار » • ( وهم يسمون فى النسخة اللاتينية الباريسية :  
« *Histriones and Joculatores* »).

(٥) أدى هذا الاحترام المحمود الذى كانت تبديه القبائل التترية  
لقداسة القبر ، الى اكتشاف الروس فى مدافن هذا الشعب ، عددا ضخما  
وأضرها جملة من الأشياء التى لم تمسها يد ، فضلا عن مودعات وركائز  
ضخمة من المعادن النفيسة ، التى لم يجرؤ الفاتحون السابقون على  
انتهاكها •

(٦) ليس هذا بثور الياك Yak أى الثور الكث الذيل أى ذا الذيل  
الشبيه بالمنشأة • والثور البوس جرانيان Bos grunniens ، الذى وصفه  
ترنر ، وذكره مؤلفنا فى فصل سابق ، وهو حيوان يقطن منطقة أبرد ،  
وانما هو ثور الوحش Gayal أو Bos gavaeus وهو حيوان يوجد  
متوحشا بولايات الجانب الشرقى من البنغال ، وورد له وصف واف تماما  
فى مج ٨ •

## ● هوامش الفصل الخامس والأربعين

(١) ان اسم بانجالا ، مطبقا فى هذا المقام على مملكة البنغال ، يقترب أكثر الى النطق الأصلى والتهجئة السليمة ( بنجالا ) من الاسم الذى تعودنا على كتابته .

(٢) تشير هذه الفقرة اشارة واضحة الى مدارس الفلسفة الهندوكية ، التى يفسر فيها البانديت والجور والمتصلعون فى العلم ، مبادئ الفيدا والساسترا بجميع مدن البنغال والهندوستان الرئيسية . ويعد هؤلاء الناس النش هاندا وتانترا ساسترا ، أى فن السحر ، أحد الانجاس Angas الستة العظمى أى « مجموعات المعرفة » Bodies of learning .

(٣) اذا كان من العدل تبرير مبالغة بأخرى ، فان سند « ضابط بريطانى » نقل عنه كروتورتون فى ترجمتهما لكتاب System Naturae تأليف لينايوس « عالم النبات السويدى ( ٧٨ - ١٧٠٧ ) » ، ربما اضيف دعما لبيان مؤلفنا عن ثيران البنغال ، حيث دفع الأول وهو الضابط أن يصف ويصور تحت اسم Bosarnee أى الثور الأرنى ، حيوانا ارتفاعه أربعة عشر قدما ( ولكن الآخرين خفضا ارتفاعه الى ثمانية أقدام ) ، وقيل انه تم الالتقاء به فى الاقليم شمال البنغال ، والذي يظهر السحت أنه ليس سوى الجاموسة البرية التى تسمى هناك أرنا Arna . ومع هذا فان الجاموسة أى « Bos bubalus » « وهى حيوان بالغ الضخامة والقوة » أورد مؤلفنا ذكرها بوضوح تام فيما بعد ، وما قيل هنا ، لا يمكن أن ينطبق الا على الجيال Gayal ، أى Bos gavaeus الثور الهندى ، الذى يكثر وجوده ببعض المناطق الشرقية ولا يمكن مقارنته بالفيل الا على سبيل المجاز .

(٤) الأرز واللبن هما الطعامان الرئيسيان لدى أهالى البنغال ، ولكن مع أن كثيرا من طوائفهم ليس لديها أى موانع حول تناول أى نوع من اللحم عدا لحم البقر ، الا أن تأكيد أن اللحم هو طعامهم المعتاد فيه شيء من المبالغة . من الواضح والحق يقال أن أفكار مؤلفنا عن الاقليم تقوم على ما رأى أو علم من الناس الذين يسكنون المنطقة الجبلية ، التى تحد البنغال من الشرق ، وفيها تختلف العادات اختلافا بينا عن مثيلاتها التى تنتشر على ضفاف نهر الجانج ( الكانج ) ، حيث يؤكل الشور الهندى والغزال والخنازير البرية ، والحيوانات الضارية على وجه العموم .

ويمكن تبين طبيعة ومدى الموانع التي يتخذها من يعتنقون الهندوكية بين سكان الجبال ، من الفقرات التالية المقتبسة من ورقة كتبها المستر كولبروك بمجلة « Asiatic Researches » : « لا يذبح الهندوك في هذه الولاية ( تشالجان أو تشيتاجومج ) حيوان الجاباي Gabay الذي يضعونه مع البقرة في مكان التقديس ، فأما الثور الهندي Asl-gayal أو السيدوى Seloi فانهم يصيدونه ، ويقتلونه ، مثلما يقتلون الجاموس البرى . والحيوان المشار اليه هنا هو نوع آخر من الثور الهندي Gayél يوجد متوحشاً في التلال » .

(٥) هذه منتجات شهيرة لبلاد البنغال والولايات المجاورة لها ، وبخاصة السكر الذي ينتج بتوسع شديد ، ويصدر الى أجزاء كثيرة من آسيا ، وكذلك الى أوروبا أيضا .

(٦) ان امتلاء بلاطات الهند والحرملكات بهما بالخصيان ، الدين كثيرا ما كانوا يصلون الى أعلى مناصب الدولة شيء واضح يبدو لنا من جميع تواريخ تلك البلاد ، ولكن لا يفهم بصورة عامة ، أن أية اعداد منهم كانت تصدر من البنغال . وينبغي أن نلاحظ حقا أنه ، باستثناء ملحوظات قليلة هزيلة وردت في تاريخ فرشتا Ferishtas' hist فاننا على جهل تام بشؤون - وبصفة أخص بعادات - أهالى ذلك الاقليم في القرن الثالث عشر ، بل انه حتى تواريخ النقوش على بعض المباني الرئيسية ، في جاور Gaur أو لوكنوتى ، التي تعتبر عاصمتها القديمة ، ليست أبكر من القرن الخامس عشر . ومع هذا فاننا نعلم ، من كتابات باربوزا التي تمت في ١٥١٦ ، والتي لا يستطيع قارىء واسع الاطلاع أن يشك في أصالتها وصحتها ، أنه في زمانه كانت عادة الخصاء منتشرة هناك ، وان لم تكن بين السكان الهندوك ، الذين كانوا يرون فيها فعلة بشعة .

## ● هوامش الفصل السادس والأربعين

(١) ان الاقليم المسمى هنا كانجيجو ، والوارد في النسخة اللاتينية الأقدم كانزيجا ، وفي الخلاصة الايطالية المبكرة كارجنجو ، « وفي اللاتينية تالو ججلا » ، ويبدو أنه يقع على الطريق الممتد من الجزء الشرقي من البنغال الى الجزء الشمالى من اقليم بورما ، اما أن يكون كاتشهار الواقعة بين سيلهيت ومكلای ، والا فهو كاساي الواقعة بين المدينة الأخيرة وآفا . فأما المقطع الختامى جو Gu فيمكن أن يكون فى الراجح كلمة كروه Kouc الصينية أو كوته Kue « أى مملكة » ، التى يظهر فى خريطة الجزويت أنه منتشر فى تلك الناحية .

(٢) ورد فى ورقة المستر كو ليبروك ( المشار اليها فى هامشة ص ٢٦٠ ) ذكر راجا كاتشهار وأنه من كهانريا الجنس السوريا باترى وربما كانت مملكته فى سالف الأزمان أوسع رقعة ، وايراداته أكثر وفرة منها فى هذه الأيام بحيث كان يستطيع الانفاق على حريم بمثل هذه الضخامة . والخلاصة تخفض العدد الى مائة :  
« Lo re ha ben ecuto moiere » .



## ● هوامش الفصل السابع والأربعين

- (١) يظهر أن آمو تتقابل في الموقع مع بامسو ، وهي التي يصفها :  
سايمز بأنها ولاية تخوم بين مملكة بورما ويون نان ببلاد الصين .
- (٢) هذه هي المسماة باسم « بوس بوبالوس » • *Bos bubalus*  
وبوس جافوس • *Bos gavaeus*
- (٣) ( الوارد في نسخة باريس اللاتينية هو خمسة عشر ) •

## ● هوامش الفصل الثامن والأربعين

(١) لم يكن العثور على اسم يماثل ثولومان أو تولومان أو تولومان ، وهي الصور التي ترد بها هذه الكلمة في مختلف النسخ ، - في أية خريطة ولا أي وصف لهذه الأصقاع ، ولكن نظرا لأن الظروف المبينة تجعل من المحتمل أن يكون القطر الذي يدور الحديث عنه ، هو بلاد الشعب اندي يسمى بأسماء مختلفة : البرماهيون والبورماهيون والبومانيون والبورمانيون ، يصبح لنا أن نحس أن المقصود بالاسم هو بولومان ، وهي الطريقة المعروفة أن الصينيين ينطقون بها لفظتي بورماني وبراهامني ، ويعنون بهما في كثير من الأحيان سكان الهند .

(٢) وهناك مشابهة قوية بين المراسم التي يمارسها بعض الجبليين من آفا أو اقليم بورما ، المسمى كاين وبين ما يوصف هنا ، يقول سايمز : « انهم يحرقون موتاهم ، ثم يجمعون رمادهم بعد ذلك في جرة ، يحملونها الى بيت ، وهناك يحتفظون بالجرة ستة أيام ، ان حوت بقايا رجل ، فان كانت امرأة فخمسة ، ثم تحمل الجرة بعد ذلك الى مكان مواراتها التراب وتودع أحد القبور ، وتوضع على السدادة التي تغطيها صوورة خشبية للمتوفى لكي تصل الى المونزينج ( الاله ) وتحمى العظام والرماد » . ثم يضيف بعد هذا : « ان المونزينج يسكن الجبل العظيم « جنووا » الذي تستودع فيه صور الموتى » . انظر : Embassy to Ava ص ٤٤٧ .

## ● هوامش الفصل التاسع والأربعين

(١) يبدو أن الأقطار المتحدث عنها أخيرا تمت دون أدنى ريب إلى ذلك الاقليم الذى يسميه الجغرافيون باسم الهند خارج نطاق الجانج « India Extra Gangem » والآن وطريق مؤلفنا يغادر وراء هذه الأقاليم ، فما يعقب هذا فى الفصول الباقية من الكتاب لا ينطبق الا على الصين أو توابعها المباشرة .

(٢) لا نستطيع أن نكتشف فى الجزء الجنوبي من يون نان ( التى يمكن أن يظن أنه عاد متجها إليها ) مدينة يشابه اسمها اسم تشيننجوى أو تشيننجيو ، على أن فارقا جسيما بين نص راموسيو ونصوص النسخ الأخرى يقع هنا ، وهو وضع يرجى أن يزودنا بخطيط نتعقب منه مسار الطريق . فيروى النص الأول أن مؤلفنا يواصل رحلته من تولومان بواسطة مجرى نهري إلى المدينة سالفة الذكر ، ( سواء أكان ذلك فى الطريق بأكمله ، أم بصفة جزئية فقط ، فهو شيء لم يتم التعبير عنه بوضوح ) . ولكن جاء فى نسخة بال ، على نقيض ذلك ما نصه :

A provincia Tholoman ducit iter versus orientem ad provinciam Gingui, iturque duodecim diebus juxta fluvium quendam, donec perveniatur ad civitatem grandem Sinuglu .

كما ورد فى الخلاصة الإيطالية المبكرة :

« Cuigui sic una provincia verso oriente laqual ello trovo l'homo quando se perti da Toloman tu vai su per uno fiume per XII.

والى مدينة سينولجو أو سيملجو تنسب جميع هذه الأحوال آنفة الذكر أعلاه حول تشيننجوى . ( والاسم فى النسخة اللاتينية الباريسية هو فونلجول ) . فان كان نطق كوى جوى أو كوى جيو أدق وأضبط من القراءات الأخرى ، فربما جاز لنا التخمين بأن المقصود بها هو ولاية كوى تشيو أو كيوتشى تشيو الصينية ، التى لا يستبعد بموقعها المجاور ليون نان من الجهة الشرقية ، أن تكون طريقا مؤديا للعاصمة .

(٣) ان سريان عملة الامبراطور الورقية هنا ، يدل على أن القطر الذى يدور الحديث عنه هنا جزء أساسى من الامبراطورية وليس أحدها توابعها القصبية ، التى كانت فيها سيادة الامبراطور وولايته ، اسمية أكثر منها حقيقية .

(٤) سجلت حالات كثيرة لمهاجمة الببور للزوارق ليلا بين الجزر الرسوبية عند مصب نهر الجانج ، التي تسمى سندرپند ، وقد يحدث أحيانا أن يقضى على طوافم سفن بأكملها وهم نائمون على ظهر سفينة .

(٥) ان كان الوحش المتحدث عنه هنا هو ( الببر ) فعلا وليس الأسد ( الذى لا وجود له ببلاد الصين ) ، وجب الاعتراف بأن الطباع التى تنسب اليه فى هذه الحكاية ، تختلف جدا عما يتميز به نوعه السنورى من طباع . الحيوان الوارد ذكره فى الترجمة الانجليزية القديمة الصادرة فى ١٥٧٩ ( نقلا عن النسخة الاسبانية ) ليس الأسد ولا النمر ، وانما هو الفيل الذى يقال عنه انه هو موضوع هذا النوع من الملاحقة والمطاردة بواسطة الكلاب الضخمة « Mas tie dogges » على أنى يقين مع هذا . بأن الكلاب تهاجم الببر والفهد كليهما .

(٦) تدل التجارة فى القز المصنوع على أن هذا المكان موجود ببلاد الصين ، والى الجنوب من النهر الأصفر ، والذى يعد حدا جغرافيا لا تربى دودة القز بعده لأغراض الصناعة .

(٧) ربما أمكن أن يقودنا النص أن نستنتج أن سى دن فو المتحدث عنها هنا هى نفس تشننى جوى الوارد ذكرها عند بداية هذا الفصل ، وذلك نظرا لأن رحلة الاثنى عشر يوما من ثولومان يشار اليها من جديد ، ولكن من الواضح من ناحية أخرى اننا أميل الى أن نفهم أنها المدينة التى سبق وصفها ( فى الفصل ٣٦ ) تحت اسم سن دن فو ، والتى أظهرنا فى هـ ١ ص ٢٣٤ أن المقصود بها هو تشننج توفو ، عاصمة ولاية سى تشويين . وهى مدينة لابد أنها تقع على الطريق الموصل بين آفا وبين ولاية يون نان فى اتجاه مدينة بكين .

(٨) الحق اننا نلمح فى هذا الجزء من العمل درجة غير عادية من ارتباك فى الناحية الجغرافية ، يزيد فيها انعدام الاتساق بين مختلف الترجمات ، الذى لا يقتصر فقط على التهجئة بل فى أسماء الأماكن بأكملها . وفى الظروف أيضا . فرحلة العشرين يوما التى يذكرها نص راموسير ، لم ترد فى النسخة اللاتينية ولا فى الخلاصة الإيطالية المبكرة ، كما أنه يبدو لأول وهلة غير محقق : هل هو يقصد بجن جوى تلك الولاية الجنوبية التى تسمى فى النسخة الأخيرة كوى جوى ، وخمنت بأنها كوكس تشيو ، أم أن المقصود بها كن تشيو الواقعة على نهر كيانج ، أم ( مع التسليم بوجود ثغرة كبيرة فى اليوميات ) أن المقصود هو كن تشيو أخرى فى ولاية ييه تشيه لى . أما عن المدينة التى يسميها راموسير با زان فو فان النسخ الأخرى تسميها كاوكاسو أو كانكازو . ولكن تجابهنا عند هذه النقطة

صعوبة أخرى جديدة تضاف الى الخلط الواقع فى الأسماء ولا بد لنا من الاصطدام بها . وذلك لأنه نظرا لأن الاتجاه العام للرحلة كان أخيرا نحو الشرق ، كما هو مبين فى النص ، أو الى الشمال الشرقى ، كما يستنتج من الواقع ، فكذاك يحدث فى هذا المكان ومن الآن فصاعدا ، اننا نجد يوصف بأنه يتجه الى الجنوب ، وان بدا من الفصول السابقة أن الولايات الجنوبية بالصين ، قد تم الدخول اليها من ناحية مين أو آفا . وكثيرا ما حدث أن افتقار مؤلفنا الى الدقة فى الوجيهات ، كما تتصل بالنقط المتوسطة والجهات الفرعية للبوصله ، تطلب لنا استعمال التسامح معه ، ولكن التسامح لا يمكن مده حتى يشمل الخطأ فى الشمال وجعله الجنوب ، كما أن تصحيحا من هذا القبيل فى حالة أو اثنتين لن يجدنا نفعا ، وذلك لأننا سرعان ما سنجد يقترب من النهر الأصفر من الناحية الشمالية ، ويعبر ذلك النهر ، وفى ثنايا مواصلته لطريقه جنوبا ، يصف أماكن معروفة تقع بينه وبين نهر كيانج ، الذى يعبره أيضا وهو فى طريقه الى ولاية فوكيين . وتبعنا لذلك صار لزاما علينا أن نبحت فى احدى أقصى الولايات شمالا عن بازان فو ، وسيكون لنا كل الحق فى أن نستخلص ، أن مسارا جديدا للرحلة ، لم يلحظه حتى الآن فيما يبدو ، أى ناشر للكتاب أو معلق عليه ، بدأ من مكان ما ، يقع الى جوار العاصمة ، وان المحاولة الفاشلة لربط هذا المسار بالطريق السابق ، باعتباره مشكلا لرحلة واحدة ، كان السبب الرئيسى فى حدوث الارتباك ، الذى كان ماثرا لشكوى كل قارئ حاول متابعة مجرى الرحلات .

(٩) اتضح أنه يقال - ان الطرق تفترق على بعد ميل تقريبا من مدينة تسوتشو بولاية بيه تشيه لى ، حيث يؤدى أحدهما الى الولايات الجنوبية الغربية ويؤدى الآخر الى الجنوبية الشرقية . وكان الطريق الأول هو الذى اتبعه مؤلفنا فى طريقه الأول ، ووصفه حتى نقطة معينة تركته عندها مذكرته الأصلية ناقصا لم يكتمل ، أو أن نسأله الأول ، راحوا - رغبة منهم فى تجنب التكرار العملى لأسماء مجهولة ، كما أنها بالنسبة اليهم غير مشوقة ، الى انهائه على نحو مفاجئ . فأما الطريق الآخر المتجه جنوبا بشرق ، فإنه هو الذى أوشك الآن على أخذه والدخول فيه . ومن الطبيعى لنا ونحن واقعون والحالة هذه تحت الاقتناع ، بأن خط سير جديدا قد بدأ فى هذا الجزء من القصة تقريبا ، من مكان ما قرب تسو تشو ، حيث تفترق الطرق ، أن نعتبر أن المدينة المسماة الآن هوكيين فو ( وهى الأولى من الطريق الجنوبي ) هى نفسها بازان فو الواردة فى نسخة راموسيو ، أو كاكوسو ( بدلا من فو ) فى طبعة بال ، وهو رأى سنجد ما يقوى احتمال ، مهما بلغ من تنافر الأسماء صوتيا ، عندما نمضى الى بيان الأماكن

التي تمت زيارتها فيما بعد . والواقع أن هوكيين فو ( والتتري ينطق المقطع الأول منها « كو » ) هي المدينة الثالثة في المرتبة بالولاية ، وادها تشتق اسمها من موقعها : « بين الأنهار » .

( ١٠ ) ان عبارة Certi Christiani اما أن تعنى فرقة ( أو طائفة ) من المسيحيين ، متميزة عن النساطرة ، الذين كثيرا ما ورد ذكرهم بالفعل ، أو ربما أشارت الى النساطرة أنفسهم ، بوصفهم ، نوعا من المسيحيين لا يعتنق الكشلكة .

## ● هوامش الفصل الخمسين

(١) نجد في شرق هوكين ، مع ميل نحو الجنوب ، مدينة من الدرجة الثانية ، تتبع دائرة سلطات المدينة الأولى ، التي سميت في خريطة دوهالد تسان تشيو ، وهي تسمية صحيحة ، ولكنها في أطلس مارتيني كانج تشيو ، وهي تسمية مغلوطة من كانج لو . وواضح أن تلك هي كيانجلو أو تشانج و . الوارد ذكرها هنا .

(٢) ربما أمكن الظن من هذا التفصيل للعملية ، أن نترات ( الصوديوم أو البوتاسيوم ) أو الملح الصخري ، لا المنح العادي هي المادة التي يحصل عليها بهذه الطريقة . على أن الفقرة التالية المنقولة عن ترجمة Description Générale de la Chine تأليف جروسييه رئيس الدير ، لن تترك مجالا للشك في هذه النقطة : « تكثر نترات البوتاسيوم أو الصوديوم ( النطرون ) في التراب التي تؤلف تربة بتشلي ، ويمكن أن تشاهد حقولا بأكملها في المنطقة المجاورة لبكين مغطاة به . فعند شروق الشمس كل صباح تبدو البلاد في بعض الكانتونات بيضاء ناصعة كأنما انتشر فوقها هطول خفيف من ندف الثلج . فلو جمع مقدار من هذه المادة لأمكن استخراج مقدار ضخيم من الكيين أي النطرون والملح منه . ويدعى الصينيون أن هذا الملح يمكن إحلاله محل الملح العادي . ومهما يكن الأمر ، فمن المحقق أنه في الطرف ( الجبل ) للولاية ، لا يستخدم الفقراء ولا الشطر الأكبر من الفلاحين أي صنف ( ملح ) آخر . أما الكيين أو النطرون المستخرج من الأرض فانهم يستخدمونه في غسل الثياب الداخلية ، كما نستخدم نحن الصابون » . مج ١ ص ٢٧ .

(٣) تفسر القواميس قوله « Peso alla sottile » بميزان البضاعة الدقيقة ، الأخف وزنا من غيرها ، وهو شيء يتقابل وفارق الأربعة عشر والسبعة عشر ، بين نظام الموازين الدقيقة والشمينة عندنا وبين نظام موازين المواد الثقيلة ( المستخدم بانجلترا وأمريكا ) .

## ● هوامش الفصل الحادى والخمسين

(١) يبدو أن مدينة كيانجلى أو تشانجلى هى مدينة تيه تشيو ، التى تقع عند مدخل ولاية شان تونج ، وعلى النهر المسمى أويشى هو « بخريطة دوهالد » و « ايوهو » فى : Account of Lord Macartney's Embassy .

(٢) ( يلاحظ ستاونتون ) أن ضريبة ترانزيت ( أى عبور ) تجبى على البضائع المارة من ولاية صينية الى أخرى ، حيث تشتهر كل ولاية بصفة رئيسية بانتاج سلعة معينة ، حيث يرفع نقايها - تلبية للطب عليها فى ولايات أخرى - هذه الرسوم حتى تصبح مبلغا جسيما ، وتشكل التجارة الداخلية الكبرى ومصدر الدخل للامبراطورية .



## ● هوامش الفصل الثانى والخمسين

- (١) لدينا من الأدلة التاريخية ما يثبت أن تودين فو هي تسي تان فو ، ( وكتبها مارتين كينان فو ) ، وهي عاصمة ولاية شان تونج .
- (٢) ان خطوط سير رحالتنا المحدثين لم تدفع بهم الى زيارة هذه المدينة ، ولكن السفارة ( البعثة ) الهولندية لعام ١٧٩٥ تمر أثناء عودتها من خلال العديد من المدن الواقعة تحت دائرة سلطاتها . وعند اقتراب فان برام من احدى هاته المدن ، وهي المسماة بنج يوين شن ، يصف المناظر في عبارات تماثل أوصاف مؤلفنا ، ولكنها أفخم مما استخدمه الأخير . كما أن بساتين الفواكه كانت موضع ملاحظة خاصة منه .
- (٣) حدد كتاب Hi t. Gén. de la Chine الظرف الذى شرع مؤلفنا يتحدث عنه بفترة أسبق بعشر سنوات . ولاشك أن الأرقام الرومانية ، التى كتبت بها التواريخ فى النسخ المخطوطة القديمة ، أكثر عرضة للخطأ من الأرقام العربية ، أو بمعنى أصح الأرقام الهندية ، التى أصبحت تستخدم الآن .

## ● هوامش الفصل الثالث والخمسين

(١) يبدو أن الظروف المذكورة هنا حول سن جوى ماتو ، تشير الى لن تسي تشيو ، المدينة التجارية الضخمة ، التى تقع عند الطرف الشمالى ليون هو أى القناة العظمى ، أو قل عند بدايتها . ومصطلح ماتو أو ماتيو المضاف الى الأسماء ، معناه على ما يخبرنا دوهالد (مجلد ١ ص ١٣٧) ، « أماكن تجارية مؤسسية على الأنهار من أجل راحة التجار وجباية لرسوم الامبراطور » ، ويعرف البروفيسور ماجالهايز « ماتيو » Mâ-teü بأنها : « مكان يرتاده الناس للتجارة ، وذلك نظرا لأن الصنادل تتجمع فيه ، وتلقى مراسيها لتقضى فيه ليلها » . انظر Nouv. Relat. de la Chine .

(٢) ربما جاز اعتبار المقصود من هذه التعبيرات ، وصف تشكيل القناة نفسها ، وهى التى لابد أنها ، بطبيعة الحال ، كانت تزود بالماء ، بتحويل مياه مجرى النهر بالقدر اللازم لذلك الغرض ، ونتيجة لهذا يمكن القول بأن العملية تقسم النهر الى فرعين ، ولكن يمكن الظن بأنها تشير ( أى التعبيرات ) بالحرى الى الطرف العجيب التالى الذى لوحظ فى بيان سفارة لورد مكارتنى : « Lord Macartney's Embassy » فى اليوم الخامس والعشرين من أكتوبر (وهو اليوم الثالث بعد رحيلها من لن تسنج) وصلت اليعخوت الى أعلى نقطة فى القناة ، وهى مسافة تقارب خمسى طولها الكامل . وهنا تسقط فى القناة مياه نهر لوين ، وهو النهر الأكبر الذى يغذيها ، محدثة تيارا سريعا ، فى خط عمودى على مسار القناة . وهناك ركام قوى من الأحجار يدعم الضفة الغربية المقابلة ، واذ تصطدم مياه لوين به بقوة فإن جزءا منها يحاذى الضفة الشمالية ، وجزءا آخر يتابع المجرى الجنوبى للقناة - وهى حال - يترتب على عدم شرحها فى الجملة لا فهمها - أن تضى مظهرا عجيبا على القول ، بأنه لو أُلقيت حزمة من الحصى فى ذلك الجزء من النهر ، فانها سرعان ما تتفرق وتتخذ اتجاهات متضادة ( مجلد ٢ ص ٣٧٨ ) واسم هذا المكان هو تس نجن تشيو فى خريطة دوهالد.

وتسن جن تشو فى خريطة سفارة ( اللورد ) ، وهو وضع فيه مشابهة واضحة لسن جوى الواردة فى نصنا هذا .

(٢) يقول المستر اليس : « أقول انه ، بعد شدة وفرة السكان مباشرة يكون ثانى شئ يسترعى الأنظار حتى الآن هو مقدار السفن المستخدمة على الأنهار ، التابعة للامبراطورية الصينية \* . انظر « Journal of an Embassy etc » ص ١٠٩ .

## ● هوامش الفصل الرابع والخمسين

(١) هذا هو الاسم التتري للنهر الذى يسميه الصينيون هوانج هو ،  
والذى نسميه النهر الأصفر ، ومنبعه بالاقليم الواقع بين تخوم الصين  
الغربية والصحراء الكبيرة .

(٢) لابد أن فى رقم خمسة عشر ألفا مبالغة فظيعة ، ان لم يكن  
حرى بنا أن نعدده خطأ فى النقل . والخلاصات الايطالية المبكرة تقول انها  
خمس عشرة سفينة ، ولكن هذا سخف يقابل الأول فى تطرفه ، ولذا  
فمن المرجح أن يكون الرقم المقصود هو خمس عشرة مائة . وموقع هذه  
الناقلات يقال عنه فى نسخ أخرى انه على مسيرة يوم من البحر ، بدلا من  
كونه على بعد ميل واحد .

( والميرة : الأغذية ) - المترجم .

(٣) لا نستطيع أن نتردد ترتيبا على موقعها وتشابه الأسماء ، أن  
نعدها هى مدينة هو آى جنان فو ، التى تقع قرب الشاطئ الجنوبى  
الشرقى لنهر هوانج هو ، عند المنطقة التى يعبره عندها خط القناة الكبرى،  
كما أنها هى نفسها ربطت بذلك النهر بواسطة قناة صغيرة . ان جميع  
الكلمات الصينية البادئة بالحرف الهائى ، ينطقها التتار الغربيون بصوت  
حلقى شديد وذلك شأن النطق الحلقى لهذا الشعب ، حيث ينطقه  
الصينيون مخففا ومرققا حتى يصبح هائيا ( يماثل التنفس بحرف الهاء ) :  
فهم بدلا من خان ينطقون هان ، وبدلا من كوكونور - ( الحلقية ) ( وهى  
بحيرة كبيرة معينة ) ينطقون هوهونور ( الهائية ) ، وبدلا من كوتوخ تو  
( وهى المرتبة الثانية من اللامات ) ينطقون هوتوتو .

(٤) ان المكان المسمى هنا كوان زو ، وهو فى نسخة بال كاي جوى ،  
كما أنه فى الخلاصات المبكرة كاي كوى ، لا يظهر فى الخرائط ، ولكن  
يبدو أنه المكان الذى يذكره ده جنى تحت اسم يانج كياين .

## ● هوامش الفصل الخامس والخمسين

(١) ليس بين أيدينا من المعلومات ما نحدد به الشخوم الدقيقة لمانجى ولا لخاتاي ، ولكن من الواضح أن مؤلفنا كان يعد - بصفة اجمالية - ذلك الجزء من الصين الواقع جنوب نهر هوانج هو أو النهر الأصفر ، تابعا لما يسميه ولاية مانجى ، أو تابعا مع بعض تحديدات قليلة ، لامبراطورية أسرة صونج ، كما يعتبر أن خاتاي أو كاتاي هي الجزء الواقع الى شمال ذلك النهر ، وهو الجزء الذى فتحه المنغول ( المغول ) مغتصبين له ، لا من الصينيين بل من أسرة كن أو التتار النيوتش ، وهو أقليم أخضعوه تحت اسم خاتاي أو كاتاي .

(٢) لم تكن كلمة فكفور هذه اسما لأمر فرد بعينه ، ولكنها كانت هي لقب الفغفور « الذى أطلقه العرب وغيرهم من الشعوب الشرقية على أباطرة الصين تمييزا لهم عن ملوك التتار » وهو يدل أيضا ( طبقا للقواميس ) على خزف البورسيلين الصينى ، ولعله يعنى أيضا ما يسميه الفرنسيون بصفة عامة ، خيط « Magats de la Chine » وكان اسم الامبراطور الذى يتولى الحكم فى ذلك الوقت هو توتسونج .

(٣) ذلك وأن مؤلفنا يرسم شخصيته ملونة بألوان أنسب وأجمل مما رسمه المؤرخون - الصينيون ، الذين لا يخفون ما فيها من ظلال قاتمة بنور أية فضيلة اتصف بها .

(٤) اكتسبت ممارسة تعريض الأطفال الرضع للموت وبخاصة الاناث منهم ، شنة وسوء سمعة منذ أن تعرض مؤلفنا لها هذا التعرض الأول والذى لا لبس فيه . يقول بارو : « ان عدد الأطفال الذين كانوا يقتلون بهذه الطريقة غير الطبيعية واللا انسانية ، أو يودون أحياء فى مدى سنة واحدة ، يختلف تقديره باختلاف المؤلفين ، حيث جعله بعضهم عشرة آلاف وبعضهم الآخر خمسة وثلاثين ألفا فى الامبراطورية كلها . فأما حقيقة الأمر ، فربما كانت كما يحدث بصفة عامة ، هى متوسط هذين الرقمين . ويقوم بين المبشرين ، الذين يملكون وجاههم وسيلة التحقق التقريبى من عدد الضحايا الذين يضحي بهم فى العاصمة ، اختلاف كبير فيما يقدمونه من بيانات . فلو أخذنا المتوسط على ما أورده من تحدثنا عنهم فى هذا الموضوع ، أمكن أن نستخلص أن أربعة وعشرين ضحية ، كانوا فى المتوسط يحملون كل يوم فى بكين الى حفرة الموت . وهذا

التقدير يجعل الضحايا تسعة آلاف كل عام المعاصمة وحدها ، بينما المظنون أن عددا يكاد يعادل هذا كان يعرض للموت في جمع الأجزاء الأخرى للامبراطورية ، • انظر *Travels in China* ص ١٦٩ •

(٥) تصف الطبعة اللاتينية على النحو التالي الأسلوب الذي كان يتولى به الامبراطور الاتفاق على جزء من هؤلاء الأطفال :  
Rex tamen infantes, quos sic colligi jubet, (tradit divitibus quibus  
qus, quos in regno suo habet.  
ويبدو أنه كانت هناك في عهد الامبراطور كانج هي أيضا ، ( ومات في ١٧٢٢ ) ، مؤسسة عامة لاستنقاذ الأطفال الذين يلقون على هذا النحو طعمة للموت •

(٦) المعنى الحرفي لكلمة بايان ، أو كما ينطق الصينيون الاسم بيه ين ، هو تلك اللغة « مائة عين » ، ويمكن اعتبارها كنية أو نعنا لهذا المقاتل الممتاز ، ترجع الى شدة يقظته ، وحذره ، وسرعة مبادرته الى استغلال الفرص •

(٧) حدثت أولى العمليات الحربية في الحرب التي شنت على أسرة صونج ، وهي الأسرة الحاكمة في مانجى ، ( حسبما يروى كتبها *L'Histoire Générale* ) جهة الغرب ، قرب سيانج يانج ، التي حوصرت في ١٢٦٩ ( قبل وصول مؤلفنا الى بلاد الصين ) ، وان لم يتم الاستيلاء عليها حتى ١٢٧٣ •

(٨) ربما كان هذا هو الجيش الذى استخدم فى اخضاع سيانج يانج •

(٩) يظهر أن مؤلفنا كدس فى هذا المكان تحت حكم ملك واحد ، أحداثا تمت الى ملكين أو أكثر ، أعقب كل منهم الآخر تعاقبا سريعا • فقد مات الامبراطور توتسونج ، الذى قيل ان خلقه غير الحربي والفاقد ، جلب على بلاده النكبات التى حلت بها فى عام ١٢٧٤ حتى أجلس وزيره الذى كان يتحكم فيه ، بنصائحه السيئة تحكما مطلقا ، ابنه الثانى وهو الطفل الصغير على العرش ، وأعلن تعيين أمه الامبراطورة وصية عليه وهو قاصر • ثم وقع ذلك الأمير فيما بعد واسمه كونج تسونج ، أسيرا فى قبضة التتار ، ولكن الصينيين ، الذين كانوا لا يزالون يتعلقون بمصائر الأسرة المالكة المتحضرة ، أسبغوا اللقب الامبراطورى على أخيه الأكبر ، الذى كان اسمه توان تسونج ، والفقرسة فى هذا النص تتعلق بقدره ومصيره •

(١٠) تلك هي فيما نعتقد الحكاية الشائعة بين الناس ، التي يرددنها مؤلفنا كما سمعها ولكنها في الراجح لم يكن لها أساس الا بسبب لفظي صيني يدور حول اسم ذلك القائد العظيم ، الذي كان سيده مدينا لمواهبه الفذة بفتح جنوب الصين ، وفيه يقول المؤرخون الصينيون : « انه كان يقود جيشا ضخما كأنما هو فرد واحد » .

(١١) تم تسليم العاصمة في ١٢٧٦ ، ولكن فتح الصين لم يتم الا في نهاية عام ١٢٧٩ ، نتيجة معركة بحرية كبيرة .

## ● هوامش الفصل السادس والخمسين

(١) تقع المدينة على خمسة أميال تقريبا من النهر الأصفر ، الذي تتصل به بواسطة القناة الكبرى .

(٢) يقول البروفسور مارتين : « يوجد قرب ذلك المكان مستنقعات مالحة ، يستخرج منها الملح بوفرة » . انظر Thevenot جزء ٣ ص ٣٢١ .



## ● هوامش الفصل السابع والخمسين

(١) تشكل هذه الجسور كورنيش القناة ، وتفصلها - على مستوى أعلى - عن مياه البحيرة ، ويبدو أنه لم يكن هناك في زمن مؤلفنا سوى كورنيش وحيد بهذه المنطقة كان يتم بواسطته رفع مياه البحيرة ، في هذا الجانب الذي تغذيه الأنهار ، إلى مستوى مصطنع ، ويلاحظ استاونتون أن قدرا كبيرا من الاقليم وكان فيما مضى مغمورا بالمياه جفف وأصبح منزرعا .

(٢) من هذا ينبغي أن يفهم أن أسطول الناقلات دخل في القناة أو الجزء من البحيرة الذي كان يقوم بعمل القناة ، وكان يتحمل الجند إلى جيرة مدينة هو آي جنان ، التي تقوم على شاطئها وسط مستنقع .

(٣) هذه هي مساكن تشييو الواردة في (Van Braams Journal) وهي بارين هين في خريطة دوهالد ، كما أنها باوينج شين في خريطة استاونتون .

## ● هوامش الفصل الثامن والخمسين

(١) مهما بدت الأسماء مختلفة ، فإن من الواضح أن هذه هي مدينة كا أويو ، الواقعة على ضفاف البحيرة والقنابة ، وليس من المستبعد أن كا أن Kān خطأ مطبعي حدث في كائيو Ka-ju أو كاييو Ka-yu ، وذلك شأن كل اسم تقريبا ينتهي بحرف u حيث يقلب الى حرف آخر يشبهه شكلا في اللغات الأوروبية .

## ● هوامش الفصل التاسع والخمسين

(١) يبدو أن تنجوى أو تنجيو ، هي نفسها مدينة تاني تشيو الواردة في الخرائط ، وهي مدينة من الدرجة الثانية ، تتبع يانج تشيو فو ، وان لم يجتمع لدينا عنها الا القليل من المعلومات ، نظرا لوقوعها خارج طريق الرحالة . على أن موقعها بالنسبة للبحر ، وفي وسط مصانع الملح ، يساعد على تحديد هويتها ويلاحظ مارتين : « يوجد كثير من الملاحات في شرق المدينة ( يانج تشيو ) حيث يصنع الملح من مياه البحر » . ص ١٢٩ .

(٢) ربما جاز لنا أن نقول ان هذا المكان ، بوصفه سوقا لتصدير الملح الى الولايات المختلفة ، انما يقع قرب النهر العظيم ، كما أن مدينة تنج كيانج هيمن تبدو كأنها هي في ظروف مناسبة تماما لتلك التجارة . على أنه ينبغي أن يلاحظ مع ذلك أن تشن جوى أو سن جوى مميزة عن تن جوى ، لا توجد في نسخة بال ولا في خلاصة البندقية .

## ● هوامش الفصل الستين

(١) لابد أن جهات البوصلة الأربع حرفت هنا تحريفا عظيما ، ولكن مهما تكن المواقع المحددة لهذه الأماكن التافهة القدر الوارد ذكرها فورا ، فإن يان جوى أو يان جيىو . يرقى شك الى كونها مدينة يانج تشيو فو ، ومع أن زمام الثانية لم يكن يحتوى ، فى القرن السابع عشر ، حسبما يروى مارتين الا عشرةا من المدن ، بدلا من أربع وعشرين . يقول دوهالد : « انها مدينة تجارية جدا ، وتدور بها تجارة عظيمة فى جميع أنواع الأشغال الصينية . . . ولا شك أن الجزء الباقي من القناة حتى بكين ، ليس به بلد يمكن أن يقارن بها . ومحيط يانج تشيو فرسخان . . . ويمكنك أن تعد فى المدينة ، فضلا عن الضواحي ، مليونى نسمة » ( مج ١ ص ١٣٤ ) . ويتحدث عنها استاونتون قائلا انها مدينة من الطراز الأول ، تحمل بصمات عهد سحيقة القدم . فهو يقول : « وهى لا تزال تحمل مظهر المدينة التى تتواصل بها تجارة عظيمة ، ولم يكن بها أقل من ألف مركب من مختلف الأحجام ، ترسو قريبا منها » . ص ٤٢٠ .

(٢) لم يتضح من البيان عن المحكمة المدنية المؤلفة من اثنى عشر عضوا ، المذكورة فى الفصل التاسع عشر من هذا الكتاب ، والهامشة ٢ ص ٢٠٦ ، - كما تتضمن هذه الفقرة ، ان حكام الولايات أو نواب الملك ، كما يسمون ( تسونج تو ) ، كانوا ينتخبون من بين هيئتهم . وربما حدث هذا الاختيار من حين الى آخر ، بغير أن يكون هو القاعدة الثابتة أصلا .

## ● هوامش الفصل الحادى والستين

- ١) مما لا مجال للشك فيه أن المقصود من نان غن ( وهى فى نسخة بال ناويجوى وفى المخطوطات وكذا الخلاصة ناين جوى ) - هو دون أدنى ريب نانكين ، الذى كان فيما مضى اسم الولاية ، أسمتها الأسرة الحاكمة كيانج نان .

## ● هوامش الفصل الثانى والستين

(١) عند انتقال مؤلفنا الى وصف هذه المدينة الرائعة ، يبتعد عن أشكال وصف خط السير ، فلا يذكر بعدها ولا شكلها أوضاعها بالنسبة لأى من الأماكن السابق وصفها . وتقع سيانج يانج بالجزء الشمالى من ولاية هو كوانج ، الملاصقة لولاية كيانج نان ، على نهر هان ، الذى يصب مياهه فى نهر كيانج ، وكان عدد المدن الواقعة فى دائرة اختصاصها فى الوقت الذى كتب فيه مارتين ، سبعا ، بغض النظر عن بعض القلاع .

(٢) طبيعى أن ندهش لهذه البيانات المكررة ، من حيث انه حتى بالمناطق الوسطى من الامبراطورية اعتاد الأهالى احراق موتاهم . ومع هذا يبدو من الملاحظات التى أيدها السادة أعضاء البعثة الهولندية ، أثناء مرورهم من خلال ولاية كيانج نان ، أن دفن الموتى ليس حتى فى أيامنا هذه عادة عامة منتظمة كما كان يظن ، وربما كان من العدل التخمين بأنه كان كثير من الخرافات الصينية ومعها مبدأ تقمص الأرواح ، مستعارة من جيرانهم الهنود ، فان مناسك المحرقة الجنائزية ربما كانت فيما مضى لا تزال أكثر انتشارا منها الآن .

(٣) طبقا لمن كتبوا مستندين الى الحوليات الصينية ، تكون سيانج يانج حوصرت فى ١٢٦٩ وفتحت فى ١٢٧٣ ، وذلك بينما هانج هانج تشيو ، عاصمة أسرة صونج ، لم تدع الى التسليم حتى عام ١٢٧٦ . ولذا فان مؤلفنا بدلا من أن يقول ان مانجى كلها فتحت أثناء استمرار الحصار ، كان ينبغى عليه أن يقصر قوله ذاك على جزء ضخم منها .

(٤) وجهت العمليات العسكرية ، ابتداء ، على فان تشنج ، فى الجهة الشمالية من نهر هان ، وهى مدينة مواجهة لسيانج يانج ، ونوعا من الضواحي بالنسبة اليها ، وهى ( أى سيانج يانج ) تبدو فى خريطة دوهالد ، محوطة احاطة جزئية بمنحنى فى ذلك النهر .

(٥) فى طبعة بال ، ينسب المؤلف لنفسه نصيبا من ذلك الفضل ، حيث يقول ما نصه :

« Illo enim tempore ego et pater meus atque patruus fuimus in imperatoris aula ».

كما ورد في الخلاصة الإيطالية ما يلي :  
« Certamente la fo presa per industria de miser Nicolo e Mafio e Marco ».

(٦) ربما جاز لنا أن نفهم من نص نسخة راموسيو أن هؤلاء الناس إنما هم نصارى آسيويون ، وربما كانوا من الأغور أو الأروام ، الذين كانوا يعدون عندئذ أمر الناس المستخدمين في بلاطات التتار أو جيوشهم وغيرهم من أمراء الشرق ، وأحسنهم علما • وعلى نقيض ذلك تتحدث عنهم نسخة بال بأنهم :

fabros lignariis Christianos quos nobiscum habuimus ».

كما نتحدث الخلاصة بأنهم :  
« Maestri Venetiani che era cerano in quelle parte ».

(٧) كثيرا ما تذكر الحوليات الصينية سقوط الأحجار النيزكية •  
انظر : Voyage à Péking تأليف ده جنى مج ١ ص ص ١٩٥ - ١٥٠ •

(٨) ينبغي ألا يغيب عنا هنا ، أن عدم تناقض المؤلف مع نفسه. وضع هنا تحت اختبار مريز ، حول الموعد الذي حدد بصفة عامة تاريخنا لسقوط مدينة سيانج يانج ، وهو تاريخ ، لو أنه حدث فعلا عند ختام عام ١٢٧٣ ، لم يسمح بأكثر من سنتين لرحلة أسرة بولو من عكا بفلسطين ، التي غادروها بالتأكيد حوالى نهاية ١٢٧١ ( كما هو موضح في هـ ١ ص ١٩ ) ، حتى وصولهم الى بكين ، بينما الوارد في نسخة راموسيو ، وان لم يرد في طبعة بال ، انها استغرقت ثلاث سنوات ونصف • واذن يصبح من الضروري تبني أحد أمرين ، فاما أن يكون الزمن الذي قضوه في الطريق لم يزد في الحقيقة على الفترة سالفة الذكر ، واما أن الحصار لم يتم بالسرعة التي أوردتها البروفسوران جوبل ومايلا • ويحصل الفرض الأخير على درجة ما من الأرجحية ، نتيجة لتأكيد مؤلفنا المتكرر بأن هذا كان من بين أماكن مانجى الأخيرة التي صمدت أمام التتار •

## ● هواهش الفصل الثالث والستين

(١) قد خرج مؤلفنا عما قد يمكن اعتباره خط طريقه لكي يتحدث عن مكان مهم وعجيب مثل سيانج يانج ، وهنا أيضا يعود بخطوة واسعة جدا الى الولايات الشرقية • وليس ثمة مدينة تستجيب بقوة للوصف الذى قدمه لسن جوى ، مثل كيوكيانج ، الواقعة عند الطرف الشمالى لولاية كيانج سى ، وهى التى سميت تن كيانج ، كما ينبؤنا مارتيني ، فى عهد أسرة صونج •

(٢) يذكر السيرج • استاوتون أن عرض نهر كيانج عند المكان الذى يلتقى به خط القناة يقارب ميلين انجليزين ، كما يقدره المسيو ده جنى بفرسوخ فرنى ، ولكن عرضه قرب البحر يكون بطبيعة الحال أكبر كثيرا • ولما كان ينبغى لنا أن نعتقد أن مؤلفنا يتحدث عن عرضه قرب المدينة ، التى يصف ، فلعله ينبغى لنا أن نفهم أنه لا يتحدث عن أسيال ايطالية بل صينية ، أو « Li » ، وهى تعادل ٣ : ٨ من الأولى ، ومن ثم فإن تقديره يتفق عندئذ مع تقدير الرحالة العصريين • والى مدينة كيوكيانج ، يمتد مد البحر وجزره ، وهنا يقال من ثم انه يتغير اسمه من تاكيانج ، أو النهر الأعظم الى يانج كيانج أى ابن البحر •

(٣) يقدر بارو طول مجراه بالفين ومائتين من الأميال ، ومعنى ذلك أن متوسط السفر فيه سيكون اثنين وعشرين ميلا يوميا ، أو ربما ثلاثين ، مع وضع مالا سبيل الى تجنبه من توقفات وأعطال فى مجرى له مثل هذا الطول ، فى حسابنا • على أنه ينبغى ألا يفهم بصفة عامة أن مسيرة يوم كامل ، هى ما يستطيع المرء قطعه فى عدد معين من الساعات ، وانما هو فى الحقيقة المسافة الفاصلة بين اثنين من مراسى الاستراحة المعتادة •

(٤) لم يكن تقسيم الولايات فى تلك المدة مطابقا للتقسيم الموجود حاليا ، حيث العدد كله انما هو اليوم خمس عشرة فيما عدا جزيرة هاى نان •

(٥) يبدو أن الملح يصنع بصفة رئيسية فى ذلك الجزء من كيانج نان ، الذى يقع بين البحر شرقا وبحيرة كاويو غربا ، ونهر كيانج جنوبا • وبعد نقله بالسفن فى الأخير يحمل الى أقصى مناطق الصين بعدا ، بيد أن شطرا ضخما منه يذهب الى العاصمة •



(٦) ان مدينة كيوكيانج ، التى تتقابل على أحسن وجه مع الظروف المروية عن سن جوى ، يتحدث عنها العلامة مارتين على هذا النحو : « ان كيوكيانج مدينة كبيرة عظيمة التجارة ، على الضفة الجنوبية لنهر كيانج ، حيث يلتقى ببحيرة بويانج الكبيرة : ويصعب على المرء أن يصدق العدد الضخم من السفن الموجودة به ما لم يرها يعينى رأسه ، فانها تجيء فى هذا النهر من كل مكان يقع فى أقصى أرجاء الصين ، وكأنى به ملتقاهما ، الذى تجتمع فيه لكى تنطلق الى البحر » . ص (١١١) .

(٧) يمكن مشاهدة صور هذه السفن فى اللوحات المرافقة لبيانات جميع السفارات المرسلة الى الصين .

(٨) جرت العادة بترجمة القنطار Cantaro بكلمة كوينتال أو هندردويت ( وهو وزن انجليزى يعادل ١١٢ رطلا انجليزيا ) وهو ما يجعل جمولة هذه السفن مائتى طن . قد تصل الى ستمائة : على أن قنطار بعض أجزاء ايطاليا أصغر من قنطار البعض الآخر .

(٩) ربما ظن من رأوا حبال سفن الجزر الشرقية أن هذه قصة قتل الخيزران حبالا ، كانت غلطة وردت بدلا من صناعة الحبال بقتل نبات الروطان ( أى أسل الهند ) أو صفره ، وهو الشائع استخدامه فى ذلك الغرض ، ولكن صحة أقوال مؤلفنا فيما يتعلق بالمادة المستخدمة فى صنع الحبال ، يثبتها تماما شهادة الرحالة العصريين . يقول المستر اليس Ellis « حتى الحبال التى كانت تربط بها الجرادل ( القواديس ) الى عجلة الساقية كانت مصنوعة من الخيزران » . انظر : Journal, etc. ص ٣٨٣ .

(١٠) يبدو أنه فى الزمن الحاضر ، تجر السفن مهما كان نوعها ونوعها بواسطة الرجال فقط ، وليس بواسطة الخيل ، التى هى ، شأن غيرها من الماشية ، نادرة ببلاد الصين بدرجة ما ، ولكن هناك من الأسباب ما يدعو الى الظن بأن أعدادا غفيرة منها أحضرت من بلاد التتار أثناء عهد أمراء المغول ، ولقيت تربيتها قدرا كبيرا من التشجيع . ومما يمكن ملاحظته فى الحين نفسه أن الملاحة الداخلية فى البلاد لا يعرف عنها الا النزر اليسير جدا ، وذلك فيما عدا ما يرتبط ارتباطا مباشرا بالقناة الكبرى .

## ● هوامش الفصل الرابع والستين

(١) هناك أسباب تدعو الى استخلاص أن المقصود من كايين جوى ، هو حتى مدينة تقع عند مدخل القناة ، على الضفة الجنوبية لنهر كيانيج ، يسميها الأستاذ ماجالهانز تشن كيانيج تيبو ، ومعناها قمم ( مصيب ) او ميناء تشن كيانيج ( وهى تسن كيانيج عند ده جنى ) ، وهى مدينة تقع على القناة ذاتها ، كما أنها موضوع الفصل التالى .

(٢) تكثر يوميات فان برام وده جنى من ذكر الاعتراضات التى لقيتها يخوتها من العدد الهائل من المواعين ( السفن ) المحملة بالأرز والمتجهة الى بكين ، والتى كانت تتجمع عند هذا الجزء من القناة .

(٣) يؤلف وصف هذه القناة العظمى ، فى كل بيان كتب عن الصين ، ظاهرة بارزة . يقول بارو : « انها ملاحه داخلية بلغت من المدى والضخامة ما يجعلها تقف بغير منافس فى تاريخ العالم » . ويقال ان اتمامها على الصورة التى توجد بها اليوم ، تم لعهد يونج لو ، ثالث أباطرة أسرة منج ، قرب عام ١٤٠٩ .

(٤) تؤدى ملاحظة مؤلفنا لهذه الجزيرة ، التى جاءت فى ابانها بصورة عجيبة ، فى نفس الوقت الذى يسجل فيه لدينا برهانا لا يتطرق اليه الشك ، عن صدق وأصالة ملاحظاته ، - الى أن يتحدد مع اليقين المكان الذى عبر عنده نهر كيانيج . يقول استاونتون : « أثناء عبور النهر استبلغت الأنظار بوجه خاص جزيرة تقع فى وسطه وتسمى تشن شان أى الجبل الذهبى ، وهى تقوم من قاع النهر على نحو عمودى أو يكاد . وهى تابعة للإمبراطور ، الذى بنى عليها قصرا جميلا فخما ، وأقام على أعلى مكان فيها كثيرا من المعابد والباجودات ( المعابد المتعددة الطوابق ) . وتحتوى الجزيرة أيضا على دير ضخم للكهنة ، يسكنونه هم أنفسهم بصفة رئيسية » ( مج ٢ ص ٤٢٤ ) .

## ● هوامش الفصل الخامس والستين

(١) يقول العلامة مارتيني : « ان من يقرءون كتابات ماركو بولو البندقى يرون بوضوح من موقع تلك المدينة ومن اسمها ( تشن كيانج فو ) أنها هي التي يسميها سن جيام ( تشن جيان ) وهي مبنية على ضفة نهر كيانج ، وفي شرق قناة صناعية مدت حتى بلغت نهر كيانج ، وفي الجانب الآخر من القناة على الضفة التي تواجه الغرب ، توجد ضاحيتها ، التي ليست أقل منها ازدحاما بالسكان ، حيث تجد ما يحيط بها عظيما عظم المدينة نفسها . وواضح أن هذه الضاحية هي المدينة التي وصفها تحت اسم مغلوط محرف هو كليون جوى ، وما قيل هناك عن مرسى السفن ، ربما جاز الاحتفاظ به لهذا المكان نفسه .

(٢) عندى أن وجود هذه الكنائس ، الذى لا يمكن أن يتطرق اليه شك معقول ، حقيقة عجيبة في تاريخ التقدم الذى أحرزته الديانة المسيحية في أجزاء الصين الشرقية أو القصوى . ورد اسم هذا الشخص في طبعة بال مارسركيس ، وفي مخطوطة برلين مارايارتشيس . ومن المعروف أن لقب أو اسم « مار » وهو في السريانية معادل لكلمة السيد ( دمينوس ) في اللاتينية ، كان يشيع اضافته الى أسماء الأساقفة النسطوريين ، وكذلك أسماء غيرهم من ذوى المكانة من الأشخاص ، ولما كان اسم مارس جيوس كثيرا ما يرد في حويلات كنيستهم ، فانه يبدو محتملا أنه هو الاسم الذى اشتق منه التحريف اسمى ساتشيس وساركيس .

## ● هوامش الفصل السادس والستين

(١) توضيح مسافة رحلة أربعة أيام ، بحذاء القناة ، من المكان سالف الذكر ، أن هذه المدينة ، التي تسمى في خلاصة البندقية الميكورة جن جوى ، كما تسمى في مخطوطة برلين تشن تشن جوى ، لابد ان تكون هني تشانج تشيو فو الواردة في خريطة دوهالد ، أو تشانج تشيو فو حسب طريقة هجائنا : « وهى مدينة شهيرة ذات تجارة عظيمة تقع قريبا من القناة »

(٢) بحسبنا بغير الدخول فى التاريخ العتيق والغامض للآلانى أو الآلانيين من أبناء اسكنديا ( الروسية ) أو التركستان ، - أن نلاحظ أنه بعد هزيمة الآلان وتشتتهم على يد الهون ، فان شطرا جسيما منهم استقروا على المنحدر الشمالى لسلسلة جبال القوقاز ، على الجانب الغربى من بحر قزوين ، كما أنهم - ان لم يكونوا بالفعل هم نفس الشعب - يختلط أمرهم الآن على الناس فيعتبرونهم الأبخاس والشركس أو الجراكسة

## • هوامش الفصل السابع والستين

(١) ينبغي أن يفهم أن سن جوى هى المدينة العظيمة سوتشييو ، التى تقع على امتداد القناة ، والتى تشتهر كثيرا عند من ينتابونها من الرحالة ، الذين يقارنونها من بعض النواحي بمدينة البندقية . يقول استاونتون : « ان شوارع مدينة سوتشيوفو ، التى كانت تمر من خلال ضواحيها اليخوت آنذاك ، كانت تقسمها - كالبندقية - فروع من القناة الرئيسية . وأقيم فوق كل فرع من هذه الفروع قنطرة حجرية رشيقة . وقد قضى أسطول السفارة ثلاث ساعات تقريبا فى المرور من خلال أرباض سوتشيوفو ، قبل وصوله الى أسوار المدينة » . ( مج ٢ ص ٤٢٧ ) . يقول مارتين : « ان محيط أسوار مدينة سوتشييو يبلغ طولها أربعين ستادا ( غلوا ) صينيا ، ولكنك لو ضمنت إليها الضواحي لوجدته دون ريب أكثر من مائة غلو » . ص ١٢٤ . ومعروف ان كل أربعين « لى » صينيا تعادل خمسة عشر ميلا إيطاليا .

(٢) لما كانت سوتشيوفو مدينة ذات ثراء وترف عظيم ، فإن من الطبيعى أن يشجع فيها الطب بها بسخاء عظيم ، وأن يكون من يزاولونه بها نطاسيين مهرة . ويقول بعض الكتاب ان أطباء الصين « أحرزوا كفاية تبعث الدهشة فى أكفأ أطبائنا بأوربا » ، بينما يعد آخرون عملياتهم المحكمة فى جس النبض ، وادعاءاتهم بأنهم من هنا يكونون قادرين على التحققي من بيت الداء ومصدره ، شيئا لا يتجاوز الدجل الصراح . انظر General Description of China تأليف الأب جروسييه ، مج ٢ ص ٤٨٠ ، وانظر بارو فى Travels in China ص - ٣٤٣ .

(٣) من الواضح أنه يشير بلفظتى فلاسفة وسحرة الى تلاميذ كنفوشيوس ( الذين يسمون عادة بطبقة الأدباء Literati ) وإلى أقرانهم تلاميذ لاؤكيون أو طائفة تاءوتسيه ، كما أنه فى مواطن أخرى يعنى بلفظة الوثنيين عبدة « فو » ، أو بوذا ، الذين يؤلفون أكثر الطبقات تعدادا . والفئة الأولى ( أعنى السحرة والفلاسفة ) يدرسون الأعمال الأخلاقية والمتافيزيقية ( ما وراء الطبيعية ) التى وضعها معلمهم العظيم ، ويحصلون على درجات نظامية فى الفلسفة تؤهلهم - طبقا لتحصيلهم - لتولى مناصب وظائف الحكومة وأن يصبحوا من يسميهم الأوربيون « ماندرين الأب » . ويعتق التاءوتسييون Taotse أو « أبناء الخلود » ، كما يسمون

أنفسهم ، مذاهب يصفها بعض الكتاب بأنها تماثل مذاهب « أصحاب اليوجا Yogis » الهندوكية أو « السكونيين » ( ويسندو أنهم يستمدون أفكارهم منهم فعلا ) ، بينما ينسب إليهم آخرون ، تأسيسا على عاداتهم ذات النزعة الدنيوية ، منازع المدرسة الإبيقورية ، ولكن مهما تكن اعتقادياتهم ( دغماطياتهم Dogmas ) فانهم يكرسون أنفسهم لممارسة السحر ، يضلون من يتبعونهم برؤى الطبقة شبه المستنيرة واستغراقها في الأحلام .

(٤) يقول العلامة بيربزن : « ينمو التباين هو آم ( والأصح حسب ده جنى أنها تاهوانج . اي Grand Jaune ) أو الرواند ، بأماكن كثيرة من بلاد الصين . وأحيين أنواعه ، هو راوند سبيه تشوئن ، فأما الذى يرد من ولاية اكسينسى ومن مملكة التبت ، فانه أجود كثيرا . » ( Lettres édific مج ١٩ ص ٢٠٧ ) . ونظرا لأن جبال ولاية كيانج نان . تقع على نفس خط العرض الذى تقع عليه الأولى ، فانها ربما أنتجت بالمثل صينفا جيدا من الرواند ، وان لم يلاحظ ذلك رحالونا العصريون ، الذين لا تتاح لهم على الجملة سوى أضييق الفرص للقيام بأبحاث في علم النبات يتجاوز مداها حوافى القناة والطرق الرئيسية . ومن الواضح أنه قد وقعت هنا غلطة ، ربما جاءت في ترتيب ملحوظات مؤلفنا الأصلية وما يقال عن زراعة الرواند بالهرب من سن جوى أو سوتشييو ، بولاية كيانج نان الشرقية ، كان المقصود منه دون أدنى ريب هو سنجوى أخرى أو سى ننج ، وهى مكان تجارى شهير في ولاية شن سى الغربية ، وعلى الطريق الى بلاد التبت . ولا شك أن تجارة السلعة تعزى بوجهه خاص الى هذا المكان الأخير ، كما أن الروس ، كما ينبؤنا بالاس ، يعقدون صفاتهم حول تلك المادة مع التجار البخاريين المقيمين هناك . وليس من غير المحتمل — فى حد ذاته فقط — أن يفخر بانتاج هذا النتاج ، مكانان يحملان نفس الاسم ، ويقعان فى أقصى الطرفين المتقابلين من بلاد الصين ، ولكن الواقع أن وجوده فى أية واحدة من الولايات الشرقية ليس له على الإطلاق سند يؤيده . أما فيما يتعلق بالزنجبيل ، فان المقدار الذى يمكن شراؤه بغروت بنادقى واحد ، يقال عنه فى الخلاصة الإيطالية انه خمسة أرطال وليس أربعين رطلا . ( ولكن أجود النسخ تتفق على رقم الأربعين ) .

(٥) ان مؤلفنا وان أمكن أن يكون مخطئا في تعليله لأصل الكلمتين Etymology ، وفي الصفات المميزة التى ذكرها لهما وهى الفردوس السماوى والأرضى ، فان من الواضح أن ملاحظته ، تشير الى مثل صيني شهير يقول : « ان ما عليه السماء فى الأعلى ، هو ما عليه سوتشييو

وهانج تشيو في الأرض » • ويورد الأستاذ مارتيني هذا المثل بمنطوق  
كلماته الأصلية • انظر Thevenot الجزء ٣ ص ١٢٤ •

(٦) ان مدينة فاجيه Va-gie ، التي لم يرد ذكرها في النسخ  
الأخرى ، اما أن تكون هوتشيو ، الواقعة على جانب من بحيرة تائي ،  
قبالة الجانب الذي تقع عليه سوتشيو ، والا ( وهو الأرجح ) فهي المدينة  
المسماة كيا هنج في الأزمنة الحديثة ، وكانت فيما سلف سيونشيو ،  
وهي في خط المجرى المباشر للقناة ، وفي نقطة متوسطة بين سيونشيو  
وهانج تشيو • وكلتاها شهيرة بضخامة تجارتها ، وبخاصة في الحرير ،  
الخام منه والمصنع •

## • هوامش الفصل الثامن والستين

(١) كانت الحوليات الصينية تسمى تلك المدينة لن جنان ، فى الوقت الذى سلمت فيه وهى عاصمة الصين الجنوبية فى عهد أسرة صنج لجيوش قبلاى • وغيرت أسرة منج الاسم الى هانج تشيو ، وهو الاسم الذى حملته فى وقت مبكر والذى لا تزال تحتفظ به حتى يومنا هذا • وبناء على هذا ينبغي أن يعد اسم كوينساي أو كن ساي أو كن تساي حسبما يذكر دى جنى ، مجرد تسمية وصفية ، ربما كانت قائمة على المثل السائر سالف الذكر ، الذى يسميها بدار الإقامة السماوية ، وإن أمكن ألا يكون معنى الكليات المكونة للاسم هو بالضبط ما نسميه مؤلفنا اليها •

(٢) نظرا لأن مدينة يانج تشيوفو ، التى عين عليها حاكما مؤقتا لمدة ثلاث سنوات ، لا تبعد عن هانج تشيوفو الا مسيرة أسبوع بالقناة المائية ، فقد أتاحت له تبعا لذلك فرصة الاتصال بتلك العاصمة بين حين وآخر •

(٣) لو أخذت هذه الأبعاد بمعناها الحرفى ، لوجب أن تعد مسرفة ، وإن جاز أن يفهم أنها تشمل الضواحي أيض ، ولكن وردت مناسبات عدة للملاحظة ، أنه متى كان مؤلفنا يتكلم عن حجم الأماكن ، وتحدث بالأميال ، وجب الذهاب الى أنه يقصد الأميال الصينية أو « لي Li » ، وهى ثلاثة أثمان ٣/٨ الأميال الإيطالية • وحتى لو فرض ذلك فإن هذا الامتداد قد يبدو مبالغا فيه ، لولا أن الأسوار حتى ما كان منها حول المدينة العصرية ، يقدرها الرحالة بستين « لي » ، وأنه لو أن الأسوار ألم بها بعد انصرام خمسة قرون بعض التغيرات ، فإن الواجب أن نفترض أن حدودها ربما تقلصت تقلصا كبيرا • أجل انه يندر أن يتأخر للغرباء قياس أبعاد الأماكن المحصنة ، فليس بد من أن يستقوا معلوماتهم من الأهالى ، الذين يحتمل أن يخدعوهم نتيجة للجهل أو التفاخر •

(٤) البحيرة التى يدور الحديث عنها هنا هى بحيرة سى هو ، أى البحيرة الغربية ، التى سميت بذلك الاسم بسبب موقعها فى الجانب الغربى من المدينة • وهى ان تكن غير ذات شأن من حيث الاتساع فانها شهيرة شهرة عالية عند جميع الرحالة بسبب جمال ما يحيط بها من مناظر والشفافية العجيبة لمياهها • يقول استاونتون : « كانت البحيرة تشكل مسطحا جميلا من الماء ، قطره يقارب ثلاثة أو أربعة أميال ، كما



أنها محاطة في ناحية الشمال والشرق والجنوب بمدرج طبيعي من جبال بديعة المنظر . وكانت ضحلة بمعظم أجزائها ، والماء فيها صاف تماما والقاع فيها حصباني . ( ص ٤٤٤ ) . ويقول بارو الذي قام فيها برحلة : « ان ماءها صاف صفاء البلور » . ( ص ٥٢٤ ) .

(٥) النهر الذي تقوم الى جواره هذه العاصمة العربية للصين الجنوبية ، هو نهر تسيين تانج كيأنج . يقول استاونتون : « يزيد المد من سعة النهر حتى يصبح أربعة أميال تقريبا تلقاء المدينة . وينكشف على أثر انحسار الماء بالجزر ، طريق مستو رائع يبلغ عرضه ميلين تقريبا ، ويمتد حتى البحر على آخر مرمى البصر » . ( ص ٤٣٨ ) . وطبعاً لما يرويه مؤلفنا ، فلقد كان هناك في زمانه فيما يبدو ممر مائي يمتد من النهر ، مخترقا القنوات العديدة المنتشرة بالمدينة ، حتى يصل الى البحيرة . ويحدث هذا ساعة ارتفاع فيض المد ، وعند الجزر ، تحدث من خلال نفس القنوات ردة للماء من البحيرة الى النهر ، وهي الانحسار : أو الردة اللازمة لعملية التنظيف . على أن البيانات الحديثة عن هانج تشيو فو ، لا تورد أى ذكر لمثل هذه المواصلة بين النهر وبين المدينة أو البحيرة ، وتعليلاً للخلاف ربما اقتادنا الأمر الى استنتاج ، أنه ربما حدث نتيجة لتراجع البحر أو لأية أسباب طبيعية أخرى ، تغير في الظروف في غنودن هذا الزمن الطويل .

(٦) وجميع البيانات العصرية عن هذه المدينة تلتقي في وصف قنواتها العديدة ، ولكنها تصر كذلك على ضيق شوارعها المرصوفة . أجل ان مؤلفنا يتحدث في جزء تال من وصفه ، عن أن الشارع الرئيسي عرضه أربعون خطوة ( وهو ما يقارب عرض شارع بكين ) ، على أنه ينبغي أن ندخل في اعتبارنا أنه في الزمن الذي كتب فيه ، كانت هانج تشيو لا تزال تحتفظ بما للعاصمة الكبرى ومقر الحكم الامبراطوري من روعة وفخامة ، وأنه في قطر تكرر اجتياحه وتخريبه على يد غزاة فاتحين أجانب وأهلين ، لا يمكن الظن بأنها سلمت من التدمير المتكرر ، ولا أنها متى جددت ، ما كان ليشتد في التنظيم الجديد لشوارعها ، حالة تزيد عن وضع ماينة اقليمية ، وان كانت من الطراز الأول .

(٧) ليس بين المبالغات التي نسبت الى مؤلفنا ، في بيانه عن الصين ، ما شاعت الاشارة اليه بالبنان ممن يناصبونه العدا ، أكثر من هذا القول ، بأن مدينة مهما بلغ اتساعها وفخامتها يمكن أن تحتوى اثنى عشر ألف قنطرة . ولا سبيل الى إنكار أنه جانبه الصواب ، ولكن ينبغي ألا يغيب عن بالنا أنه لا يذكر هذه الحقيقة استناداً على تعداد قام به بنفسه ، بل ذكره كقصيدة شائعة بين الناس ( والعجسرة الواردة هي fema )

أى شائعة ) ، من سكان المنطقة ، الذين أفضت بهم خيلاؤهم فى هذه  
وغيرها من الحالات الى تهوئش معجب سريع التصديق مثله .

(٨) يقول الأستاذ لو كونت ، متحدثا عن القناة (أو الترع) الكبيرة :  
« وعلاوة على هذه السدود بنى ما لا حصر له من القناطر لأغراض المواصلات،  
الأرضية ، وهى مكونة من ثلاثة عقود وخمسة وسبعة ، والعقد الأوسط  
مرتفع ارتفاعا خارقا ، حتى تمر من تحتها السفن ، بغير أن تضطر الى انزال  
سواربها » . انظر (Nouv. Mém. de la Chine) مج ١ ص ١٦١ « ويقول دوهالد  
فى وصفه لمدينة مجاورة : « يمكن المجيء والدخول والذهاب بكل أرجاء  
المدينة بالسفن . فليس ثمة شارع لا يوجد فيه ترعة ، ومن أجل هذا  
يوجد عدد كبير من الكبارى البالغة الارتفاع وتكاد تكون كلها مكونة من  
عقد واحد » . ( مج ١ ص ١٧٩ ) ولكن الأقرب الى هدفنا بصورة مباشرة  
هو ملاحظة بارو من أنه : « توجد فوق هذه الترع الرئيسية ومعظم القنوات  
والأنهار الأخرى تشكيلة ضخمة من الكبارى ٥٠ ولبعضها ركائز ( بغال )  
يبلغ من ارتفاعها الخارق أن تستطيع أضخم السفن التى حملتها مئتا طن ،  
المرور من تحتها دون أن تمس سواربها بسوء » . ص ٣٣٧ .

(٩) ان وجود هذه الحفرة ( أو الخندق ) التى تبدأ عند البحير ،  
وتنتهى عند النهر ، يمكن تعقبه فى خريطة دوهالد التى رسمها للمدينة .  
ويبدو طولها فيها كأنما يزيد على النسبة المحددة لها وهى أربعة أعشار  
١٠ ر٤ من الامتداد الكامل للأسوار ، ولكن جميع الخرائط الموجودة فى  
تلك المجموعة ليس لها مقياس رسم ، وتبدو كأنما رسمها فنانون صينيون  
من الذاكرة لا عن مسح حقيقى . أما فيما يتعلق بالهدف المقصود من  
حفرها ، فربما جاز الظن بأنها جعلت لتتلقى فيوض البحيرة لا لتستقبل  
فيضان النهر ، وتأسيسا على ذلك يتحدث استاوتون عن التيار الذى  
يتدفق إليها فى الأوقات العادية بأن مصدره هو البحيرة .

(١٠) لا شك أن داخلية هذه المدينة وجميع ما عداها من المدن  
الصينية ألم بها منذ عهد مؤلفنا ، تغير كل ، كما أن الأسواق العامة  
التي ورد ذكرها هنا لم يرها ويلحظ وجودها الرحالة العصريون . وتبعا  
لطول « الى Li » الصينى ، على ما قرره أدق الكتاب بأنه يعادل ٢٩٦  
توازا فرنسيا French toises ( والتواز يعادل ١٩٤٩ مترا ) ، فان كل  
جانب هذه الميادين سيكون ٣٢٠ ياردة انجليزية تقريبا ، كما أن بُعد  
أحدها من الآخر ٢٥٦٠ ياردة .

(١١) يظهر أن تعليمات ولوائح الحكومة الصينية الخاصة بالتجارة  
الأجنبية المستخدمة فى غابر الأيام هى نفسها تقريبا ، التى تخضع لها  
المصالح الأوربية بهيئة كانتون فى الزمن الحاضر .

(١٢) لعله يجدر بنا ، بدلا من استئصال « واو » العطف ، أن نستخلص « أو » الفصل ونعتمد كل اثنين من هذه الطيور المائية الصغيرة معادلا لواحد من الصنف الأكبر .

(١٣) يلاحظ استاوتون أنه « ليس لعامة الناس نصيب أو يكادون - في أن يذوقوا لحوم النوع الكبير ( من ذوات الأربع ) إلا ما يموت منها بحادثة أو مرض . وفي مثل هذه الحالات تتغلب شهية الصيني على كل الموانع ، وسواء أكان الحيوان ثورا أم جملا ، نعجة أم حمارا ، فإنه مقبول لديهم بدرجة سواء . ولا يعرف هؤلاء الناس فرقا بين لحم نجس ولحم طاهر . وأشبه أنواع الطعام الحيواني شيوعا ، هي الدواب التي تستطيع الحصول على بعض موارد تعيش عليها بين دور السكن كالخنائير والكلاب ، كما أنها تباع بالأسواق العامة » . ( ص ٣٩٩ ) - ويلاحظ بالمثل الرحالة العرب في القرن التاسع طريقة الاغتذاء الخالية من التمييز التي يداها الصينيون عليها في أيامهم .

(١٤) لا مناص من الاعتراف بأن كمثرى وزنها عشرة أرطال ، تكون نتاجا خارقا للطبيعة ، ولا بد أن تكون من نوع لا يزال غير معروف في أوروبا ، التي - في اعتقادي - أن أكبر ما فيها لا يتجاوز رطلين ، كما أنني لم أستطع أن أتحقق من وجود أية كمثرى مزروعة بانجلترا يتجاوز وزنها ستا وعشرين أوقية . ومن المعروف حقا أن أنواع الكمثرى Pyrus وكذا غيرها: من الفواكه ، لا تنحط حجما وصيفا فحسب ، ولكنها لا تلبث في مدى فترة طويلة من السنين أن تبديد تماما . بيد أن قابلية تصديق حديث مؤلفنا لا تقوم على مجرد افتراض الوضع الذي لعله كانت عليه فلاحه البساتين الصينية ابان القرن الثالث عشر ، وذلك لأننا نعلم من بيانات الرحالة المحدثين أن كمثرى ذات حجم غير عادي لا تزال تنتج بالولايات الشرقية من بلاد الصين . وأكد المستر هنري براون ، الذي ظل عدة سنوات يشغل مركز مدير مصنع الشركة بكانتون ، للمستر مارسدن ، أنه شهد كمثرى يعتقد أنها زرعت بولاية فوكيين ، يعادل حجم الواحدة منها حجم قنينة نبيذ متوسطة . وما يقال عن أن مادتها الداخلية تشابه العجين ، فالمقصود منه وصف تلك الصفة التي يسميها فان برام باسم « الذائب أو السكرى Fondante » ، وعنهما يقول ده جنى متحدنا عن نفس الفاكهة أنها زبدية . Beurée ، ويتحدث الأخير عنها بأنها بالغة الضخامة بالغة الامتياز . مج ٣ ص ٣٥٥ .

(١٥) وربما جاز لنا الظن بأن المقصود من الخوخ الأصفر عند مؤلفنا هو المشمش ، الذي هو الخوخ من نتاج ذلك الجزء من الصين ، ولم يرد للبر تقال ذكر .

(١٦) نظرا لأن البيوت الصينية لا تبني على وجه الجملة الا من طابق واحد ، فان ما يرفع فيها طابق ثان ، يمكن نسبيا تسميتها بيوتا عالية « Case alte » .

(١٧) جرت العادة في زمن مؤلفنا بمدينة كانبالو أو بكين ، شأبها في الوقت الحاضر ، بقصر سكنى النساء العموميات على ضواحي المدينة ، التي كان ينزل فيها أيضا الغرباء العديدون الذي كانوا يقدون على العاصمة . ولكنهم يوصفون هنا ، من جهة أخرى ، بأنهم يسكن أشد اجزاء المدينة ازدحاما بالترددين ، وبخاصة في المنطقة المجاورة للأسواق ( أو البازارات ) ، كما يتم السهر بدقة على راحة التجار الأجانب ، من هذه الناحية أيضا . ( يقول ثاني « الرحالة العرب » ، بعد ايضاحه الطريقة التي كن يسجلن بها ويرخصن من جانب موظفي الحكومة ) : تمشي هؤلاء النسوة مساء مرتديات ثياب حريرية متنوعة الألوان ، كما أنهن لا يرتدين قط حجابا . ويتهافتن على جميع الأجانب الذين وصلوا حديثا الى البلاد ، اذا كانوا يحبون الفجور . ويدعوهم الصينيون للذهاب الى منازلهم ، فلا يخرجن منها الا في الصباح . فلنحمد الله ، على أن أعفانا من وجود سبة كهذه عندنا . انظر : Anc. Relat. ص ٥٧ .

(١٨) يذكر ده جنى في البيان الذي كتبه حول مراتب المندرين أو الحكام (Kouan) المتعددة : « رئيس الشرطة » « Le nan-hay » ، ومعاونيه أو ملازمي الأقسام . والراجع أن الموظفين الذين يتحدث عنهم المؤلف في النص هم من الطبقة الأخيرة .

(١٩) يقول استاوانتون : « كان من الصعب المرور في الشوارع بسبب شدة احتشاد الناس ، الذين لم يجتمعوا فحسب لرؤية الغرباء ، أو في أية مناسبة عامة أخرى ، بل لأن كل واحد يمضى في طريقه فيما شغله من أمور » . ص ٤٣٩ .

(٢٠) لما كان مؤلفنا يعترف بأنه حصل على معلوماته في هذا الموضوع من مواف بالجمارك ، فان ذلك يستتبع أن مقدار الفلفل المذكور في النص ، هو المقدار الداخل عن طريق الاستيراد ( وهو المقدار الذي يمكن وحده أن يقع تحت علمه ) ، وليس المقدار المستهلك في المدينة : والذي ليس من المستبعد أن يكون اختلط في عقل الأول . ولما كان الوارد اليومي يقدر بأنه ١٠٤٤٩ رطلا ، فان المقدار السنوى لا يسد أن يصحح : ٨٨٥٣٨١٣ رطلا ، أو ( بالمعدل المعتاد ١٦ هندريديت Cwt للطن في هذه السلعة ) ما يقارب ٢١٣٠ طنا .

وربما ظن هذا المقدار ضخما ، ولكن هناك ورقة أعدها المستر ف . دالريمبل ونشرت في : Dalrymple's Oriental ( مج ٢ ص ٣٠٥ ) وهي تؤكد أن « الاستيراد العادي ، بجميع موانئ الصين التجارية يقارب ٤٠٠٠٠ بيكول وهو ما يعادل ، باعتبار البيكول الواحد ١٣٣ ليرة ( رطلا ) ، حوالي ٣٠٠٠ طن » . ويقول ده جنى متحدثا عن تجارة الصين العصرية : « باع الهولنديون والانجليز ١٤٦٥٠٠٥٣ رطلا من الفلفل ، و ٤٦٤٧١ رطلا من القرنفل ، و ٨٩٧٩ رطلا من جوزة الطيب ، وهذا المقدار من التوابل - لو روعي معه عدد سكان الصين - أقل من الكفاية بكثير ، ولا يعد شيئا بالنسبة لما ينبغي أن تستهلكه الامبراطورية » ( مج ٣ ص ٣٠٤ ) ، أما فيما يتعلق بعدم كفاية هذا الاستيراد ، فينبغي أن يلاحظ أنه ليس على التجارة الأوروبية وحدها يعتمد الصينيون فيما يلزمهم من الفلفل . فان سفنهم تتراد كثيرا من الجزر الشرقية ، وفي ميناء بورنيو ذاتها بوجه خاص ، يشحنون السفن كل عام بشحنات ضخمة من تلك السلعة .

(٢١) يقول استاونتون : « ان أقدمشة الساتان المنقوشة بالزهور والمشغولة « شغل الابر » وغير ذلك من فروع صناعة الحرير ، التي يقوم النساء بكل جزء منها ، يشتغل فيها عدد هائل منهم في هان تشوفو . وكان معظم الرجال يرتدون ثيابا زاهية الألوان ، ويبدو عليهم أثر الدعة والنعيم » . انظر : Embassy مج ٢ ص ٤٣٩ .

(٢٢) يمكن أن نلاحظ في صور الصينيين ، ما عليه نساء الطبقة العليا من ليونة القسيمات ، ورهافة القد وعادات الاسترخاء . ويقول استاونتون : « مع أن السيدات يعددن البدانة جمالا في الرجل ، فانهن يعتبرنها وصمة عيب صريحة في جنسهن ، ويعملن على الاحتفاظ بالانحاف ورشاقة القد » . ص ٤٤٠ . ولا يشير مؤلفنا إلى عادة تخفيف الوزن ومنع استخدام القدمين ، بوضع عصابة عليه منذ وقت مبكر ، ما لم يجز أن نظن أنه كان يركز فكره في تلك الممارسة عندما استخدم عبارة « Allevare morbidamente » وفيما يتعلق بهذه الحالة وحالات خسارقة ( كتربية الأطراف حتى تبلغ بوصتين أو ثلاثا والاحتفاظ بها في أحقاق ) ، فلعله شك في أن يجد من يصدقه ، أو خشى أن يتعرض للسخرية لو أنه رواها على أنها حقائق . وربما أمكن أيضا الشك في هل كانت هذه الموضات منتشرة فعلا في ذلك الزمان .

(٢٣) ان كانت هذه الممارسة الوراثية للدهن عادة اتبعها الصينيون فيما خلا من الأزمان ، شأنها بين أهالي الهند ، فلا بد من التسليم أن آثار تلك العادة لم تعد موجودة في الأزمنة الحديثة .

(٢٤) ان ميول الصينيين وعاداتهم غير الميالة للحرب ، شىء معروف للناس عامة ، ومع هذا فانهم أبدوا فى الدفاع عن منهم ، فى كثير من الأحيان ، أعلى درجات التصميم الوطنى المستبشس ، كما أن المغول (المنغول) ما كانوا ليصلوا الى اخضاع البلاد ، لولا أن خان القواد وجسود شرطة صابرة .

(٢٥) ان المظهر الخارجى لهؤلاء الناس رزين وهادى ، ولكنهم فطروا على مزاج انتقامى غضوب ، كما أن قلة ما ينشب بينهم من شجار ، ترجع بصفة رئيسية الى وجود شرطة صابرة .

(٢٦) يمكن أن يقال ان خلق أو صفة النزاهة شىء ليس للصينيين العصريين منه الا نصيب قليل ، وذلك نظرا لأن جميع ما بين أيدينا من بيانات عن عاداتهم تمتلئ بالحكايات والقصص عن ضروب الاحتيال البارع ، التى تمارس فى كانتون ضد الأوربيين الأقل مكررا ، ولكن هذا ينطبق بوجه خاص على الطبقة الدنيا من الباعة الذين - لو أننا استمعنا الى دفاعهم عن أنفسهم - فربما رأيناهم يبررون سفالتهم بأنهم انما يعملون بمبدأ الانتقام والمعاملة بالمثل . وفى الاختلاط الطويل المتواصل الذى قام بين وكلاء الشركات الأوربية ، وبين أبرز التجار الصينيين - مهما يكن الظلم الذى وقع على هؤلاء الوكلاء بسبب مؤامرات البلاط - فان الشكاوى من الاجحاف فى التجارة كانت نادرة نادرة مفرطة ، بل الواقع أنه ، على العكس من ذلك ، كانت معاملاتهم التجارية تتصف بأكمل أنواع الثقة المتبادلة وحسن النية .

(٢٧) يقول استاوتون : « كانت البحيرة تؤلف صفحة جميلة من الماء ، قطرها ثلاثة أميال أو أربعة ، ويحيط بها من الشمال والشرق والجنوب مدرج من جبال ، يقوم بين سفحها وحافة البحيرة ، شقة ضيقة من الأرض قد خططت فى نسق يمتنع الأنظار ويتواءم والموقع . فقد ازدان ببيوت الماندرين وحدائقهم ، فضلا عن قصر للامبراطور نفسه ، وذلك بالإضافة الى المعابد والأديرة التى ينزلها الهوسهاونج ، أى كهنة فو ، وعدد من القناطر الحجرية الخفيفة العجيبة الأشكال ، التى مدت فوق خلجان البحيرة . . . وأقيمت فوق القمة كذلك الباجودات ، التى كانت واحدة منها تسترعى الأنظار بوجه خاص . » ص ٤٤٤ .

(٢٨) يقول الأستاذ مارتين : « انها سفن ، يستطيع المرء بحق تسميتها القصور المذهبية » ، لأنها مطلية بألوان متعددة ، ولأن كل ما فيها يتلألأ بأبدع وأنقى الذهب الابرين . بحيث انه هنا تتجلى فخامة وأبهة اللوائم والمشاهد والألعاب الباهرة على الدوام . وان الصينيين من أهالى

هانج تشيسيو ، وهم من عبيد الشهوات الى أقصى حد فيجدون هنا  
بوفرة كل ما يمكنهم أن يمتنوه » . ص ١٤١ . ويقول بارون متحذرا عن  
البحيرة نفسها : « ان عددا هائلا من الذهبيات ( أى سقن القرحة ) كانت  
تجرى ذهابا ورجعا ، وكلها مزخرفة بأزهي طلاء وبماء الذهب وبالفراشات  
المرفرفة ، ويسدو على الجماعات النازلة بها أنها كلها تشبه المتعة » .  
ص ٥٢٤ .

(٢٩) ان العربات التي تقف لكي يستأجرها من يشاء في شوارع  
يكن أصغر حجما من هذه التي يصفها مؤلفنا ولكن تصميمها فيما عدا ذلك  
من النواحي ، واحد لا اختلاف فيه . انظر اللوحة ٤١ من اللوحات المرفقة  
بعمل المسيو ده جني ، حيث سيلاحظ القارئ أن العربات تكاد تشبه  
ما نسميه في انجلترا باسم الكارثة المغطاة ( بكبوت ) . ولما كانت عاصمة  
العاصمة الصينية القديمة ، أكثر ثرفا بكثير من عادات يكن في ظل  
التنار ، في أى وقت من الأوقات ، يجوز لنا أن نخلص الى أن عربات تلك  
العاصمة القديمة كانت تجهز مع عناية أكبر بالراحة والدهنة والجمال ،  
كما تجهز بفخامة أكثر ، من تلك الجارات القبيحة الوارد ذكرها أعلاه .  
أجل ان امتناونتون يتحدث عن : « نمارق مفضية بالقطن ، ومكبسوة  
بالحرير ، ليجلس عليها الركاب » ، في عربات هانج تشيسيو فـ ص ٤٩٧ .

(٣٠) لاحظ رحالة أحدث عهدا ، هذه الساعة المائية ( Clepsydra ) .

(٣١) يقول لوكونت : « يميز المرء عادة خمس ( حراسات ليل )  
تبدأ عند الساعة السابعة أو الثامنة مساء . وعند ابتداء الحراسة الأولى  
تدق دقة واحدة ، وبعد لحظة تعاد الدقة مرة ثانية ، وهي التي تكرر  
باستمرار في مدى ساعتين ، حتى يحين موعد الحراسة الثانية . وذلك  
أنه عند هذا تدق دقتان ، ويظل الدق مستمرا دقتين حتى الحراسة  
الثالثة . الخ . مع زيادة عدد الدقات ، بقدر الانتقال من حراسة الى  
أخرى ، بحيث ان هذه تؤلف عددا من الساعات الدقاقة بقدر مرات  
التكرار ، وبها يعلم الناس في كل لحظة كم الساعة . ويستخدم في إعلان  
نفس النوبات طبلية ، ذات حجم خارق ، يدق عليها طول الليل ، حسب  
نفس النسب » . ( مج ١ ص ١٢٧ ) . لم يرد في النص ذكر هذا التكرار  
المستمر للدقات أثناء فترات الحراسات المتعددة ( على نحو ما يحدث من  
البدء بالساعة بشوارع عاصمتنا لندن ) - وربما اعتري هذه الملاحظة  
تغيير ، ولكن يبدو أن الأرجح أن كلمات مؤلفنا ربما فهم منها ، من اعتادوا  
سماع الدقات الآلية لساعة مدينة ، ما يفيد رفع ما عناء الى هذا المستوى .  
ومما تجدر ملاحظته في الوقت نفسه ، أو ما شرحه الأسسناذ لوكونت  
بهذا الوضوح الشديد ، لم تشر اليه واحدة من يوميات السفارات المتأخرة .

يقول ده جنى : « ان الحراسة الأولى تعلن بدقة واحدة على الطلبة ، والثالثة بثلاث دقائق ، وهكذا دواليك » . ( مج ٢ ص ٤٢٠ ) .

(٣٢) هناك من الأسباب ما يدعو الى الاعتقاد أن الحدود السابقة للولايات المختلفة ، لم تكن في الماضي على ما نجدها في زماننا هذا . ولكن على الجملة يمكن أن تعتبر هذه الأقسام التسعة التي قسمت اليها هانجى أى الصين الجنوبية ولايات : كيانج نان وكيانج سى وتشيه كيانج ، وفوكيين ، وكوان تونج ، وكوانج سى ، وكوتى تشيو ، وهو كوانج ، وهو نان . ويبدو أن كائى أو خائى كانت تتألف من : بيه تشيه لى وشان تونج ، وشان سى ، والجزء الشرقى من شن سى . فأما الولايات الباقية من الخمس عشرة ولاية وهى : سيه تشوين ويون نان ، فضلا عن الجزء الغربى من شن سى ، فلم يخضعها أباطرة الصين تماما ، كما يبدو أنها لم تكن تنسب ، فى عهد مؤلفنا ، الى أى من قسمى الصين العظيمين .

(٣٣) ان الضابط ( أو الموظف ) العظيم أو المندرين ، الذي يلفب هنا بالملك (Re) أو بمعنى أصح نائب الملك ، يسميه الصينيون تسونج تو Tsong-tu وهم أحد عشر بكل أرجاء الامبراطورية ، اذ لبعضهم سلطات الولاية على أكثر من ولاية . ويسمى الحاكم الفعلى لكل ولاية باسم فويوين Fu-yuen ، وهو الذى كثيرا ما يسميه أعضاء ارساليات التبشير باسم نائب الملك ، وان كان الذى لا مشاحة فيه ، أنه من روس للأول .

(٣٤) يفوق هذا العدد كثيرا دائرة الاختصاص المعينة لاية واحدة من المدن الكبرى فى الوقت الحاضر ، ولكن ينبغى أن نضع فى اعتبارنا أن هانج تشيو فو كانت قبل ذلك بقليل عاصمة الامبراطورية الصينية الحقة كما أن دائرة اختصاصها كمدينة ، ربما لم يمسها التخفيض الى مستوى المدن الاقليمية ( عواصم الولايات ) الأخرى .

(٣٥) طبقا لما قرره دوهالد فى قائمته ، تحتوى الولايات التسع بالجزء الجنوبي الشرقى من الصين على ١٠١ مدينة من الدرجة الأولى ، و ٨٤ من الدرجة الثانية ، و ٦٢٥ من الثالثة ، فيكون مجموعها جميعا ٨١٠ مدن ، وذلك بخلاف أى أجزاء من يون نان او سيه تشوين ، ربما كانت تابعة آنئذ لملكة مانجى . وسيتضح للقارئ أن هذا لا يبعد كثيرا عما قرره مؤلفنا ، الذى لهه قصد ، فوق هذا ، أن يدخل الى القائمة بعض مدن الدرجة الرابعة الآهلة بالسكان . أما فيما يتعلق بمدن الدرجة الثالثة ، فان دوهالد يلاحظ التالى : « عندما يتكلم المرء عن هين Hien أى مدينة من الدرجة الثالثة ، فانه ينبغى ألا يتصور أن هذه منطقة



قليلة الاتساع . فان هناك من الهين ما طول محيطه ٦٠ أو ٧٠ بل حتى ٨٠ فرسخا ، وما تدفع للامبراطور جزية مقدارها عدة ملايين كثيرة .  
( مج ١ ص ٢٠ ) . على أن الأستاذ لو كونت يجعل عدد المدن أكثر كثيرا مما أورده دوهالد فهو يلاحظ : « تقسم المدن عادة ، الى ثلاث درجات . فأما الدرجة الأولى فيوجد منها أكثر من ١٦٠ مدينة فأما الثانية فعندها ٢٧٠ ، وأما الثالثة فما يقرب من ١٢٠٠ ، مع عدم حساب ٣٠٠ مدينة أخرى مسورة ، توضع خارج هذا المجال ، وان كانت أهلة بشدة بالسكان وتوجد بها تجارة ضخمة » . ( مج ١ ص ١١٨ ) . ويبدو أن هذا يفوق أيضا ما عدده مؤلفنا ، ولكن ينبغي ألا ننسى أن الأخير إنما يتحدث عن مانجي فحسب ، الأمر الذي يخرج من حسابه الولايات الصينية الشمالية الثلاث .

( ٣٦ ) ليس بعيد الاحتمال اطلاقا ، أن يرى ضروريا مرابطة جيش يمثل هذا العدد من الرجال ، داخل أو قرب العاصمة الأهلة بالسكان لامبراطورية مغزوة حديثا ، ولا أن يؤلف ألف رجل في تلك المدة الجمية العادية لمدينة من الدرجة الأولى أو الثانية ، مهما تبدو قليلة الجند - ( حسبما يروى بعض الرحالة ) - في الزمن الحاضر . وفي القرن السابع عشر ، كما يخبرنا بذلك الأستاذ لوكونت ، كانت حامية هانج تشيو تتألف من عشرة آلاف رجل ، كان فيهم ثلاثة آلاف من الصينيين . ( مج ١ ص ١٢٩ ) .

( ٣٧ ) يبدو أن تصميم رسم القصور الصينية يكاد يتشابه كله تقريبا ، وبخاصة فيما يتعلق بهذا النوع من الفناء المقام على شرفة مرتفعة ، أما الجزء الرئيسي من المبنى ، حيث يجتمع الأشخاص الذين تؤهلهم مرتبتهم للحظوة بتقديم تحاياهم الى المليك . وسيجد القارئ في « جيراند تشانت » تأليف نيوهوف ( ص ١٧٢ ) صورة للفناء الأمامي بقصر بكين ، يثنى عليها فان برام لدقتها . ويبدو أن نزل أو سراى موظف عظيم في الدولة ، أو فرد ثرى ، كان يبنى بنفس التصميم ، ويزخرف بنفس الطريقة .

( ٣٨ ) يقول ده جنى : « قبل استيلاء التتار على الامبراطورية ، كان لبعض أباطرة الصين عدد من النسباء قد يرقى الى عشرة آلاف » . ( مج ٢ ص ٢٨٤ ) .

( ٣٩ ) يقول ده جنى : « قبل استيلاء التتار على امبراطورها ، المشار اليه هنا ، عزل عن عرشه في ١٢٧٤ ، وغادرت عائلة بولو بلاد الصين حوالى ١٢٩١ ، فمن الممكن أن مؤلفنا تحدث فعلا مع خدم ذلك الأمير ، وبخاصة عندما تقلد المحكم فى يانج تشيو بالولاية المجاورة . »

(٤٠) الواقع أن جاو بو ، التي وصفت هنساً بأنها مرفأ كن ساي أو هانج تشيو ، تقابل ميناء ننج بو الواقعة على نهر ، تحمي ماسخيه جزر تشوسان التي رست بها السفينة ( الأسد ) التابعة لبحرية جلالة الملكة والسفينة « هندوستان » التابعة لشركة الهند الشرقية في عام ١٧٩٣ •  
والى هاته الجزر ، تقدم الكابتن ماكتوش ، الذي صاحب لورد ماكارتنى •  
من هانج تشيو فو ، ليلحق بسفينته مارا من خلال ننج بو في طريقه •

(٤١) لو أننا ، حتى سلمنا بأن ( المؤلف ) يقصد ادخال الضواحي ضمن هذا البيان بعدد العائلات المقيمة في هانج تشيو ، فانه يبدو على ذلك مبالغا فيه ، على أن من الظلم قياس عدد سكان عاصمة عتيقة للصين على معيار مدينة حديثة • ومع هذا فان استاوتون يلاحظ أن : « عدد سكانها هائل حقا ، وأن المظنون أنه لا يقل كثيرا عن عدد سكان بكين » ، الذي يقدره بحوالى ثلاثة ملايين ، ملاحظا ، في الحين نفسه ، أنه يقل في عاصمة الصين عدد الظروف التي تؤدي الى تضخم العواصم الأخرى • اذ أن بكين ان هي الا مقر حكم الامبراطورية • فهي ليست ميناء ولا مركزا لتجارة داخلية ولا لصناعة ، كما أنها ليست منتجع طلاب المذاهب والفجور • ( ص ص ١٤٩ و ٤٣٩ ) فاما المدينة الأولى ( هانج تشيو ) ، فهي من الناحية الأخرى ، تملك تلك المزايا جميعا الى أعظم حد •

(٤٢) لا يبدو في كتابات أعضاء ارساليات التبشير ولا الرحالة العصريين ، ذكر تعليق هذه القوائم المحتوية لأسماء السكان ( في أوقات معينة فيما نظن ) خارج المنازل ، على أنى حصلت على تأكيد شقوى من المستر ريفز Reeves الذي أقام بالصين عدة سنوات ، ثم عاد إليها في الآونة الأخيرة ، بأن ذلك النظام معمول به في الوقت الحاضر ، وأضاف الى ذلك قوله بأن ذلك النظام لم يقرر - فيما يرى - بسبب التيسير الذي يتجه لضباط ( موظفي ) الإيرادات والبوليس ، ولكن عن رعاية للرقابة والتهذيب ، حتى لا يحدث أى ادعاء باقتحام مساكن الاناث • وأشمار المستر ايلليس Ellis الى ذلك بقوله : « ان نظام الحكم المحلي Municipal الموجود بكل أرجاء الصين ، والذي يحتم على كل رب بيت أن يلصق خارج بيته قائمة ، بعدد وأوصاف الأشخاص المقيمين تحت سقفه ، ينبغي أن يتيح الحصول على أدق المعطيات وأصحبها في عمل احصاء عام للسكان » •  
ص ٤٣٣

## ● هوامش الفصل التاسع والستين

(١) لو قدرنا قيمة الدوقية الذهبية البندقية بعشرة شلنات انجليزية ( رغبة في الأرقام المستديرة الخالية من الكسور ) ، لبلغ هذا الإيراد المأخوذ على مادة الملح ٣٢٠٠.٠٠٠ جنيه استرليني ، وهو مبلغ ربما ظن أنه فادح ، لانطباقه لا على الاميزاطورية عامة - ولكن على ذلك الجزء من الصين ، الذي كانت هانج تشيوفو عاصمة له . على أنه ينبغي أن نضع في اعتبارنا ، أن جميع الولايات الشمالية ، فضلا عن ولايات المناطق الداخلية ، تمدها بالملح الأجزاء الجنوبية الشرقية من الساحل ، وأن المقدور الذي يصدر من أماكن الإنتاج لابد أن يكون تبعا لهذا هائلا . والمفهوم أن نصف الرسوم المحببة على السلع الانتاجية يدفع عينا ، وهم يبلغوننا أن مجموع الملح الذي يجمع لحساب الدولة في تين سنج على نهر يي هو ، قدره أعضاء سفارة اللورد مكارتنى بأنه ثلاثة ملايين جوال ، أو ستمائة مليون من الأبطال الوزنية ( مج ٢ ص ٢١ ) . يذكر السيد نكر (Necker) ان الجابل أى الضريبة المأخوذة على الملح بفرنسا ، حوالى عام ١٧٨٠ ، قومت بأربعة وخمسين مليونا من الليرات الفرنسية ، أى ٢٢٥٠.٠٠٠ جنيه استرليني .

(٢) ينتج الملح البحرى بطريقة مماثلة من التبخير بحرارة الشمس ، فى كثير من الأجزاء الجنوبية من أوربا ، وكذلك على شواطئ بلاد الهند .

(٣) يقول استاونتون ، متحدنا عن النهر الذى يجسرى بجانب هانج تشيوفو : « ان الأودية الممتدة على طول النهر ، مزروعة بقصب السكر بوجه خاص ، وقد أوشك أنثذ على النضيج ، وبلغ ارتفاعه ثمانية أقدام » . مج ٢ ص ٤٦٠ .

(٤) يعادل هذا المبلغ ٨٤٠٠.٠٠٠ جنيه استرليني من عملتنا ، كما تبلغ الحصيلة ١١٦٠٠.٠٠٠ جنيه استرليني ، وهو مقدار علمتنا إيرادات ومصروفات بلادنا الانجليزية ، فى الأزمنة الحديثة ، أن نعبه عديم الشأن أو يكاد .

## ● هوامش الفصل السابعين

(١) لم نعر على اسم يماثل لفظة تابن زو الواردة في نصنا أو تام ين جوى في النسخ اللاتينية ، على مسافة رحيل يوم واحد في اتجاه جنوبي من هانج تشيفو ، كما أنها لا يمكن في ظل تلك الظروف أن تكون مكانا يزيد أهمية عن مدن الدرجة الثانية \* غير أن الأستاذ ماجالهايز ( ص ١٠ ) يؤكد بغير تردد بأن المقصود منه هو تاي ينج فو بولاية نان كنج أو كيانج نان ، ولكن مهما يبلغ الاتفاق في الصوت من قوة جارفة ، فإن موقع المدينة الأخيرة الى الشمال الغربى من هانج تشيو يشكل صعوبة عويصة ، لا يمكن حلها الا بطريقة واحدة ، هي افتراض أن كلمات مؤلفنا لقيت بعض العبث ، وأن أماكن رأى من الملائم أن يضمهما في جسامته وملاحظته ، وان وقعت خارج الطريق المباشر ، قد دخلت قسرا على يد مترجميه في خط خطة السير ، التى لا يعترف المؤلف قط بتمسكه بها \* وسيتضح أن هذه الملحوظة تنطبق بدرجة معادلة على المدينة التى يجرى الحديث عنها في الفصل التالى \*

## ● هوامش الفصل الحادى والسبعين

(١) لا شك أن اسم أوجويو أو أوجيو ، الذى ورد أوجوى فى الخلاصات الايطالية ، ولكنه حذف فى طبعة بال ، ذو قربى واضحة باسم هوتشيو على شاطئ بحيرة تاي ، التى تقع غير بعيد من هانسج تشيو ، ولكنها شأن تاي ينج تقع فى اتجاه مضاد لاتجاه الجنوب الشرقى ، على ما هو معبر عنه فى النص \* ( ويسمى النص الباريسى اللاتينى المدينة أون جوى ) \*

(٢) لما كانت هوتشيو والأماكن المذكورة بمسدها محاطة بمنطقة منخفضة ، وواقعة فى مناخ دافئ ، فإن من المعقول الظن بأن الخيزران يوجد هناك فى وفرة واكتمال ، وتبعاً لهذا يقول دوهالد : « ان ولاية تشيه كيانج بها من ذلك ( الخيزران ) أكثر من أية ولاية أخرى » اذ بها منه غابات كاملة \* مج ١ ص ١٧٤ \*

## ٥. هوامش الفصل الثاني والسبعين

(١) ان جن جوى ، التى تكتب فى مخطوطتى المتحف البريطانى وبرلين تشيو جوى ، يبدو أنها هى مدينة تشوكى الواردة فى خريطة دومالد ، وهى مدينة من الدرجة الثالثة . ( وهى فى النسخة الباريسية اللاتينية كيانسيام ) .

(٢) نجد فى يوميات الرحالة العصريين ، فضلا عن كتابات أعضاء الارسلالات التبشيرية ، ملاحظات متكررة حول ندرة الأغنام . ووفرة الخنازير بهذا الجزء من بلاد الصين .

(٣) ان كون المقصود من هذه زن جيان التى هى فى الخلاصة الايطالية المبكرة ايان جيارى ، وفى اللاتينية المبكرة كيانجى ، هو مدينة ين تشيو ( المسماة كذلك نيان تشيو ) ، أمر لا يكاد يرقى اليه أدنى شك ، ذلك أن الأسماء التى تقترب الى حد المشابهة بالتحريفات العادية كمقطع تشيو أوجيو يمكن أن يتوقع منها أن تسمح بذلك . أما فيما يتعلق بالظروف المحلية فلا بد من التسليم أن المدينة الحديثة ليست مبنية على تل ، وإنما هى قائمة عند سفح جبال مرتفعة ، وبالضبط عند ملتقى ( كثيرا ما يسمى أثناء الصعود مع الأنهار نحو المنبع بالتفرع ) نهرين يؤلفان نهر تسين نانج كيانج .

(٤) وهذا اسم جيبه زا أو كما هو وارد فى النسخ الأخرى ان جيو وكوجوى ، يتعلق بوضوح بمدينة كيوتشيو ، وهى الواقعة فعلا عند الطرف الجنوبى الغربى من ولاية تشيه كيانج على حدود نيابة ملك مميزة ، وهى على الطريق العادى ، ولعله الوحيد ، الى ولايتى فوكيين وكوانج تونج .

## ● هوامش الفصل الثالث والسبعين

(١) يبدو أن « كون تشا » أو كون كا في النطق الطلياني ، وهو كون تشاي في النسخة اللاتينية المبكرة ونونزا في الخلاصة الإيطالية اسم نيابة مملكة ، كانت ولايات فوكيين وكيانج سي وكوانج تونج ، ولكن يبدو ولايتي تشيه كيانج وفوكيين ، في الوقت الحاضر ، نائب ملك واحد ( تسمونج تو Tsong-tu ) ، مثلما أن كوانج تونج وكيانج سي يحكمهما نائب ملك آخر .

(٢) ونوجيوو عند مؤلفنا ( وهي فوتشييو في النص اللاتيني الباريي ) هي مدينة فوتشييو فو عاصمة ولاية فوكيين . وهي انما نذكر هنا عرضا ، وليس بوصفها واقعة في اتجاه طريقه ، على أنه يبدو أنها هي المدينة التي سيرد ذكرها فيما بعد في الفصل السادس والسبعين .

(٣) وهذه التلال ، أو بعبارة أصح ، الجبال تؤلف السلسلة التي تفصل ولاية تشيه كيانج عن ولايتي كيانج سي وفوكيين . ويمكن اعتبار المسافة الفاصلة بين كيوتشييو وبين أول مدينة لها شأنها في الجانب الجنوبي الغربي من الجبال رحلة ستة أيام .

(٤) يقول ده جنى متحدثا عن الخلنجان في البيان الذي أورده عن الساع المصدرة من الصين : « انه الجذر ذو العقد لنبات ينمو حتى يقارب طوله قدمين وتمائل أوراق الآس ( وهو نبات عطري ) » مج ٣ ص ٢٥٤ .

(٥) ان صبح ظني ( وهو ما سيجد ما يؤيده كلما مضينا في الكتاب ) من أن مواضع مذكرات مؤلفنا الأصيلة ، قد تغير ترتيبها في هذه النقطة ، فانه سيعمل حالة سلعة الشاي ، وهي نتاج هذا الجزء من الصين ، وهي السلعة التي ذكرها بالتخصيص الرحالة العرب في القرن التاسع ، حيث حذف هنا في تعداد العقاقير .

(٦) لا شك أن المقصود بهذه الصبغة الصفراء ، هو الكركم . يقول ده جنى : « يسمى الكركم ، بالصينية تشاكيانج (Cha-kiang) وهو يجلب من كوانج تونج : وهذا الجذر جسد في الصبغة : وأطولاه أجوده » . مج ٣ ص ٢٦٤ . ولكنه لا يشيع استخدامه في الطبخ بب-لاد الصين ان كان يستخدم على الإطلاق ، بينما هو عند سكان الملايو وغيرهم من شعوب الجزر الشرقية ، يدخل في تركيب كل طبق ، وذلك في حين أنه يستخدم عندهم مادة صبغة بدرجة سواء .

## ● هوامش الفصل الرابع والسبعين

(١) تأسيسا على موقعها بالنسبة للطريق المار عبر الجبال ، فضلا عن ظروف أخرى ، يبدو أن هناك أسبابا تدفعنا الى موافقة الأستاذ مارتيني في ان هذه هي مدينة كين ننج فو بولاية فوكيين • وينبغي أن يلاحظ في الوقت نفسه أن اسم كوني ننج فو هو اسم عاصمة ولاية كوانج سي ، ولكن هذه تقع على مسافة كبيرة البعد من الأماكن سالفة الذكر ، كما أنها منقطعة الصلة بها تماما انقطاعا لا يمكن اعتبار أنها هي المدينة المقصودة هنا ، الا على افتراض ، أن البيانات المحيطة بالأجزاء المتوسطة حذفت •

(٢) لا تعبر كلمات النص عن أكثر من أن القطن يتلقى التلوين وهو خيوط ، وليس وهو منسوج ، وهو أمر لا يكاد يستحق الملاحظة على أنه ميزة خاصة ، بيد أن قطن نانكين المعروف أنه - في حالته الخام - يكون محتفظا بنفس لونه الخاص أثناء صناعته ، ربما كان هو القطن المراد وصفه •

(٣) يبدو أن البيان الخاص لهذا النوع غير العادي من الدجاج كان في رأى بعض المترجمين الأوائل بعيد التصديق جدا ، ومع هذا فان دوهالد يصف هذه السلالة نفسها أو سلالة أخرى تتصف بما يعادل هذا التفرد العجيب •



## ● هوامش الفصل الخامس والسبعين

(١) مهماً ظننا أن اسم أون جوين ، أو « أوجيو » أو U. Guen ( كما يبدو في خلاصة البندقية المبكرة ) يتفق مع أى اسم حديث ، فمن الواضح من الظروف الملائمة أنها لابد أن تكون احدى مدن الدرجة الثانية أو الثالثة ، الواقعة داخل الزمام الادارى لفوجوى أو فوتشيوى فو ، كما أنها تقع الى جوار هذه العاصمة .

(٢) ويسمى السكر بهذه الحالة الطرية والناقصة بسكر الجاجرى Jaggri فى معظم أرجاء جزر الهند الشرقية .

(٣) وكان اسم بابل فى العصور الوسطى هو الاسم الذى يطلق على القاهرة الحالية بمصر ) .

(٤) من المعلوم أن المواد القلوية تستخدم فى عملية تحويل السكر بأنواعه الى حبيبات ، جاء فى قاموس الفنون والعلوم Dict. of Arts and Cciences : « عندما يقترب هذا الخليان من نهايته ، يلقون فى العصير مادة مرشحة قوية مكونة من رماد الخشب ، معها بعض الجير الحى » .

## ● هوامش الفصل السادس والسبعين

(١) لا يمكن الشك في أن المقصود هنا من كلمة كان جيو هو كوانج تشيو ، وهي المدينة التي يطلق عليها الأوروبيون خطأ اسم كانتون ، وهو تحريف لكلمة كوانج تونج ، التي تنتسب الى الولاية التي هي عاصمة لها . واضح أن كان جيو التي يذكرها مؤلفنا هي كان سو التي وصفها الرحالة العرب ، وأثبتت الأحداث التاريخية أن الأخيرة هي كوانج تشيو أو كانتون .

## ● هوامش الفصل السابع والسبعين

(١) تنمو هذه الشجرة ، وهى «لوراس كامفورا Laurus Camphora» أى الغار فى الصين واليابان ، حتى يبلغ حجماً ضخماً ، ويسمىها الغسار الكافورى راموسيو خطأ شجيرة «Arboscello» ويتحدث استاوتون عن «الأوراق اللماعة لشجرة الكافور الغليظة والممتدة» - وهى النوع الوحيد من فصيلة الغار الذى ينمو بالصين ، وهو هناك شجرة خشب ضخمة وثمينة • وينبغى ألا يخلط بينها وبين شجرة الكافور التى تنمو بمورنيو وسومطرة ، التى تشتهر أيضاً بضخامة حجمها ، ولكنها من فصيلة مختلفة اختلافاً تماماً عن فصيلة اللورا Laurus أو الغار •

(٢) المظنون على الجملة أن مرفأ زاي تون هذا الشهير ، الذى أسمته طبعة بال زارتن أو زايدن فى اللاتينية الأقدم ، وجايتونى فى الخلاصة ، هو المكان المسمى تسيوئن تشيو عند الصينيين ( وهو سويو تشيو بخريطة دوهالد ) • ومع هذا فيمكن الظن أن الوصف إنما ينطبق بدقة لا تقل عن هذه على مرفأ هياميوئن الذى يكاد يلاصقها ، والمسمى اموى عند الملاحين الفرنسيين وآموى عند الملاحين الانجليز ، وهو الذى ظل حتى القرن الماضى ، يقتسم مع كانتون التجارة الخارجية للإمبراطورية الى حد كبير •

(٣) ربما بدا هذا التأكيد بالفعل عجيباً وغير محتمل ، ولا بد أنه يرجع الى خطأ ، لعله وقع فى ترتيب المواد أو ترجمة الفقرة ، اذ لا يمكن الظن أن سكان هذا الجزء من الصين العامر بالناس والتحضّر ، كانوا آنذاك ، أو فى أية فترة تاريخية ممن اعتادوا على وخز أى وشم جلودهم • وربما كان واقع الأمر أن مذكرة حول هذا الموضوع ( الأمر الذى لدينا أسس قوية للظن به فى حالات أخرى ) تتصل بوصف اما لجزر الملايو أو جزيرة آفا ، حيث تنتشر تلك العادة ، قد أدخلت فى موضع خاطئ ، أو لعل الأمر - كما أميل أكثر الى الظن - أن ما فهم خطأ أنه وشم للوجوه ، كان يقصد به مؤلفنا فن رسم الصور الملونة للوجوه ، وهو الفن الذى يحذقه الصينيون أبلغ الحذق ، بحيث انه قل من الغرباء من زار كانتون بغير أن يكلف صينيًا برسم شبهه ( صورته ) ، أو كما يعبرون بدارج لغة المصانع ، «عمل تصويرة وجه جميلة» •

(٤) لابد أن الأهالي جروا مؤلفنا الى الوقوع فى هذا الخطأ الجغرافى .  
ويبدو أنه ينتشر يجميع أرجاء الشرق ميل الى الاعتقاد ، والى اقناع الغير ،  
أن عدة أنهار تنبع من منبع واحد مشترك ( هو فى العادة بحيرة ) ، ثم  
تتفرع بعد ذلك فى مسيرها نحو البحر ، مهما يبلغ من مناقضة ذلك  
لعمليات الطبيعة المعروفة . فأما أنه ليس هناك مشروع ( منبع ) مشترك  
من هذا القبيل بين نهر تسيين تانج ، الذى تقع عليه هانج تشيو أوكن  
ساي ، وبين نهر تشانج ، الذى يصب مياهه عند أموى ، شن يتجلى من  
نظرة واحدة فى خرائط بلاد الصين ، ولكن سيتجلى فى الوقت نفسه ،  
أن منابع نهر تشانج ، و منابع النهر الكبير الذى يمر أمام تشيو ، عاصمة  
الولاية ، انما هى فى نفس الجبال ، وقد يمكن أن يقال انها مختلطة  
بمشابكة . وربما أمكن أيضا ملاحظة أن الفرع الشمالى من النهر الأخير ،  
الذى يمر بمدينة كين ننج ، لا ينفصل الا بسلسلة جبلية أخرى عن  
منابع نهر تسيين تانج ، أو نهر هانج تشيو ، كما أن هذا النوع من  
ارتباط الأطراف المتطرفة ، بتدخل طرف متوسط بينهما ، ربما أدى الى  
نشوء الفكرة الخاطئة التى تبناها مؤلفنا ، فى موضوع ليس من المحتمل  
أن تكون له به معرفة واقعية .

(٥) تقع مدينة تنج تشيو ، التى تتقابل واسم تن جوى أو تن جيو ،  
قرب التخم الغربى لولاية فوكيين ، بين الجبال التى ينبع منها نهر تشانج ،  
الوارد فى الهامشة السابقة ، على أنها تقع على نهر يصب مياهه قرب مدينة  
تشاو تشيو ، بولاية كوانج تونج . ومع هذا فانها ليست فى الوقت  
الحاضر مركزا لمصانع البورسلين التى تواصل عملها بصفة رئيسية عند  
مدينة كنج تل تشنج ، بولاية كيانج سى المجاورة .

(٦) يمكن الظن بأن الخرائط البحرية التى يدور عنها الحديث  
هنا ، كانت بصفة رئيسية بأيدي ربابنة عرب ، كانوا يمحرون البحر  
بسفنهم من الخليج الفارسى الى الهند والصين ، والذين لعلهم أضافوا نتائج  
خبرتهم الى المعلومات المستقاة من العمل الجغرافى لبطليموس .

## اقرأ فى هذه السلسلة

برتراند رسل	احلام الاعلام وقصص اخرى
ى . رادونسكايا	الالكترونيات والحياة الحديثة
الدس هكسلى	نقطة مقابل نقطة
ت . و . فريمان	الجغرافيا فى مائة عام
رايموند وليامز	الثقافة والمجتمع
ر . ج . فوربس	تاريخ العلم والتكنولوجيا ( ٢ ج )
ليسترديل راي	الأرض الغامضة
والتر الن	الرواية الانجليزية
لمويس فارچاس	المرشد الى فن المسرح
فرائسوا دوماس	آلهة مصر
د . قدرى حفى وآخرون	الانسان المصرى على الشاشة
أولج فولكف	القاهرة مدينة الف ليلة وليلة
هاشم النحاس	الهوية القومية فى السينما العربية
ديفيد وليام ماكداول	مجموعات النقود
عزيز الشوان	الموسيقى - تعبير نفسى - ومنطق
د . محسن جاسم المرسوى	عصر الرواية - مقال فى النوع الأدبى
اشراف س . بى . كوكس	ديلان توماس
جون لويس	الانسان ذلك الكائن الفريد
جول ويست	الرواية الحديثة
د . عبد المعطى شعراوى	المسرح المصرى المعاصر
أنور المعداوى	على محمود طه
بيل شول وأدنبيت	القوة النفسية للآهرام
د . صفاء خلوصى	فن الترجمة
رالف ئى ماتلو	تولستوى
فيكتور برومبير	ستندال

- رسائل وأحاديث من المنفى  
الجزء والكل (مجاورات في مضممار  
الفيزياء الذرية )  
التراث الغامض ماركس والماركسيون  
فن الأدب الروائي عند تولستوى  
أدب الأطفال  
أحمد حسن الزيات  
اعلام العرب في الكيمياء  
فكرة المسرح  
الجحيم  
صنع القرار السياسي  
التطور الحضارى للإنسان  
هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال ؟  
تربية الدواجن  
الموتى وعالمهم فى مصر القديمة  
النحل والطب  
سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى  
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء  
مصر ١٨٣٠ - ١٩١٤  
كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة  
الصحافة  
أثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن  
التشكيلى  
الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية  
وبعدها  
حركة عدم الانحياز فى عالم متغير  
الفكر الأوروبى الحديث ( ٤ ج )  
الفن التشكيل المعاصر فى الوطن العربى  
١٨٨٥ - ١٩٨٥  
التنشئة الأسرية والإبناء الصغار
- فيكتور هوجو  
فيرنر هيزنبرج  
سدنى هوك  
ف . ع . أدنيكوف  
هادى نعمان الهيتى  
د . نعمة رحيم العزاوى  
د . فاضل أحمد الحلاوى  
جلال العشرى  
هنرى باربوس  
السيد عليوة  
جاكوب برونوفسكى  
د . روجر ستروجان  
كاتى ثير  
ا . سبنسر  
د . ناعوم بيتروفيتش  
جوزيف داهموس  
د . لينوار تشامبرز رايت  
د . جون شندلر  
بيير البير  
الدكتور غبريال وهبه  
د . رمسيس عوض  
د . محمد نعمان جلال  
فرانكلين ل . باومر  
شوكت الربيعى  
د . محيى الدين أحمد حسين

- نظريات الفيلم الكبير  
مختارات من الأدب القصصى  
الحياة فى الكون كيف نشأت وأين توجد؟  
حرب الفضاء  
ادارة الصراعات الدولية  
الميكروكمبيوتر  
مختارات من الادب اليابانى  
الفكر الأوروبى الحديث ٢ ج  
تاريخ ملكية الاراضى فى مصر الحديثة  
اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة  
كتابة السيناريو للسينما  
الزمن وقياسه  
أجهزة تكييف الهواء  
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى  
سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى  
التجربة اليونانية  
مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية  
العلم والطلاب والمدارس  
الشارع المصرى والفكر  
حوار حول التنمية الاقتصادية  
تبسيط الكيمياء  
العادات والتقاليد المصرية  
التذوق السيتمائى  
التخطيط السياحى  
البذور الكونية  
دراما الشاشة ( ٢ ج )  
الهيرويين والايدز  
صور افريقية  
نجيب محفوظ على الشاشة
- تأليف : ج . دادلى أندرو  
جوزيف كونراد  
د . جوهان دروشنر  
طائفة من العلماء الأمريكيين  
د . السيد عليرة  
د . مصطفى عنانى  
صبرى الفضل  
فرانكلين ل . باومر  
جابريل باير  
انطونى دى كرسبني  
داويت سوين  
زافيلسكى ف . س  
ابراهيم القرضاوى  
بيتر رداى  
جوزيف دامموس  
س . م بورا  
د . عاصم محمد رزق  
رونالد د . سمبسون  
ونورمان د . أندرسون  
د . انور عبد الملك  
ولت وثمان روستو  
فريد . س . هيس  
جون بوركهات  
الان كاسبيار  
سامى عبد المعطى  
فريد هويل  
شاندر ا . يكراماسينج  
حسين حلمى المهندس  
روى روبرتسون  
دوركاس مالكينتوك  
هاشم النحاس

د. محمود سرى طه  
 بيتر لورى  
 بريس فيدوروفيتش سيرجيف  
 ويليام بينز  
 ديفيد الدرتون  
 أحمد محمد الشنوانى  
 جمعها : جون ر. بورر  
 وملتون جولدينجر  
 أرنولد توينبى  
 د. صالح رضا  
 م. ه. كنج وآخرون  
 جورج جاموف  
 د. السيد طه أبو سديرة  
 جاليليو جاليليه  
 اريك موريس وآلان هو  
 سيريل السريد  
 آرثر كيسترلر  
 جون بورر  
 ب. كوملان  
 ر. ج. فوريس  
 توماس ١. هاريس  
 مجموعة من الباحثين  
 روى أرمز  
 ناجاى متشيرو  
 پول هاريسون  
 ميخائيل ألبى ، جيمس لفلوك  
 فيكتور مورجان  
 أعداد محمد كمال اسماعيل  
 أبو القاسم الفردوسى  
 بيرتون بورتر  
 محمد فؤاد ، كوبريلى

الكمبيوتر فى مجالات الحياة  
 المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية  
 وظائف الأعضاء من الألف الى الياء  
 الهندسة الوراثية  
 تربية اسماك الزينة  
 كعب غيرت الفكر الانسانى ( ٣ ج )  
 الفلسفة وقضايا العصر ( ٣ ج )  
 الفكر التاريخى عند الاغريق  
 قضايا وملاح فى الفن التشكيل المعاصر  
 التغذية فى البلدان النامية  
 بداية بلا نهاية  
 الحرف والصناعات فى مصر الاسلامية  
 حوار حول النظامين الرئيسيين  
 للكون  
 الارهاب  
 اخناتون  
 القبيلة الثالثة عشرة  
 الفلسفة وقضايا العصر ( ج )  
 الاساطير الاغريقية والرومانية  
 تاريخ العلم والتكنولوجيا  
 التوافق النفسى  
 الدليل الببليوجرافى  
 لغة الصورة  
 الثورة الاصلاحية فى اليابان  
 العالم الثالث غدا  
 الانقراض الكبير  
 تاريخ النقود  
 التحليل والتوزيع الاوركستراالى  
 الشاهنامه ( ٢ ج )  
 الحياة الكريمة ( ٢ ج )  
 قيام الدولة العثمانية



عن النقد السينمائي الأمريكي	ادوارد ميرى
ترانيم زرادشت	اختيار / د. فيليب عطية
السينما العربية	اعداد / موني براج وآخرون
دليل تنظيم المتاحف	آدامز فيليب
سقوط المطر وقصص أخرى	نادين جورديمر وآخرون
جماليات فن الاخراج	زيجمونت هنر
التاريخ من شتى جوائبه ( ٣ ج )	ستيفن اوزمنت
الحملة الصليبية الاولى	جوناثان ريل سميث
التمثيل للسينما والتلفزيون	تونى بار
العثمانيون فى اوربا	بول كولز
صناع الخلود	موريس بير براير
الكنائس القبطية القديمة فى مصر ( ٢ ج )	الفريد ج. بتلر
رحلات فارتيما	رودريجو فارتيما
انهم يصنعون البشر ( ٢ ج )	فانس بكارد
فى النقد السينمائى الفرنسى	اختيار / د. رفيق الصبيان
السينما الخيالية	بيتر نيكوللز
السلطة والفرد	برتراند راصل
الازهر فى الف عام	بينارد دودج
رواد الفلسفة الحديثة	ريتشارد شاخ
سفر نامه	ناصر خسرو علوى
مصر الرومانية	نفتالى لويس
كتابة التاريخ فى مصر القرن التاسع عشر	جاك كرابس جونيور
الاتصال والهيمنة الثقافية	هربرت شيلر
مختارات من الآداب الآسيوية	اختيار / صبرى الفضل
كتب غيرت الفكر الانسانى ( ٣ ج )	احمد محمد الشنوانى
الشموس المتفجرة	اسحق عظيموف
مدخل الى علم اللغة	لوريتو تود
حديث النهر	اعداد / سوريال عبد الملك
من هم القطار	ابرار كريم الله

اعداد / جابر محمد الجزار	ماستريخت
هـ ج ٠ ولز	معالم تاريخ الانسانية ٤ ج
جوستاف جرونياوم	حضارة الاسلام
ستيفن رانسيما	الحملات الصليبية
أرنولد جنز	الطفل ٢ ج
بادى اونيمود	افريقيا الطريق الآخر
برنسلاو مالينوفسكى	السحر والعلم والدين
جلال عبد الفتاح	لكون ٠ ذلك المجهول
محمد زينهم	تكنولوجيا فن الزجاج
مارتن فان كريفلد	حرب المستقبل
سوندارى	الفلسفة الجوهرية
فرانسيس ج ٠ برجين	الاعلام التطبيقي
جى كارفيل	تبسيط المفاهيم الهندسية
الفين توفلر	تحول السلطة
توماس ليههارت	فن المايه والبانثوميم
اعداد كريستيان سالين	السيناريو فى السينما الفرنسية
بول وارن	خفايا نظام النجم الأمريكى
الحاج يوسف	رحلة جوزيف بى
اعداد محمود سامى عطا الله	الفيلم التسجيلى
جورج ستاير	بين تولستوى ودوستويفسكى
كريستيان دى روش	المرأة الفرعونية
ستائلى جيه سلومون	أنواع الفيلم الأمريكى
جوزيف ٠ م ٠ بوجز	فن الفرجه على الأفلام

مطابع الهيئة العامة للكتاب



رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/١٠٥٤١

ISBN 978-977-01-4614-5

Librairie

01

4614

5



فد عام ١٢٧١ خرج ماركوبولو، وكان آنذاك فد السابعة عشر من عمره، مع أبيه وعمه فد رحلة عجيبة أنطلقت بهم من مدينة البندقية فد إيطاليا وحملتهم عبر قفار وجبال وسمول آسيا الشاسعة حتد أرض الصين فد عصر الأمبراطور المغولد العظيم قبلد خان الدد احتفد بهم وضمهم إلد حاشيته فعاشوا هناك سنوات طويلة...

وقد كون ماركوبولو أخبار رحلته هذه فد ذلك الكتاب الدد يعد أشهر وأهم كتب الرحلات قاطبة، فهو سجل فد نادر لحياة الكثير من الشعوب والحضارات القديمة التد إنثرت اليوم ولم تدق منها سوى تلك الصور التد التقطها ماركوبولو بقلمه عنها، فهو على طرافته مرجع علمد عظيم عن تاريخ آسيا والصين فد العصور الوسطد..

وقد ترجم هذا الكتاب إلد العربية مترجم فدير هو الأستاذ عبدالعزيز-توفيق جويد ضمن إسماماته المتعددة فد إثراء المكتبة العربية بالنفيس والهام من الكتب..

وفد الجزء التد من الرحلة نتقل مع رحالتنا عبر ولاية كاثد وولاية أنجوت وولاية شن دن فو وولاية التبت وولاية كاي دن وولاية كارايان وولاية كازان ومملكة ميين وولاية بانجالا وولاية مانجد وولاية تان عن وولاية تشان غيان فو.